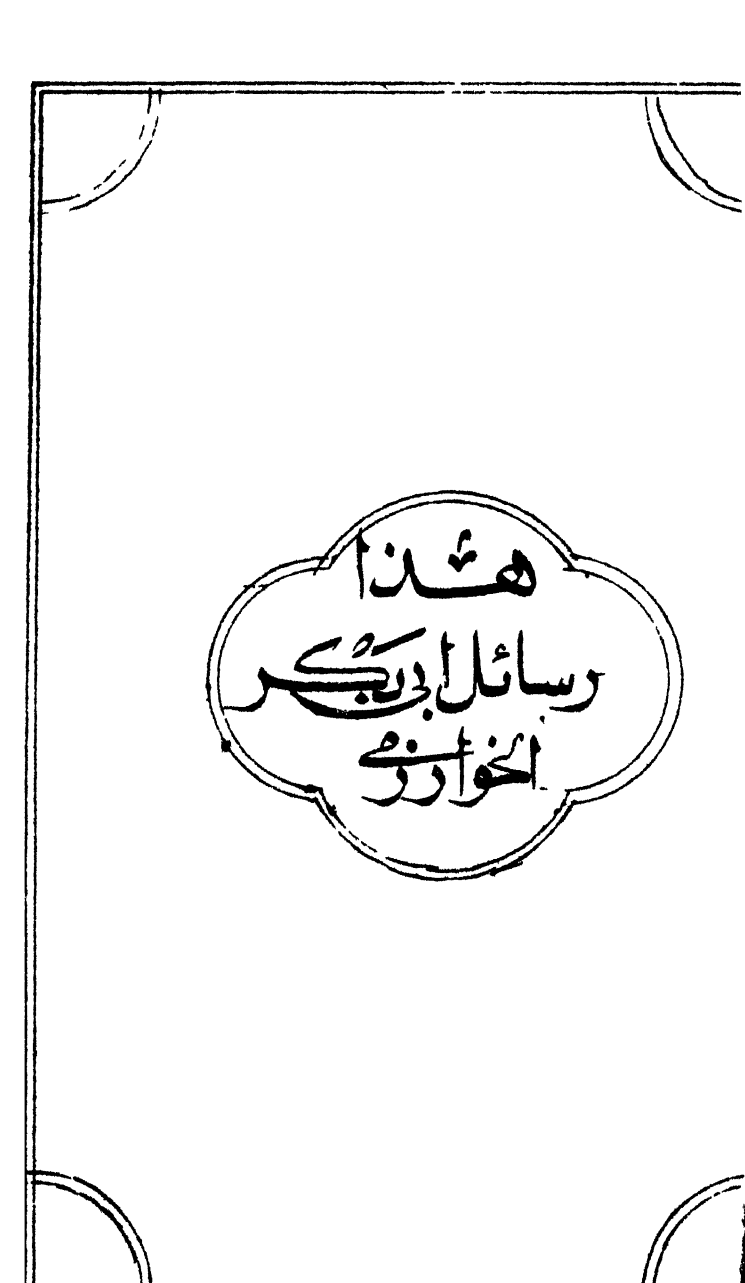

هذا
رسائل ابى بكر
الخوارزمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
هذه رسائل الاستاذ ابي بكر الخوارزمي رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابي اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تع

وفقك الله في مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك، والهمك في استيفاء
شرائط التوبة ما يطرق لك الخلوص من صرعتك، ولا خلاصك لله مما انت فيه
من جناية غيرك عليك، حتى تخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك،
فان نفسك اعظم خصميك، وان كانت اصغرهما لديك، وقد مثلت يدك
الله [illegible] كلامي وافوق نحوك سهامي واقضي بذلك حق
عطلتك، واخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك، وبين ان اليوم ليس قولي لك،
فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك، فرأيت الاول على اوجب والى الصواب اقرب فها انا اقول

اخوك الذي ان اجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول، وليس اخوك بالذي ان تشعبت * عليك امور ظل يلحاك لائما

اصاب المرقش ايدك الله في بيته الواجم، ولم يصب في بيت اللائم، وكيف يهدي الطريق
لرشده في غده، دون ان يلام على غيه في امسه، وكيف يتوصل الى تحسين
الصواب الا بتقبيح الخطاء السالف، وكيف لا يلام المسيء والنهي
بعد يقتضي اللوم على قبل، وكما لا بد في الكلام من الاثبات والنفي كذا
في العظة والنصيحة من الامر والنهي فاللوم اذا على هذه القضية احد
كانت النصيحة التي عليها قامت، وبها استقامت، وهل يلوم المرء الا

الاقارب، وهل يرخي له عنان العذل ويتجوز معه في اللوم الا معارفه الاجانب
واذا فرغت للحق زاوية من قلبك، وحكمت على هواك لعقلك، علمت ان ما تكره
فيما تحب، خير لك مما تحب فيما تكره، وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك
خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك، ولئن كان ظاهر كلامي يلدغك، فان
باطنه لينفعك، وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل في مكان يتخطاك فيه
الناظر، ويدوسك الخف والحافر، لا يشرفك نسب، ولا يرفعك ادب، ولا
يرجوك صديقك، ولا يخافك عدوك، عن يمينك الخمول، وعن يسارك الذبول
وبينهما الفقر الذي لو قسم على الاغنياء، لصاروا فقراء، والضعف الذي لو
فرق على الاقوياء، لعادوا ضعفاء، تصبح في قل وتمسي في ذل وتروح الى
انثى وتغدو الى طفل، فانصفك الدهر الظالم، وانتبه لك البخت النائم، واراد
الله تعالى ان يرفع من حكمتك، ويقوم من قنبور حدبتك، فينظر كيف تعملون، والله
يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، فاتصلت من ولي نعمتك بحبل لو اتصل به الادبار، لتقدم
الاقبال، ولو خدمه النقص لفضل الكمال، ولو تعرف اليه الجماد لنطق بحمده، ولو
استجار به امس الدابر لرجع بسعده، فما هو الا ان سبت اليه، وحسبت
في آثار يديه، حتى قابلتك الايام بسلامه، وطرت الى المنى والمطالب بجناحه، و
حتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا، وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا،

ومثل الذي نلته حافيا … يؤثر في قدم الناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطاردوك بين الدار والباب، وكثر
ترددك بين الآذن والحجاب، وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته
بعين هائب، ونقلت اليه قدم راغب وراهب، هذا الى استنقاذه لك
من الردى، بيد الهدى، واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور
العدل والتوحيد، فلزمك ولاؤه مرتين، واحاطت برقبتك نعمه من جهتين
لانه انقذك من النار، كما انقذك من العار، واعتق رقبتك من رق الضلال
كما اعتقها من ذل السؤال، فكانت نعمته عليك مضاعفة، وصنيعته
اليك مداخلة، وكافلك بعين احسان الله تعالى بعد نفيس احسانه اليك

لتؤدي زكاة الاحسان، وتتمم الصنيعة باليد واللسان، ويريك يقظان
ما لم تحتلم به وسنان، ويزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك،
ولم تستوجبه بقيمتك، الى ان اصلى عليك الدهر الظالم، وملكك عنان
البخت الجامح، وانت سكران من خمر اليسار والغنى، غريق في لجج المطالب
والمنى، لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معلق، او طرت نحوه بجناح لك، والاقبال
يستر عيوبك، والامهال يغفر ذنوبك، ولا ستر اكشف من اقبال، ولا شفيع
انجح من امهال، والدولة تجعل البعيد قريبا، والجدير بالمخطئ مصيبا، و
المجد ودهر بين يديه، ما لا يراه المجدود بعينيه، ويتناول قاعدا ما لا
يتناوله غيره قائما، ولا رسول اسرع من جد، ولا مستحث اوحى من يسر بلا
عسر، فلما جازيت النعمة بالكفران، ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان
نظرت الايام اليك شزرا، وابدلتك باليسر عسرا، فاصبحت تلك البوارق و
هي صواعق، واستحالت تلك المواهب هي مصائب، وتقاضاك دهرك ما
اسلف، واستأنف بك خلاف ما سلف، والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى،
وحاكم لا يراجع اذا قضى، ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع، ومعط اذا
لم تشكر عطيته منع، ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب، واذا تعلم منه ادب
وهذب، على اني ما رايت معلما احسن تعليما من الزمان، ولا متعلما اسوأ
تعلما من الانسان، فها انت قد ذمك حامدك، ورحمك حاسدك، واحتقبت
اوزار الندامة، ورضيت من الغنيمة بالسلامة، وكانت الايام تعدنا بك
فاوعدتنا فيك، وخلف ليل الشك نهار، ووراء سكر النعمة خمار، فانت
الآن عليل وداؤه التوبة، وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة، فان قبلت
توبتك فقد انقطعت مدة الداء، وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى
فربما قد خلف الدواء شاربه، وخان الرجاء صاحبه، فيا طبيب نفسه
ارفق بها، ويا مداوي جراحته الطف لها، واعلم انه قد كان شكر الرخاء اهون
من مصابرة البلاء، وكان حفظ الصحة ايسر من معالجة العلة، ولو وجدتك العافية
من اكفائها لما طلقتك، ولو رأتك النعمة من نقائها لما فارقتك، واقل ما كان يجب

لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته على كفران نعمته، ولا تكتب حسنته في جريدة
سيئته، ولا تسل عليه من لسانك سيف اذية صقلته، ولا تشرع اليه من كلامك رمح اكف قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا	اذ و صبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى	انخت الشرك في دار الجهاد

فيا ايها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران
وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان، وكم تفضون ختام العافية بالعذر، وكم تسمون
الخيرات بقلة الشكر، وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر، ولا
تقلدونها حلية من طيب النشر، وكم تبعون الوفاء بالملق، وتنادون على الامانة
كما ينادى على الثوب الخلق، وكم تقبحون في النعم، وتحسنون في النقم،
وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم مركبه، حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع، لحرمه الطبع، ولو جاز من طريق الملة
والديانة، لحظر من طريق المروة والصيانة، فان للمحسن من الله عينا كالئة
لا تنام، وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام، ومن تقلد نعمة
الله من انسان فقد ضمن له عهده، وصار في حكم الاحسان عبده، واذا
خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته، وغش الثاني بخدمته، و
هل يبرأ العليل بين طبيبين، وهل يسع الغمد سيفين، وهل ينطق لسان
واحد بشكرين، او يتسع قلب احد لمحبة اثنين، ولهذا الشان طلقت الناس
ثلاثا، وفارقت المدح بتاتا، لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد
كبيرة ليس لها غفران، وسيئة لا يمحوها احسان، فلما رايته علمت ان
الايام قد خبأته لي ذخرا، واعدته لي عذرا، واراد الله تعالى ان اعاشر
الناس حزونا وذللا، واجوب البلاد حزنا وسهلا، حتى اذا جبت الافاق
وقلبت الاخلاق، وصارت الارض في عيني دارة هجم بي السعد على حسنة
الايام، وغريبة الانام، ونصفة الدهر الظلوم، ومكرمة العالم اللئيم، فاذا
هو ضالة رجائي الحائم، وبغية قلبي الهائم، فختمت به جريدة المدح والثناء

واغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء، وفتحت له مغاليق فكوي، ودفعت اليه
مقاليد نظمي ونثري، واقطعته لساني غير منقطع، ووهبت له قلبي غير متجمع، و
نظرت الى ابي الطيب الى تناقض حكمته وتفاوت طرفي فعلته حيث قال في سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته	ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

وقال في كافور الاخشيدي

قواصد كافور توارك غيره	ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا، واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا، وحال
ضباب الحرص والرجاء، بينه وبين العهد والوفاء، وكان يضايق نفسه
في اختبار المتاع، ويسامحها في اختيار المبتاع، ويخلع خلعة من نظمه تساوي
بدرة، على عرض من لا يساوي بعرة، ويزف كريمة من كرائم شعره، الى من لم تقم
عنده كريمة، ولم تعرف له قيمة، لو راى الطمع في جحر فارة لدخله، ولو اتاه
الدرهم من است كلب لما غسله، فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله
استقبحوا فعله، وكما اعجبوا بشعره، تعجبوا من عذره، يشكر ثم يشكو، و
يمدح ثم يهجو، ويشهد ثم يجرح شهادته، ويعطي ثم يسترجع عطيته، فكم من
حر فضله ثم ثلبه، وكم من عرض كساه ثم سلبه، وكم من صحفة اكل منها ثم بصق
فيها، ولكن في فص ابي بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع، واذا طلق لم يراجع، واذا
بنى لم يعد على بنائه بالهدم، واذا مدح لم يطأ على عقب مدحه بالذم، واذا
طيب فكيه بالمدح للكريم، لم يلطخهما بمدح اللئيم، واذا زوج كرائمه كفوءا
حجبهن ان يتبرجن للاديرة، ويجليهن غير عينيه، وانما الغدر من اخلاق
النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران، وجذبها
الى شق النسوان، وهو اذا مخنث من حيث الخلق، غير مخنث من حيث الخلق،
وقد يصلح الانسان خلقه، ولا يمكنه ان يغير خلقه، فالغدر اذا على هذه
القضية هو التخنيث الاكبر، والتانيث الاعم الاكثر، والوفاء حمية القلب كما
ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم، وثبات الحمية، من قوت الحمية
وحفظ العهد من شرائط الرجولية، وانني لا عجب ممن يعادي المقبل والله

معه، والايام بذلته، وداعية المجد خلفه وقدامه، وقد رايت ما صار اليه مصادع اعداء هذه الدولة، وختمت باحوال حساد هذه النعمة، فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها، فاحترموا واصطلموا، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، طافت الايام على الوزير بمنايا هم، فابقاه الله تعالى وافناهم، ولم يزل نقصهم يحارب كماله، وادبارهم يزاحف اقباله حتى اجلت معركة العداوة عنه راضيا وعنهم ساخطين، واقشعت غيرة الايام والليالي عنه قائما وعنهم مصرعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا	وفي الماضي لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي واجر مع الفلك كما يجري، وارفق بمن رفقت الايام به، وارع لمن رعت السعادة له، ولا تزاحم الفلك الدوار، ولا تناطح الاقسام والاقدار، ولا تصغر الكبار، ولا تتحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه، ومسلط لا يؤخذ ما في يديه، وانزل حيث انزلت لا استحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق، ولا تجلس على طريق السيل الراغب ولا تطعن في نحر القضاء الغالب، ولا تحارب جيش السعد، ولا تطاع جد الجد ولا تستسلف اجلك، ولا تتناول ما لم يوضع لك، واحذر قوس الخذلان، فانها نافذة الرمية، صريعة الرمية، قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك، وجاوزت بالعقاب ذنبك، ولكني عاتبتك لك، وحاربتك عنك، رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك، ويستحسن ألم وقع هذه السهام بك، ولولا ذلك، لم اذقك مرارته، ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له، وما اغتم لك من الحبس وروعته، ولا من الهوان ولذعته، كما اغتم من نظر ولي نعمتك اليك، ووقوع بصره عليك، وقد قعدت تحت عباءه، وقابلت احسانه بكفره، وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعا، ولم تجلب نفعا، فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك، واتفكر في ساعة سعدك لا في ساعة نحسك، فقد شغلني الخجل عن الوجل، ونسيت بقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول، فلا غضاضة عليك، من امتداد يد الدهر اليك، فان امير المؤمنين وفعله، لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

وكتب الى كثير بن احمد الهارب من الامير ابى الحسن

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربتى من يد الدهر، فقد كانت بشعة الخمرة
طويلة السكرة، قليلة النفع كثيرة الضرر، والحمد لله تعالى على حفظه على الدين
وان ذهبت الدنيا، وعلى ان سودرت على المال لا على العرض والتقوى،
وصلى الله على محمد خير الورى، خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر
وثناء، وحمال مدح ودعاء، وقتيل خجل وحياء، اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة
شفعائى، وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى، ثم نظرت الى وقد خرجت من
تلك الغمة، وشققت رداء تلك الظلمة، موفر الحال والمال، صحيح العرض
الجمال، لم تنشب فى اظافر الفقر، ولم ينفذ فى حكم الدهر، علمت ان الشيخ قصر
عنى يد المحنة وهى طويلة، وصرف عنى لاية النحوس وهى بسيطة، ولو بلغه
غاية مراده امكانه، وساعده على نيته فى زمانه، لحجب صروف الدهر عن فنائى
ولقام بين الحوادث وبين لقائى، عرف الله تعالى له نيته، وبلغه فى الدنيا و
الآخرة امنيته، ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافية، وايامه من الغير صافية،
ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله، ومعه وزير من عقله، وله مادح من فضله
وطوله، وورائه واق من قوله وفعله، فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب
لى وجهى اشكر، ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من ستبقانى ولو شاء
افنانى اوفر، فقد جاد على الملوك بالصلات، وجاد على ذلك الامير بالحيات،
فهناه الله بهذا الشكر الغريب، وهذا الثناء العجيب، وذلك انى اشكر الملوك
على انهم اغنونى، واشكره على انه لم يفقرنى، وامدحهم لانهم احيونى، و
امدحه على انه لم يقتلنى، واعتد لغيره ان بذل لى كل خيره، واعتد له بان
كف عنى بعض شره، والشكر على قدر الاحسان، والسلع بازاء الاثمان، والسلام

وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة، ومساقط النكبة، فانا فل

من فلول هذا الزمان، لا بل فل من فلول هذا السلطان، والحمد لله على سلامة
الروح والمهجة، وان كانت سلامة ضعيفة المنة، رقيقة الكسوة، ثقيلة
الحركة، قليلة البركة، ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة، واسرع من
لحظة، ذكر الشوق فابينه وبين السيد رجيع من القول، وكلفة من كلف
النقل والفصل، على انى والله مشتاق اليه، شوقه الى ابتناء العلاء، ومشته
للقائه شهوته لبذل الندى اذكره وان كنت لا انساه، والقاه بقلبي وان كنت
لا القاه، واسأل الله تعالى ان يهبنا سلامة سليمة، واستقامة احوال مستقيمة
فلا شىء احوج من السلامة الى السلامة، ولا الى الاستقامة من الاستقامة، وان
يجعل اقسام صنعه لديه، واحسانه اليه متناصرة مترادفة، ومتلاحقة متوالدة
قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها، ونشرت طى
اعلامها، وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل، ويدها التى
بها تطاول، والسعاية سلاح من لا سلاح له، والنميمة كيد من لا كيد عنده
وشر من الساعى من انصت له، وشر منهما السوء من قبله فلما رأيت بيني و
بين الموت حجابا رقيقا، وحجازا دقيقا، ورايت نفسى قد اكتنفها اربعة اشياء
ما منها شىء الا وهو يقرب عليها مسافة الممات، ويقطع عنها علائق الحيات،
خصم فاجر، وسلطان جائر، وبخت عاثر، وزمان غادر، آثرت الغربة على وطن
معه اذى، واخترت الظمأ على شراب فيه قذى، وفارقت دار الهوان والحمية
تتبعنى وعزة النفس تشيعنى ولى من الصيانة رفيق وزميل، ومعى من العزم
هاد ودليل، وليست تبعد على العزم مسافة، ولا تصعب مع الارادة شقة
ولا مشقة، وما علمت انى عيش حتى اصادر على اللسان، واسلف الشكر
قبل الاحسان، وقد كنت رايت حاكما يحجر على يتيم او معتوه فى وفره، ولم ار
اميرا يحجر على كاتب فى كتابته او على شاعر فى شعره، وانما الشكر ايدك الله
السيد فرس جامح، ان منع عن سننه قطع ارسانه، واستلب عنانه،
فشقى به سائسه، وهلك معه فارسه، والشعر ينقلب مع الجود حيث كان، و
يرتاد المعروف والاحسان، وانما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، اذا سد عليه

طريقة خرق في الارض خرقاً، وجعل لنفسه طريقاً بل طرقاً، وما اشبه من
اكره الالسن على مدحته، الا من اكره القلوب على محبته، يحب المديح ابو خالد و
يفجع من صلة المادح، كبكر تحب لذيذ النكاح، وتفرق من صولة الناكح،

وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت، وقدمت من رأيي ما اخرت،
لما امضي الفراق فينا حكمه، ولا انفذ فينا سهمه، ولالتقينا جميعاً او رحلنا معاً
واني لاظلم الفراق اذ شكوته، واتعنف الدهر اذ هجوته، وبيدي ضرباني، ومن
سهمي رمياني، فانا كالقاطع يده بيده، والفاجع نفسه بنفسه، ومطرق الفراق
الى قلب طوى المنازل عن حبيبي دائماً، واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقمت ولو
على جمر الغضا، قلبت او حد الحسام الصارم، ما تذكرت تلك الايام التي سلفنيها
الدهر بل سرقنيها، وغبنني بل دلس علي فيها، وكانت ادق من حاشية البرد، و
احسن من طلوع السعد واحلى من انجاز الوعد، واعذب من القند بل من النقد
واعبق من الورد، وما اردت الاورد الخد بل من المسك والند واطيب من القرب
بعد البعد، ومن الوصل في اثر الصد بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر، و
من قضاء الوطر على الخطر، بل كانت اقصر من ليل السكارى او نهار الحيارى،
الا اكلت الوجع، وشربت الجزع، وانثنيت على كبدي خشية ان تتقطع، ولو
انني اعطيت من دهر المنى، وما كل من اعطي المنى بمسدد، لقلت لايام مضين الا
ارجعي، وقلت لايام اتين الا ابعدي، البستان قد وعدتني يا سيدي اقامة
وظيفته بالشجر، وبالنور والزهر، وانت يا سيدي بالانجاز قمين، وبالوفاء به
ضمين، وذلك المكان مرتع ناظري، ومتنفس خواطري، ومجال بصري، ومراد فكري
ونقلي اذا شربت، ومحدثي اذا خلوت، وتسليتي اذا غممت، ونشاطي اذا اتهمت
وما اظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب علي فيها طاس بل كاس، وشرب
عليها انسان بل ناس، وقام في حافتها وجه صبيح، وتقلب في اطرافها قد مليح
وكاني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا اني اصف بستان الزاهر

اودار ابن طاهر، او اذكر الجعفرية، او البركة المتوكلية، او اعنى صعد خراسان
او شعب بوان، او انعت نهر الابلة، او متنزه الغوطة، او شعب نطاكية، ولا يعلمون
انى انما اذكر بقيعة طولها باع، وعرضها ذراع، اعنى باع البقة، وذراع الذرة
واقل من لا، واصغر من الجزء الذى لا يتجزاء، لو طارت عليه ذبابة لغطته، او
دخلته نملة لسدته، تسقى بالمسقط صباحا، وتكنس بالظلال مساء، اشجاره
مائة الا تسعة وتسعين، وانما ره خمسون الا تسعة واربعين، وانى شاعر اذا
احسن من لسانه بسطه، ووجد فى خاطره فضله، واصاب من القول جريانا، و
وجد ميدانا، وقال ما وجد بيانا، وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم، و
الكذب مذموم الا فيهم، اذا ذموا ثلبوا، واذا مدحوا سلبوا، واذا رضوا رفعوا
الوضيع، واذا غضبوا وضعوا الرفيع، واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد
ولم يمتد اليهم بالعقوبة يد، غنيهم لا يصادر، وفقيرهم لا يحتقر، وشيخهم يوقر،
وحديثهم لا يستصغر، وسهامهم تنفذ فى الاغراض، اذا نبت السهام عن
الاغراض، وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب، وشهاداتهم مقبولة وان
لم ينطق بها سجل، ولم يشهد بها عدل، وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع
دينار، ولو بلغت الف قنطار، ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم، و
ان صارموا الصديق لم يستوحش منهم، بل ما ظنك بقوم هم صيارفة
اخلاق الرجال، وسماسرة النقص والكمال، بل ما ظنك بقوم هم امراء
الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله، ويقصرون ممدوده ولم لا اقول
ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون، وفى كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون،

وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط

بلغنى انك ناظرت، فلما توجهت عليك الحجة كابرت، ولما وضع نير الحق على
عنقك ضجرت وتضاجرت، وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه
واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه، كانك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق
بالعجز، وان وجه الظلم مبرقع بالقبح، وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة

وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة، فقد طرقت الى عيبك لعائبك، ونصرت عدوك على صاحبك، وقد عجبت من حسن ظنك بك، وانت انسان والله المستعان

وكتب الى ابي عمر المكندري وزير صاحب جرجان

وعد الشيخ يكتب على الجلد، اذا كتب وعد غيره على الجهد، ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام، مريض الثقة بالانام، لكثرة من يلقاه من اللئام، وقلة من يسمع من الكرام، وفلان نفض عندي غرائر شكره، واستعان بي على تحمل ما اثقله من اعباء بره، فاعلمته انني اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا، واضيق منه بما لزمني اداؤه صدرا، وانشدته شعرا

اعنين هلا انكلفت بها	كنت استغنت بضارع العقل
اقبلت ترجوا العون من قبلي	والمستعان به لفي شغل

ثم اني تندمت في ان ردا خواني في ماعون طلبوه من لساني، فاصحبته هذه الاحرف والشيخ يلحظه بالزيادة حلاوة الشكر، ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر، فلله عرف الشاكرين الصنعة، ونفق بينهم هذه السلعة

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها، بل حالي وحال الاحرار فيها، واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله، وقد كنت آوي من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب، وباع واسع، ونائل شائع، ووجه اذا نظرت اليه قرأت نسخة الكرم في وجنتيه، تلمع آثار الكرم بنور اساريره، وتعرف بشرى النجاح في تباشيره وفم يبشرني بابتسامه، قبل ان يبشرني بكلامه، ويحييني بالنجح باشارته قبل ان يترجم بعبارته، واذا رايته رايت بخت تقدمه قبل الي في معرض الكمال، وطالعت سعدي وقد طلع علي بنيل الآمال، عن يميني الجمال وعن يساري الكمال، فاغدو واليه به يقدمني الامل والرجاء، واروح عنه

فيشيعني الشكر والدعاء، واحمل حوائجي منه على جبل الجود الذي لا تحركه
المطالب، ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب، بل على بحره الذي لا ينزفه الاستقاء
ولا تكدره الدلاء، ولا يرى قعره، ولا يدرك غوره، وانما يصبو على حوائج الناس
ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس من لدن فطام السخاء، وغذي في
حجور الكرماء، وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء، ومرن
على البذل والعطاء والثقل ليس مضاعفا المطية، الا اذا ما كان، وهما بازلان،
حتى اذا كادت غصون آمالي تورف بعد ما يبست، ووجوه مطالبي تضحك بعد
ما عبست، رمتني الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائي الحامل، وجف ضرع املي
الحافل، وسكت لساني القائل، وفترت فتور التاجر بار متاعه، وعاب مبتاعه،
وخجلت خجل البنت زهد فيه اختانه، وضحك منه جيرانه، ووردت عليه
بكرة، وسيق اليه مهره، وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لما غاب من كان يجمع
شمله، ويكرم اهله، ويعرف فضلهم وفضله، ولو انصفت الادب بعد الشيخ
لرثيته مرثية الاموات، ولاقمت عليه ماتم الممات، ومحوت اسمه من جريدة الحياة
هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطريه بجهده، ولا اتناوله بطرف ذريعة
او وسيلة وكأني به وقد حسدني في جملة العامة، وادخلني في غمار سائر الرعية
ووقفني على جسر قدامه الخسران، وخلفه الهوان، وفجعني بدريهمات جمعت
بتقحم المهالك، واختراق المسالك والممالك، ودنانير قطعت القفار، وخاضت
البحار، وناطحت الحوادث والاقدار، فان بذلتها ابرزت وفرا طالما كان مخزونا
وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا، على انني احمل الجمال على التجمل، واوثر
البذل على التبذل، وانشد شعرا، جنانيك بعض الشر اهون من بعض،
وما ايسر دواء هذا الداء لولا وعتني نفسي العاصية، وتابعتني رجلي الآبية
فدخلت الديوان، وصانعت الزمان، وفتحت جراب النفاق والرياء، واغلقت
باب الحفاظ والوفاء، ولكن النظر الى عين الشمس ايسر علي واهون على عيني
من ان انظر الى هذا الصدر، وقد جلس فيه غير ذلك البدر، واني لاغار
على الكرم، كما يغار على الحرم، وابخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب واستحيي

لعيني ان افتحها على الصغيرة، وجلس مجلس الكبيرة، لا ابتلاني الله بمجالس
الغيرة، ولا اقامني في مقامات الغم والحيرة، فانه ان ابتلاني بذلك وجدني
ضيق ساحة الصدر، قريب غور الصبر، كثير المبادرات، قليل المدارات، هذه
اطال الله بقاء الشيخ حالي فهل لي عنده فرجا ارتجيه، او نظرا تجمع فيه، وهل
يحرك لفظة من الفاظه، او لحظة من الحاظه، يرد بها على وجهي ما نضب من
مائه، وعلى عرضي ما ذهب من بهائه، ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا
الخراج صغيرة ولكني لا استصغر منه يسيرا، كما لا استعظم
منه كبيرا، واعلم ان الحريص الصديق بفطنته، والخليل بهمته، و
ان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسري في السم الوحي الى ان يصل الى
الترياق البطيء اعوذ بالله من ان يكون دائي نقدا، ودوائي وعدا،

وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له

كتابي عن سلامة، وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا، ولحدا ملحودا
واخا مفقودا، وحوضا من المنية مورودا، ويعلم ان اياما مكتوبة، وانفاسه
محسوبة، وان شباك المنايا له منصوبة، اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها، و
اخيب راجيها، واغدر ايامها ولياليها، وانغص لذاتها وملاهيها، تفرق بين
الاحباء والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالرفات، وورد علي خبر
وفاة فلان، فدارت بي الارض حيرة، واظلمت في عيني الدنيا حسرة، وملك
الوله والوهل قلبي فوسواس فكره، وتذكرت ما كان يجمعني واياه من سكر
الشباب والشراب فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها، ورمي بسهم
سوف ارمى بها، فبكيت عليه بكاء الى نصفه، وحزنت عليه حزنا النفسي
شطره، وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول، واعظم مامول ان يفيض عليه
من رحمته، ما يتمم به سهمه من نعمته وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته،
ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنه وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة
وتلك المروءة الواسعة العظيمة، فان الله تعالى يحب السخاء في الملحد،

فكيف في الوحدة وان سخاء النفس ونصب الى ثلثة خلوص مذاق حساء بحميمة
وشعبة من شعب النبيين، ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده،
والغمة من بعده، والتحسر على قربه ببعده، فخلص الى قلبي وجع ثان لسانى
الماضي وثالث انسانى الثانى، حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل
ما في صدري وحتى صار الوجع وجعين، واصاب اثنين، ثم
رجعت الى رب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون، اللهم
لا شكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك، ولا كفران لنعمتك، ولا مناصبة
لقدرتك، اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مماته، وابق الحي بقاء يهنيه
حياته، واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع، ولا يضع عنانه بيد
الهلع، ولا يثلم جانب الاجر والذخر، بالاثم والوزر، ولا يجد عدوه
الشيطان سبيلا اليه، ولا سلطانا عليه، اقتصرت من تعزية سيدي
على هذا المقدار لاجريا على مذهبي في الاقتصار والاختصار، ولكني لم
اجد من لسانى بسطه، ولا في قريحتي فضله، ويحق لهذه الفادحة الحادثة
ان تدع اللسان محصورا، والبيان مقصورا، او ان تحدث في العقل خللا،
وفي البيان شللا، وليعرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزاء الذي لم
يعدم جميل الجزاء ليكون سكوني الى ما اعرفه من سلوته، اضعاف قلق
كان بما ظننته من حرقته وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم، ولا
يخل بالواجب من التمسك بالحزم، ولا يحل عقدة صبره، ولا تتداعى اركان
صدره، ولا يعمى الرشد في جميع امره، وهذه شريطة الكمال، وسجية الرجال

وكتب الى ابي الحسن الطرحوي بدار طوس

فلا ترتفع عنا الشغل وليته، كما لم يصغر عندنا شانك العزل ليت شعري ما الذي
رآه في الكبر حتى اعتقد ملته، واستقبل قبلته، وفي العجب حتى تبوأ ساحته،
واستوطن راحته، وفي الجفاء حتى علق اسبابه، ولبس جلبابه، وما الذي
ارتكبته من بين اخوانه، حتى افردهم عني وكاتبهم دوني حتى كأني قطعة

ووصلوه، ونسيته وذكروه، وجفوته وبروه، كانه عرض جريد تهم فوجد
اسمي ملحقا بحواشيها، ومثبتا في اخريات اساميها، فهلا اذ لم يوهلني لمرتبة
الخاصة، جعلني اسوة بالعامة، وهلا اذ لم استحق منه فضلا، رزقت منه
عدلا، وهلا تصدق علي بكتابه الي فالزمني على المساكين صدقة، وللفتح
هدية، فكنت اجعل يوم وصول كتابه الي عيدا، ونيروزا جديدا، واتصدق
بما لي فيه طريفا وتليدا، واطوف بكتابه في اخوانه واخواني، واباهيهم به مباهاة
الاخباخية، الذي مساعيه مساعيه ومساويه مساويه، وكل شيء من فضيلة
ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت ايد الله سيدي عن هذا الذنب الفظيع والجرم
الشنيع فهل لسيدي ان يستأنف ما احاله آخرا، وياخذ بنا في طريقه غير الاول
فان الاستقالة تاتي على العثرات، وان الحسنات يذهبن السيئات، وان قليل
الاستغفار ينسي قليل الخطأ والاوزار، خرج الى ناحية سيدي فلان وهو
جوهرة من جواهر الشرف، لا من جواهر الصدف وياقوتة من يواقيت الافكار
لا من يواقيت الاحجار، واذا نظرت اليه من مرآة الحيرة، وقلبه بيد العشيرة،
استدل به على حسن انتقادي، وصائب رتيادي، وعلم اني لا اختار غير الخيار
ولا اجني غير خير الثمار، ولا اصادف غير الاحرار، فلينطق سيدي لسانه بشكره
وليكفه الدقيق والجليل من امره، وليمش على عقبي لا بل مقدمتي الى الطائفة
وبره عرض سيدي هذا يا تلك الناحية، وكيف طمع في هدية من يبخل برد السلام
ويحاسب صديقه على الرسالة والكلام، وكيف يسمح بالجوهر الحاصل
من يبخل بالعرض الحائل وكيف يتوسع في النافلة من تضايق بالفريضة
انصفنا الله تعالى من اصدقائنا، فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا،

وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير

وكل ولاية لابد يوما		مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انظر مصداق هذا البيت مر بسيدي حتى حقق الله تعالى ظني ولو
اكذبه كان احب الي واوقع لدي، فسبحان من جعل حصتي من وفاء الاخوان

الفعلة عليه، ولفوقت سهام اللوم اليه، لكن اصم عن الكلام صبور على وقع
سهام الملام، يختصر العيدان، ويمتصر الاغصان، ويخترم الشبان، و
يبكي الانام والابدان، ويلحق من يكون بمن كان، والشيخ جدير بان يتدرع
لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلي، وجميل التعزي، لا تخرقها يد لتذكر، ولا
تهب عليها ريح الغم والتحسر، ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر، و
ان يلقى هذا الخطب الكبير، والغم الكثير، بصبر منهما اكبر، وتجلد هو منهما
اكثر، فان الكبير في قلب الكبير صغير، وان العظيم على العظيم صبور،

والثقل ليس مضاعفا لمطية	الا اذا ما كان وهما بازلا

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة، وثقل الكربة، وان كان لا غربة على
عاقل، ولا وحدة لفاضل، فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء، ولم يرج لصاحبه
شفاء، وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير، وابقى له الكثير، وسلبه
الصغير، ومنحه الكبير، سلبه اخا كان يعتضد باخوته، ومنحه ابا
يجمع خير الدارين بابوته، وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد، وغاية
الايد والمدد، وزينة العدد والعدد، وجمال الدهر والابد، فسبحان
من اذا سلبنا من هوا ملك به منا اجرنا، واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر
عليه شكرنا، واذا امتحن كانت محنته خيرة، واذا منح كانت منحته نعمة
كبيرة، ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول، والكنف المأهول، والطعام المبذول
صاحب المرعى الخصيب، والقلب الرحيب، والوجه الطلق، والجناب الغدق
الشاب سنا وجلادا، والشيخ حلما وسدادا، الذي كان زينا اذا
دنا، وذخرا اذا تأى، وعدة للآخرة والاولى، والذي كان
يهين ماله ليكرم نزاله، ويبذل ديناره وداره، ليصون زواره، ويضحك
في وجه النازل عليه عند نظره اليه، كان الموت ينتقد الافاضل
ويبهرج الاراذل، وكان الآخرة تختار الاخيار، وتترك على الدنيا
الاشرار، وكان اعمار الكرام مشاهرة، واعمار اللئام ملاهرة، قال الطائي

عليك سلام الله وقفا فانني	رايت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وستراء ووفاتها ثوابا
وذخراء ولقد كانت في زمان النجابة في رجاله غريبة، وفي نسائه عجيبة
والعفاف في ذكرانه معوز، وفي اناثه معجز، والعقل في شيوخه نادرة تفقد
وفي شبانه ضالة لا توجد، فالحمد لله الذي سترها بالحياء في حياتها، و
بالثواب بعد وفاتها، فاسبل الله تعالى عليه يدنا سترين واستوجب
منا ومنه شكرين، ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخوانه، بل لاكرم بناته
فقد كانت لي من جهة ميلادها والحال بيني وبين والدها بنتا، ومن جهة
تربيتها اختا، والمستور عزيز في كل مكان، ومحبب الى كل انسان، وممدوح
بكل لسان، فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل
والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية في الاولين، و
بخديجة وفاطمة في الآخرين، وبام الدرداء ورابعة في نساء الصحابة
رحمهم الله تعالى اجمعين، ولولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب
امرها، لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية، فان ستر العورات من الحسنات
ودفن البنات من المكرمات، ونحن في زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة
فقد ستكمل النعمة، واذا زف كريمته الى القبر فقد بلغ امنيته من الصهر

وقال الاول

ولم ار نعمة شملت كريما	كنعمة عورة سترت بقبر

وقال الثاني

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا	والموت اكرم نزال على الحرم

وقال الثالث

وددت بنيتي ووددت اني	وضعت بنيتي في لحد قبر

وقال الرابع

ومن غاية المجد والمكرمات	بقاء البنين وموت البنات

وقال الخامس

سميتها اذ ولدت تموت	والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد في معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق
النعيتين كما توجعت له من تواتر المصيبتين وارجو ان تكون هاتان
الحادثتان خاتمة الكروب وقافية الخطوب ثم تجئ النعم بعدها مترادفة بل
مترادفة ثم متظاهرة بل متواترة ومتناسقة بل متطابقة فان المحن اذا تناهت
انتهت والرزايا اذا توالت تولت ولكل غمرة محنة معبر ولكل مورد غمة
مصدر وسيجعل الله بعد عسر يسرا ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا على انها تعفو
الكلوم وانما توكل بالادنى وان جل ما بمضى سأل الشيخ ان يكتب لي حصة ما
وجده من برد السلوة لا اشركه فيه كما شركته في حرارة اللدغة والفجعة والسلام

وكتب الى صديق له جواب كتابه

ما أخر جواب كتاب سيدي وشيخي جهلا بحقه اللازم الواجب ولا انكارا
لافضاله المتراكم المتراكب ولكني تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان و
البنان للجريان ويوما يحسن فيه الدهر وينشرح فيه الصدر ويقل فيه الفكر فلا
والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدي فانا الآن الهف على امسي و
ما من وقت كرهته الا وانا احن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه

وكتب الى حاكم

ورد كتاب الحاكم باملائي سرورا وحبورا وصار في جاش الميت حركة وفتورا و
شكرته على ما بذله شكرا لا ارضاه مهوا لا اساءته لو انتهت الي فكيف لا احسانه المتظاهر
علي ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها ولن يكلف الله نفسا الا وسعها وما عندنا
غير خلق لا يشترى بثمن ولا يعارض بايعه بقبيح ولا حسن وهو الدعاء
استجاب الله في الحاكم صالحه واسبغ عليه منايحه واعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب عتابا ولا قرأت عن الكتاب

المراجعة، لتكون الاولى بدرة مغفورة، والثانية كفارة مشكورة، والعتبى
عروس ليس لها غير الصلح مهر، والاعتذار سعي ماله غير القبول اجر، وقد كنت
قلت عن عرض الشيخ بنا ناحد يد المخالب و فلك عن جانبه سيفا مرهب
المضارب وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد، و يوما يتهم حياء
الغد، الا من اعين بالعصمة، واطاع راعية العقل والحكمة، والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة

قد كنت او جوان تعلق بالشيخ يا سوخر اج الايام لي وينزع نصالها الواقعة جنبي
فطالما تعلقوا المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله، وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب		فالقى له الاسباب فارتفعا معا	

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه، وكيف لا يخاف على سخطي فيه، و
كيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته، وكيف يستحسن ان
اسئل غيره بعد ما سالته، فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه
لاهل ان ينزع، وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع، وقد
كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها، فان كانت حسناء
فاين حق الزوجية، وان كانت قبيحة فاين حق النية، ولا اقل من ان يرضى
بالمجان، ان لم يشتر بالاثمان، وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان، و
ان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الاحدوثة
في البلدان، ولئن كان يعمر به بيت المال فان يخرب بيت الجمال، ولئن
كان يزيد به عدد الدراهم، انه لينقص من عدة المكارم، ولئن كان
يسمى في العامة جباية، انه يسمى في الخاصة خراية، والعبرا كفان
الموتى وسرق ادوية المرضى وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام
وزوار قبر النبي عليه السلام، احسن في الاحدوثة وابعد من العار
والنقيصة من الزام مثلي خراجا وسوم غرامة واستخراجا، وانما
يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية، واخذ نفسه

بشرائط الانسانية وغار على نفسه كما يغار على عرسه وضن بقدره كما يضن بوفره وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب وحافظ على الاقدار والرتب

وكتب الى ابى الحسين على بن داية

لم ينقطع عن كتاب سيدى مع ضنى به وعشقى له الا انه يبخل على بان احفظه واورويه ويخشى على انتحله وادعيه فعهدى به لا يبخل على الفقراء ولا يرضى لاسمه ان يكتب فى جريدة البخلاء ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب ورأى غير ثاقب فقد يكاتب الكبير الصغير فلا الكبير يصغر ولا الصغير يكبر ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه ولا يبلغ غور كتابه فقد علم ان الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة ام انه يانف لكتابه اللطيف من جوابى الكثيف فما زال الخطاء منها على مقدار الصواب وما زال توسط الحبيب ليلا على تقدم المجاب ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدى واعتاضهم منى قد شغلوا به عنى فما كنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة وينسى لكل عتيق حرمة ام لان الايام اعدته فاحسبته يقبل عدواها ويحلى بحلاها ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها ام لان سمرقند بعدت عليه والكاغد عز لديه فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغد اوقارا ويتصل منى اليه قطارا قطارا ام لانه يتكاسل عن مكاتبتى فانا اكتب عنه الى وارضى قلبى بيدى هذا اذا تواضع وقبلنى كاتبا فاما انا فقد رضيت به صاحبا على انى منتظر منه ان تعطفه على العواطف وان تعود الى نعمه السوالف فلربما غلط الدهر المسيئ الى بالاحسان وعاد على الهدم بالبنيان هذا والكتاب ملقى لا موقى تسرع اليه البلى لا محالة وتعرض له الآفات الساحقة فالماء يغرقه والنار تحرقه والريح تطويه كان الايام تغيره والدخان يسود بياضه كما ان الحك يبيض سواده والرطوبة تضره كما ان اليبوسة

لا تنفعه، فآفاته اكثر من آفات الزجاج الذي يسرع اليه الكسر، ويبطئ
عنه الجبر، وحوادثه اكبر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة، ولكل
سبع فريسة، واقل آفاته خيانة الحامل، ووقوع الشاغل، وعوائق
الفتوح والقوافل، وهذا التطويل كله ارتياد لعذر واجده لسيدي، و
ان رجلا اعتذر عنه الى قلبي، وابرز ذنبه في معرض ذنبي، لاعظم في
عيني من كل عظيم، واكرم على قلبي من كل كريم، وكان في وفيه قيل

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم	وتذنبون فناتيكم فنعتذر

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية، حتى ظننت ان الدهر فطن لايامنا في
ظله، ولرتعنا في فضله، فزاحمنا عليه، وسابقنا اليه، وسلبنا النعم به، لا
سلبنا الله نعمته، فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده، واستظل بظل
احسانه ورفده، وانما يريد الناس النوال للمال، وهو يريد المال للنوال
فالنعمة عليه نعمة على من سواه، والنعمة على غيره نعمة لا تتعداه، على اني عارف
بان الله تعالى لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب، ولا يعدل بحاله الا الى
الين الجوانب، وعلى الكريم واقية من فعله، وله حصن حصين من فضله،
فاذا زلت به النعل زلة، او صال عليه الدهر صولة، اقامته يد احسانه، و
انتزعته من مخالب زمانه، فليمد الشيخ عنان رجائه، وليتوقع الفرج في
صبحه ومسائه، وليعلم ان وراءه ربا لا يخذله، وسيرة صالحة لا تسلمه، و
سلطانا عادلا لا يظلمه، اراه الله تعالى واراني في حساده ما يصيرهم نكالا بين
عباده وبلاده، واراهم فيه من غائب النعم، وغرائب القسم، ما يتمنون العمى قبل
رؤيته، والصمم قبل روايته، واطال الغمهم ورغمهم ببقائه، وجعلهم فداه، ثم جعلني فداه

وكتب الى ابي الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

ووردت كتب ولدي على يد جماعة اصدقائه، وكافة اوليائه، وطلبت

حصتي منها فلم اجد فيها، فليت شعري كيف قصد في من بينهم الزمان،
وكيف خصني منه بالحرمان، وكيف صرت المستثنى، وقعدت على طريق لا
وكيف عدني ولسكي في الاجانب، وكنت اعد نفسي في الاقارب، وهلا اذ لم
يدخلني في جملة اخوانه واصفيائه، ادخلني في جملة شيعته واوليائه، و
قد اغتفرت هذه الواحدة، وساؤاخذه ان عاد اليها ثانية، فانا اسع عفوي
لاكثر من مرة، ولا تنال اقالتي اكثر من عثرة، هذا العمل ولا ماجرى ولدك في ميدانه
وسابق اهل زمانه، فان طلب الغاية، وبذل الجهد والطاقة، لحق السابق
وفات اللاحق، وان قصر وفاته المراد، وسبقته الجياد، وهو ابن جلا ان سبق
ابنه فلم يشكر، وان سبق لم يعذر، فليتعتب نفسه، فلا راحة مع الهمة،
وليسهر عينه فلا نوم مع طالب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان، وسكرات
الشبان، فان سكر الشباب اشد من سكر الشراب، وليكتب في قلبه بيد عقله
قول الاول: خدمة السلطان والكاسات من ايدي الملاح، ليس يلتئمان فاختر
رفعة او شراب راح، واني لاعلم ان لولدك عرقا سيرخي عنانه، ويخلف قرانه
وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به، ولكن احزم الحزمة لا يستغني
عن عظة الاخوان، كما ان اعتق الجياد لا يستغني عن ركض الفرسان، كنت كتبت
كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لساني، واتعبت في تطويله قلبي وبناني التطويل
في شكر الجميل اختصار، والاطناب في قضاء الواجب تقصير واقتصار، فلان
قد الف طوس حتى عشقها، وهجر نيسابور حتى طلقها، وتعدى طلاقها الى طلاق
اخوانه بها، وانا احسد ولدك على الخصوصية من قربه، واود لو شركته فيه كما شركته في
حبه، والحسد على مثل هذا سنة متبعة، وفي غير هذا بدعة مبتدعة،
وقد كنت اشكو الايام وهي تفارقني باخواني فرادى، وهي اليوم تفارقني بهم
مثنى، فتكلفني ان اقيم للشوق نوبتين، واوجه قلبي اليهم من طريقتين

وكتب الى زيد خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة

اصبحت ايدك الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية، ريان من كل مراد

ومنية، غير خبير انقشاع هذه الضبابة، وانجلاء هذه السحابة، فاني
يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر يذيل فرحي على غمي، ويهزم بسروري عساكر
همي، فما اسرع خبر السوء حتى كانه يخب وما ابطأ خبر السرور حتى
كانه يدب، وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل، وثلم جانب العقل، وما
اسرع الايام الى الكريم فيما يضره، والى اللئيم فيما يسره، وما ابين مجانسة
الدهر لاهله، واكثر مناسبة الجاهل في جهله، وما اشد غيظي على فلتات
الايام في الكرام، وعلى نفحات الارزاق في اللئام، وما اشوقني ان استمع من
اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكي له طربا، كما ضحكت من ضده عجبا، والى
الله اشكو حالا اضحكها سخرية، ومجازه عارية، وبكاؤها حق وحقيقة
واياه اسأل ان يفني مدة النقص فقد طالت، ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت
ويعيد للفضل الكرة، ويزيل عنه الفتور والفترة، ويصب في سمعي من خبر انحسار
دواعي هذه المحنة ما يعيد شبابي الذي ولى، ويطرد شيبي الذي تجلى فحق لمن شاب
عن سماع ما يسوءه، ان يشب من سماع ما يسره، وحق لجسم هدمه الغم الاسي
ان يبنيه الفرح اليومي وحق الدهر ان يكف فقد بالغ في العقاب، وتناهى في
العتاب، وحق لصروفه ان تنصرف، فقد اشفت وشفت واكتفت وكفت، و
رايت على ما في الامكان وانعت، وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفي ... ان لم تكفي فخفي	قد آن ان ترحمينا ... من طول هذا التشفي

على اني ارجو ان يكون في طي هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه، ويخفى
مذهبه وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها، ويستفيده منها، تمييز معارفه
من اخوانه، والوقوف على من لا يصادقه الا بصدق زمانه، واذابة المغشوش
من الدعوى بنار الاختبار والسلو، كما قال البحتري وصدق في المقال

لئن ثنى الدهر من عزمي فلم يصل	وكف من يدي الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه حببني	منهوما غضبا مما على ولي

ومما سرني والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته، وان طول مدة
الذلة والقلة لم تعتصر ما احتمل له وصلابته، وان الوحدة والوحشة

لم تقد حافي لسانه وقلبه، ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه، وان لم تصغ على تلون الزمان نفسه، ولم يلن على اكفاء عداته مسه، وانهم كتبهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته، وقد عجزوا عن تغيير همته، وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا، وقد قيل في ذلك لعلي بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما	عدوك من اشجاك حين تصانعه

حتى اجتلت عنه غبر العواقب والعرض نقي، والقلب بالله تعالى قوي، والفعل بحمده تعالى مرضي، والنفس تلك النفس الا ما نقص من مال وتضعضع من حال، والجملة فتلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا، ولا البلاء اورثها ضجرا، ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول، ولا محاورة المحنة فتضاءل، والحمد لله الذي كشف عن مقداره في ميزان الاختبار والابتلاء، واظهر عن حقيقة كيفيته في مرآة الرخاء والبلاء، والايام مرآة الرجال، والاطوار معيار النقص فيهم والكمال، والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق، وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق، ثم الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال، وعافى في الكبير وهو الصيانة والجمال، وقد قيل ما يليق بهذا الحال، من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة	ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد، وظل ينحسر ثم يعود، والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، قيمة كل امرئ ما يحسنه، انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصيب فقرهم، واكبرهم ساعة تظن اصغرهم، وهو الوزير يوم يعزل، والمصون ساعة يتبذل، والكبير بنفسه، وان انفرد عن غيره، والمستانس بفضله، وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذي	يضحي اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا	ية كان في سلطان فضله

وكتب الى ابي علي البلعمي لما فارق الحضرة وورد نيسابور

كتابي الى الشيخ وقد مضت الايام في حكمها، وانفذت في صبري وتجلدي

سهمها، والحمد لله تعالى على كل شيء الا غيبتي عن الشيخ فاني اخشى ان
ازداد منها، اذا حمدت الله لها، انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية
ليس بينها وبين الموت مجاز، ولا ورائها للبلاء مجاز، حتى لقد ركبت
غير دابتي واكلت غير نفقتي، ونزلت بيتا بكراء، واكلت خبز ابي، وحرمت
العيني، وشربت الزبيبي، ولبست الصوف في المصيف والبز في الخريف
وكوتبت مواجهة، وخوطبت بالكاف مشافهة، واجلست في صف النعال
اعني اخريات الرجال، وناظرني من كان يدرس علي، وخالفني من كان
يختلف الي، وحتى لقد نشزت علي جاريتي، وحرنت علي دابتي، وتقدمني
في المسير رفيقي الذي جمعني واياه طريقي، وحتى اني اخذت الدرهم
الجيد فصار في يدي ستوقا، وقطعت الثوب المشتري فصار على بدني
مسروقا، وغسلت ثيابي في تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وسافرت
في حزيران فعصفت الريح وسدلا فوق الضباب، وفقدت كل شيء ملكته
غير عرضي الذي عهده الشيخ معي، وصبري الذي عرفه مني، ومن لم يكن
على المحنة صبورا، لم يوجد للنعمة شكورا، ومن لم يحقر سوء ما يبلي
لم يجد حسن ما يولي، انكر الشيخ عزوف نفسي عن مواقف البذلة، و
صعوبة جانبي على من جرني الى مظنة الهوان والذلة، والادب سلطان
ينسي هيبة السلطان، واطول لعشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء
والاخوان، ولا ذنب لا وله في العفو ساحة عريضة، كما انه لا ذنب لا وله
من العذر مسافة قصيرة، وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد، و
على الغضب فانه يبعد القريب، اللهم الله رؤساءنا عنا الرضى، واتم لنا
باحسانهم الينا الحسنى، قد علم الشيخ اني مذ كنت لم يسم خدي عذار الهوان
ولم يوضع على قبتي نير التبذل في الامتحان، ولم تطرق الايام حريم عرضي
فتنهكه، ولا نالت ستر صيانتي فتهتكه، ولا ماء وجهي فتسفكه، ولقد اخترقت
البدو والحضر، ودخلت ديار ربيعة ومضر، فما رايتني بحمد الله تعالى اؤخر
عن رتبة، ولا اخلف عن الغاية في موطني رغبة او رهبة، ومعاذ ذلك

لا تعرف ولا تجمل، وفقر لا تترك ولا تستعمل، وفصول يحسد عليها الخاطر
الناظر عند الرؤية، ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الروية، وجعلت
انافس فيه البياض الذي يحتوي عليه، واغبط به المداد الذي جرى في طرفيه،
واتمنى لو كانت اعضائي كلها نواظر تبصره، وخواطر تتذكره، والسنة تكرره
على شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا، واللسان لا يزول لفظا
فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة، وعليه
دون الانام مقصورة، وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا حتى
سادهم علما وادبا، وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية، فانا الآن اعتقد
انها خراسانية وعلوية، وكنت ارى ان المحاسن في الناس متفرقة،
وانا الآن اراها في واحد مجتمعة، وكنت احسب قول الحكمي

وليس على الله بمستنكر	ان يجمع العالم في واحد

كلام مسهب، وملق متكسب، حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه، ولا
يتعذر وجدانه، وليت شعري ما ذا اقول في هذا الكتاب وقد سد علي
مسالك الصفات، وحمى على قلبي ولساني موارد التشبيهات، فاذن وقفت
وقد اجريت لساني وتوسطت ميداني ذلك على عرقي في الكوادن، وانسلخت
عما سمى بلنيه السيد بشهادته لي من المحاسن، وان جريت وقد سد على توسعة
انفاس بياني، وافترعه دوني ابكار الالفاظ والمعاني، ناديت على نفسي بانه السابق
وانا اللاحق، وشهدت له علي بانه المسروق وانا السارق، ولكن الحازم يختار خير الشرين
ويرجح بين المتماثلين، وانا استخير الله تعالى، واعدل عن الاولى الى الاخرى، فاقول
هذا الكتاب احسن من كل حسن، الا من وجه كاتبه، ومن خلق صاحبه، واغرب
من كل غريب، الا من السيد في زمان لا يسع فضله، ولا يقتضي مثله، واعجب من كل
عجيب، الا من قيامي اعزني الله مقام المجيب عن كتاب اقصى غايتي ان اذريه
واوسع خطي همي ان اروية، وانور من كل نير، الا من اوقاتي بلقاء السيد فانها
اوقات ايامهن قصيرة، وسرورهن طويل، وسعودهن طوالع ونحوسهن افول
واجل من كل جليل، الا من قصد راوية السيد الى بلد هو حال باوبته، عاطل

اللهم الا ان اكون اصبت كرم بعيني حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان
آفة من آفات الاحسان، وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب
التغير والتنكر، وسبب من اسباب التنقل والتحول، وانا والله اتهم على السيد عيني
وان كنت لا اتهم قلبي، وارضى لمودته نيتي، وان كنت لا ارضى لها طاقتي

لي لسان كانه لي معادي		ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي	
حكم الله لي عليه فلو انصف		قلبي عرفت قدر ودادي	

قرأت الفصل المسجع فشغلني الاقتباس منه، عن الجواب عنه، ولقد
عهد السيد الى كل سجعة منتخبة في زاوية، ملقاة في ناحية، فالجمها بلجام
وقادها بزمام، وغيرها في وجه سجعي الملتزق، وكلامي الملفق، وضربه
ضربا آلم الخاطر، وان لم يجرح الظاهر، وينكأ في الفهم، وان لم يؤثر في
الجسم، واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء، واشد الشكوى ما لم
يخففه الاشتكاء، ومن بلغ من البلاغة مقداره، واقتدر على التصرف
اقتداره، واحسن ان يبيع في معرض الاحسان، وان يعطي في اثناء
الحرمان، وان يمدح مدحا حقيقته هجاء، ويظهر رضى باطنه استبطاء، فها انا
ايد الله السيد قد تبذلت للعذر الفدامة، وجربت الخجل والندامة، اذا اشتهيت لقاءه
لشوقي اليه، وتلهفي عليه، آثرت غيبته لحيائي منه، وقصوري عنه، فويلي من فراقه
اذا نأى، وويلي من لقائه اذا وفى، وكما قيل يا عبرة مقبلة ويا سهوة مدبرة، ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا		على ان قرب الدار خير من البعد	

عجل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء، وخلقه
سناء، ومجلسه بهاء، وقدره علاء، وعقله صفاء، وقلبي له نقاء، وودي
له بقاء، ونيتي فيه استواء، وثواب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء
واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر، ونظم كل ناظم
شاعر، ويقع وراء ذكر كل ذاكر، وشكر كل شاكر، ولا زالت ايام تصبحه بكل
فتح، وتمسيه بكل نجح، وتلاقيه بسعد، وتصافحه بجد، وتزوره
بجد، وتودعه بجد، لياليها اسحار، وظلماتها انوار، وطوال اوقاتها قصار

ان الليالي للانام مناهل فقصارهن مع الهموم طويلة		تطوى وتبسط بينها الاعمار وطوالهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائي بان يخرج على مقدار همتي، وينزل على حكم قدري
وقيمتي، ولكني اقول جعل الله تعالى رزق سيدي في سعة همته، وماله في كبر
قيمته، وعيشته في حسن شيمته، ونعمته في كثرة نعمته، ليكون عائدها اخلا
ومدحي له مقابلا، وذكري له بالجميل من كل جانب معا ومحولا، ولتكون اقسام
وصفه متعالية واجناس فضله متماثلة، ذكر السيد انه كتب جواب كتابي من الظهر
الى العصر، ولقد استبطأته مع ما اعرفه من بعد غوره، وغزارة بحره،
ولكني غلقت لهذا الجواب بابي، وارخيت له حجابي، وضممت الى اكثر كتب آدابي
وجلست من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه، ومن بني الخصيب وبني
مقلة، ونشرت من المقابر آل يزداد، وآل شداد، وحشرت من الآخرة ابن المقفع
البصري وسهل بن هرون الفارسي وابن عبدان المصري والحسن بن وهب الحارثي
واحمد بن يوسف المأموني ووضعت عن يميني عهد اردشير بن بابكان وعن
يساري كتاب التبيين والبيان وبين يدي فصول بزرجمهر بن البختكان وقبل
ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان وزين الشيب والشبان فما زلت
اسرق من هذا كلمة، وانظر من ذاك فقرة، واستعير من هناك نادرة وثيقة،
غضب الاحياء على بيانهم، وانبش الموتى من اكفانهم، وانا في اثناء ذلك رطب
اللسان بالدعاء، رطب العين بالبكاء، ادعو الله بالتوفيق والتسديد، و
بالعصمة والتأييد، واسأله ان يحفظني من نفسي، فانها اعدى الاعداء، ومن
عجبي فانه ادوأ الادواء، ثم قمت فصليت ركعتين ختمت في كل ركعة منها
ختمتين، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم وقلت بسم الله الرحمن الرحيم
وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله، ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل
وانفقت مالي في هجو الجمل السيد ابو الحسن اكثر الله في ابي طالب مثله، ولا
سلبهم جماله وفضله، فان كون مثله في ابي طالب رغم لانوف النواصب وهيهات
لقد عظمت غلطا، وسألت الله شططا، فيجمعنا معاشر الشيعة انحس

وحظنا من الاقبال البخس من ان يفلح في الدنيا طالبي، او يبقى فيها ناصبي، ومن حصل مثل السيد والدا، فقد حصل المجد تالدا، وحق لمن كان السيد اباه، ان يكون من الكرام اخاه، فيستويا بالانتماء اليه في الميلاد وان اختلفا في الولاد، فهذا بضعة من خلقه، وهذا شعبة من خلقه، و من استقى عرقه من منبع النبوة، ورضع من ثدي الرسالة، وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة، وتبحبحت اطرافه في عرصة الشرف والسياده وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة، وتناول المعالي بيد طويلة، ويجري اليها عن غاية قريبة، لم تستكبر منه حسنة وان كبرت، ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت، فامتع الله هذا السيد بهذا الولد الذي لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا، ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة، لعلمناها من طريق القياس والفكرة فان لسان الشبه ناطق، وشاهد النجابة عدل صادق وقد تكرم الاعراق فتنجو نما الاغصان، وقد تسبق الشيوخ فتتخلف عن مضمارهم الشبان، ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا، كما زان اباه طاهر، فكم من انا سر لهم اول وليس لاولهم آخر، طولت على السيد بكلام اسفيد باجي قليل العظم، منحل النظم، داعية الى التكرار والاختصار، يمشي في طريق الاقتدار فان راى السيد ان يعير هذا الهذيان اذنا واسعة، ونفسا صابرة، و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة، وان عرفته الخاصة فعل

وكتب الى تلميذ له قصيدة يسئله نسخة قصيدة مما احدثه

وصلت القصيدة الغراء الزهراء، فكانت ارق من الماء، بل من الهواء، والذ من الصهباء، واسر من اللقاء بين الاحباء، ومن هجوم السراء، غب الضراء واعذب من مغازلة النساء، ومن مجالسة الندماء، ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء، ومن استماع فوائد الحكماء، وخطب البلغاء وقلائد الشعراء، ومن اخذ جوائز الامراء، وتحصيل مراتب الخلفاء، فكانت معانيها ابدع من الوفاء، واعز من السخاء، واغرب من النصفة في الاصدقاء

ومن الامانة في الشركاء، بل اغرب من المغرب العنقاء، والفاظها احسن من البدر
في الظلماء، واطيب من وصال الحسناء، ومن افتراع العذراء، ومن الشماتة
في الاعداء، بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى
عنهما، كنت احسن من السماء، واعذب من الماء، لا بل كانت اهنأ من الشفاء
بعد الداء، ومن الرضا عقيب البلاء، ومن النعماء في اثر البأساء، ومن استجابة
الدعاء، وتحقيق الرجاء، وفضحتها عن الوشي الوشاء، وعن الروضة الغناء،
لا بل نثرتها عن الزهرة الزهراء، وعن الغرة الغراء، وعن الدرة العذراء، و
رايتك نطقت بها وعن يمينك التأييد وعن يسارك التسديد ومن ورائك
الجد السعيد، وانما صنعتها صنع من طب لمن حب، فاني اشهد انك اطب من كل طبيب
واني اليك احب من كل حبيب، وانا صيد الكلام عن صفاء ود، ونقاء عهد، وخروج
من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية، وهمة كالية، وصحبه
من التسديد عين راعية، وقوى مواعية، ولم يكن للخطأ طريق اليه، ولا
للخطل مجاز عليه، وانما بز القول يحسنه القائل على مقدار رحصة من يهديه
اليه، ورغبته فيه، وموضعه منه، وانت ايدك الله تتحفني بها لا استأهله الا
على قدر رحصتي من قلبك، وموضعي من حبك، ولو عاملتني على طريق المجازاة
لا على طريق المحاباة، لخرج لك على غلط كثير، وحاصل كبير، وقد حملت اليك نسخة
كلمة قلتها، فرضيت بها عن شيطاني، وصالحت لها قلبي ولساني، ولعمري
لقد كلتها من جواب الدق، وورثتها من كيس اللب، وعبأتها من رزمة الخاصة
ونسجتها على منوال النصيحة، وقلبت لها جوبة التصفح والتخير، و
نشرت فيها صحيفة التدبر، ونطفت طرفها من اللفظ المستبرد ومن المعنى
المردد، وصقلتها بمدوس النظر، وجلوتها بكف الفكر، ووكلت بها من التمييز
جفنا ساهرا، ولحظا باصرا، حتى دارت في كوكب النظافة، وخرجت في معرض
الظرف واللطافة، وحتى بدت عروسا تفتن الناظر، وتعطي المناظر، وحتى
حذيت حذاء الحضرمية ارهفت، واجادها التحسين والتلسين

وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

اما قصور اجوبة كتبي فاني لا اعاتب الحاجب عليها، ولا اوجه الشكاية عنه اليها، فانا ولا كفران لله تعالى في زمان يجب ان يجري الجفاء فيه مجرى العادة والسجية، ونضعه موضع السنة بل الفريضة، ونقيمه مقام الجبلة والشيمة فننظر الى حفظ العهد بعين الشامة والطرفة، وننزله منزلة الغريبة والنادرة، ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة، على اني مذ كنت استثني الحاجب من غيره وامیزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره، واعتقد اني قد ضمنت يدي منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل، ولا عليها للحوادث والغير مدخل، فان صدق ظني فقد غرست في ارض كريمة، وبنيت مسألتي على علة صحيحة غير سقيمة وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام، وغلطة من غلطات الاوهام، وعين عابنة من عيون المجد، وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد، وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد فيه الاضلع، وذكر تفيد له الادمع، ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة ببهجته، والليالي المظلمة المقمرة بطلعته، ولا اتفكر في صغر حجم المقام، وتقارب خطو تلك الايام، الا انشدت

	حتى ابتدأت عناقه لوداعه		لما استتم عناقه للقائه	

واذا كان في قصة الشعراء، وفي شريطة الوصافين والبلغاء، ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر، كما ان غيره كبير وان لم يكبر، فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين، وقليلة من جهتين، اما الاولى فقصر الامد وقلة العدد، واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر، ونقاؤه من وضر الحوادث والغير، فسبحان من جعل محنتي زائدة على محن الناس، وفاضلة عن معايير العادة والقياس، حتى ان نقصان اوقاتي المسعودة، وايامي المحمودة، حصل مثنى مثنى، ورجحانها يحصل فرادى فرادى، كان نحوسي لا يعجبان يجيئني الا غريبة عجيبة، ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود جنيبه، وصلت الرسالة والقصيدة، وكانت الاولى ماء زلالا، والاخرى سحرا حلالا، وما منهما الا قريب شاسع، ومطمع مانع، كالشمس تقرب سناء وتبعد سناء، وتنال ضياء، وتبعد علاء، وكالماء يرخص موجودا

ويغلو مفقوداً، ورأيت فيهما من غرائب المرجان ما نقض عادة الزمان حتى
لقد قامت الحيرة منهما في وجه علمي، وحتى لقد توقفت بين فهمي و
وهمي، والآداب كلها زين، وهي إذا تكافأت أزين، والمعارف كلها حسنة
وهي إذا تقابلت أجمل وأحسن، والكتابة آلة عجيبة، وهي من الشاعر أعجب
كما أن الشعر صناعة غريبة، وهو من الكاتب أغرب، وإذا ورد علي من
الحاجب كلام فضلته على ما قبله، واستثنيت من التفضيل ما بعده لعلمي
أنه قد امتطى من الإقبال مطية لن تقف به إلا على الغاية، وسلك
من السعادة طريقاً يؤديه إلى الزيادة، وابتدأ في ظيفة من الجمال لن
تختم له إلا بأقصى غاية الكمال، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعله في هذه
الصناعة نجماً يهتدى بأثره، ودليلاً يورد بورده، ويصدر بصدره، وأن
يقيم لكلامه علماً يومئ مقه البعيد، ويستدل به القريب، إنه قريب مجيب
والحمد لله الذي جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح المعلى، ويسمو فيها إلى
الشرف الأعلى، ولم يجعل فيه موضعاً للولا ولا مجالاً لإلا، فإن الاستثناء
إذا عرض في الكلام نضب ماؤه، وكدر نقاؤه وصفاؤه، ونطق فيه حساده
وأعداؤه، ولذلك قالوا ما أملح الظبي لولا خنس أنفه، وما أحسن البدر لولا
كلف لونه، وما أطيب الخمر لولا الخمار، وما أشرف الجود لولا الإقتار، وما
أحمد مغبة الصبر لولا إفناء العمر، وما أطيب الدنيا لو دامت واستقامت

ما علم الناس أن الجود مكسبة	للمجد لكنه يأتي على النشب

وكتب إلى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

ورد كتاب الشيخ فأورد من السرور أضعاف ما كان فيه من السطور
بل أعداد ما كان فيه من الحروف بل أضعاف ذلك بالألف بل الألوف، وفهمته
أما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرون وينسخون كتبي إليه
فإنما حملهم على ذلك عجبه بي، وصار سبباً لعجبه بكتبي، وصار ذلك
داعية الناس إلى عجبهم بها، وحاملاً لهم على انتساخهم لها، وهم في ذلك

ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره، وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذ انسبه الى مجانسة الدهر، ويرد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون والغدر، وانا الآن في هذه الجملة واقف وعهده بي لا اتواضع لمذهب الواقفية، ومن جحد ما كانت تطمع في مثلي شباك المرجئة فكيف عاتب سيدي بل كيف عاقبه بل كيف خاصمه وواثبه بل كيف اطاعنه واضاربه واقام اجتنه على غيبته انى كنت معتزليا، فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا، هذه اصغر جناياتي فراقه على اقل صنيع وداع الى، ثم انى بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره، اما طول ليلي فلتذكر طول غيبته، واما قصره فلقطعه بتمني اوبته، واما قلة انسي فلبعده عني الآن واما كثرته فلتمثلي قربه الآن ولتصوري طلعته في قلبي وعيني، ونظري اليه عن مرآة من هاجسي وظني على انني ارجو ان خطوا ايام الفراق قد قصرت، وان حجمها قد صغر، وان سيدي وارد قبل ان يبرني بالجواب عن هذا الكتاب ولعمري لئن ورد على قبل ان يكتب الجواب الى لقد بر الكاتب وان عق الكتاب فيكون قد بر بالكبير الكبير، وعق في الصغير الصغير، ولان يونس عيني بلحظه احب الى من ان يؤنس سمعي بلفظه، وان كان كلامه في نفسي ماء زلالا، وفي اذني سحرا حلالا، وكلام الحبيب حبيب وكل شيء من القرب قريب قال جرير

ان البلية من يمل كلامه	فانقع فؤادك من حديث الوامق

وقال غيره

واذا كرهت فتى كرهت كلامه	واذا سمعت غناؤه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املأه بالكلام الغث، وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث، ورأيت رثاثة بلاغتي اقصر، وقيمة الفاظي التي فيها اقل واحقر، من ان اعرضها النظره، وامرها على سمعه وبصره، و اتعرض بها لخطة اسلم طرقها طريق العذر، وآمن مسالكها مسالك التغافل والستر، ومن فطن لعيبه فقد استتر، ومن عرف نبه فقد اعتذر، ومن

مديدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف و
قعد على قارعة التقريع والتعنيف وسيك يعتذر عني اليه ويقرأ سلامي عليه
ويعرفه عني اني اعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها واعد الرساتيق قصبة
اذا اقام فيها، واني لا آنس بشيء اذا غبت عنه، كما لا استوحش من شيء اذا
قربت منه والله تعالى اسأل ان يرد على نيسابور بهاءها، ويعيد اليها بطلعته
سناها وضياها، ويجلي بشمسه ظلماها، وان يجعل نعمته عليه الوفا لا
عزوفا، فان النعمة اذا الفت قرت، واذا عرفت فرت، لانها لا تألف الا مكانا
تتزين بنزوله، ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله، ولا يطول مكثها الا
في بيت للشرف فيه مجال وللمادح فيه مقال وللادب فيه ممرح، ولعصا
الامل فيه مطرح، فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال، و
نسيت حديث الزوال والانتقال وخالطت خلطة الشركاء وواصلت وصلة
الاقرباء، وصارت من الاجداد الى الآباء ومن الآباء الى الابناء، واذا كان
نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء، وانقبضت
انقباض الاجانب البعداء، او تقلبت الى الارتحال واقامت بين الدلال والادلال
ولم يكن مقامها الا عدد ايام، واضغاث احلام، وانما النعمة انثى ان اصابت
كفوا نكحت، واذا صادفت غير كفوء سافحت، فهي تقيم مع اكفائها الشهر
والدهر، وترحل عن غير اكفائها الظهر والعصر، واين يقع مقام الخليلة
خليلها، وان ما اسسه الحق وبنته الشريعة خير مما اسسه الباطل وبنته
البدعة، والله تعالى يطيل بقاه، ويجعل من يحسده فداه

وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن ابي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارا بعد ان اراد والقبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده

ما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه	جر نفعا ترتجيه	خفي المحبوب منه	وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله، ولا اقف على حقيقة تاويله، وارى ظاهره، ولا

استشف باطنه ، حتى خرج من خروج الحاكم ... ووقى الله ... الكيد
في ذلك ما وقى ، فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده في طرق
خفية المذاهب دقيقة الجوانب ، وان السلامة ربما نشأت في معرض الخطر ، و
ان الامن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر ، وانا شيئا امرّ ان نسعيه ثم
ما ندري وما لا ندري ، وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسير ، وان الاجتماع معه
يضير ، ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء ، ولا ان الدواء يجلب داء ، ولو رأيت
في المنام اني فارقت الحاكم ، لم ينفطر عليه كبدي حرقات ، ولم تذهب نفسي
في اثره حسرات ، لتعوذت بالله من شر منامي ، وسألت العافية من طوارق احلامي
ولظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكر ردي ، وبخار خلط سوداوي ، واني انما دفعت
في منامي الى مشاهدة هذا التخليط ، لاكل الباذنجان والقنبيط ، فانهما منابع السوداء
على مذهب الاطباء ، والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين
قليل الحزن جلد على وقع سهام البين ، لاني رأيت العافية وهي متعلقة بذنب
رحيله عنا ، والى البلايا وهي مشتملة على قربه منا ، فاخترت على مقامه
رحيله ، وآثرت اغتنامي له ، وقلت يا عين لان ترى فراق ما تحبين خير من
ان ترى في من تحبين ما تكرهين ، فالحمد لله الذي اقصى بي من المكروه الى الخفه
وفعاء ، واقله لذعاء ، وانتهى بي من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر
ولم تستوعب بعد غايات التجلد والصبر ، وما نقص من الشر ، فهو زائد في
اقسام الخير ، وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره ، ومحمود وان
ذم عاجله ، وما كنت احسبني اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء ، و
اتكلم في مواقف الضراء ، بما يتكلم به في مواقف السراء ، ولقد اغرب علي الدهر
وما كنت اظن يغرب علي ، ويزيد من بوادره علي ما لدي ، هذا ابد الله الحاكم وقد
بث الاعداء شباك الغدر ، ونصبوا حبائل المكر ، واستفرغوا في السعاية جهدهم
واخرجوا اقصى ما عندهم ، فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع في البئر من حفرها ، وان
لا يحيق المكر السيء الا بمن مكر ، وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال
خروج المشرفي من الصقال ، وقد فديت عنه عين الزمان ، وقصرت

جلالة قدره، وكل كمال بدره، ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء، لا
الاصدقاء، فاما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة
توجب زيادة الصدقة، وفضل المال يقتضي فضل النوال، والتواضع في
الرياسة، احكى شبائك السياسة، فاقرأ اعزك الله تعالى سلامي عليه و
عرفه اني قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار، والحفظ غير كليل
الغرار، فلما سلبني الدهر ثوب الشباب ومزق على رداء الجمال والكمال نسيتها فلما
عاملني سيدي فلان بما ذكرته وذكرتها ولقد احسن الي من حيث رد رواتي
علي وان كان اساء بي من حيث ارتجع مني بره، وجانس في دهره، وقد يتاتى
له اثناء كل مساءة منه مسرة، وفي ضمن كل جفوة منه مبرة، ومن اذا احسن
كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب وريب وان اساء
كانت اساءته بالاحسان مشوبة، والى غير جهتها مقلوبة، والابيات،

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ	يفيد غناء لا ولا خله كبر
ولا التوى وظن انك دونه	وتلك التي جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة	صديق ولا اوفى على غمرة اليسر
وما ذاك الا رغبة في وصاله	والا حذارا ان يميل به الدهر

وكتب الى ابي القاسم الداودي اول ما افتتح بمكاتبته

كتابي وعزيز علي ان يجمعني والفقيه بقعة، او تشتمل علينا جملة، والكتابة
فيما بيننا دارسة الاثر، مهملة الورد والصدر، واشد على من هذا ان افتتح
ذلك بسؤ الحاجة، او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة، ولقد حاسبت على
هذا نفسي وعاتبت فيه قلبي فرايت ان جفاء يؤدي الى البر وان ذنبا
ينتسب الى العذر عذره وان حاجة حملت على طي بساط الحشمة، وعمارة
طريق المكاتبة والمباسطة لحاجة عظيمة البركة محمودة التفصيل والجملة فعذرت نفسي
اعزني الله تعالى قبل ان تعتذر، وغفرت لها قبل ان تستغفر، ونسيت قول الاول

وما احسن ان يعذر المرء نفسه	وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي ولم يسافر بين جنبي وقلبي و
حتى كأني لم ادرسه صغيرا، ولم ادرسه الناس كبيرا، وحتى كأني لم ار الديوان
الذي هو فيه، والشعر الذي هو بعض قوافيه، والعجب لي في هذا
الفصل بينا انا اعتذر، اذ صرت افتخر، وبينا انا اضع من نفسي لجنايتها
اذ صرت اعد لها الحفظها وروايتها، وهكذا من جمع بر قلبه وبنادره و
استنزله تبيينه وبيانه، بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو
راجل، ورمى في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل، ثم نرجع الى حديث
المكاتبة، والله لو كان من الورق اعوص من الوفاء، واغرب من السخاء و
القلم اغلى من الماء، في وسط الدهناء، واقل من المغرب العنقاء، واعوز
من الكمال في النساء، ومن الصدق في الشعراء، ومن ترك الربا في القراء، والحبر
والمداد اضيق من الانصاف في الاصدقاء، وحسن العشرة في الندماء
بل اضيق من امانة الشركاء، بل اضيق من خاطر ابي تمام حيث قال قد لك
اتئب افرطت في الغلواء، حتى كانه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء
لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه، وبيني وبينه ثلث الخريطة ومسيرة سبع
للقافلة، هذا في الظاهر فاما في الحقيقة فبيننا الف فرسخ بذراع الميل وخطوة
الفيل، فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيرة، ومراحل طويلة عريضة
ما زلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي

يا اهل بابل ما نفست عليكم	من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد	وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصوفين او الرافدين او على الرطب السابري
والتين الوزيري والعنب الرازقي او على فرضتهم من ماء الساج والعاج وطرازهم
بنوع الخز والديباج، لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير
المؤمنين سيد الاوصياء، ومشهد الحسين سيد الشهداء، وهلا حسدهم
على ان ارضهم واسطة العمارة في خط الاعتدال بين الجنوب والشمال وهلا
حسدهم على ان الرأي كوفي والاعتزال بصري والخط انباري والحنا سوادي

والتشيع عراقي، وهل احسدهم على قراء الكوفة، وعباد البصرة، وابدال الابلة
وعلى من هاجر اليهم من الصحابة، ونبغ فيهم من التابعين وابدال الامة، وما
الذي خالف به الى ان حسدتهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان، وعلى
قينتين كسائر القيان بكل مكان في كل زمان حتى حدثت نفسي بمناقضته و
حملت خاطري ولساني على معارضته، فاذا انا جالس تحت قول الطائي

نقضنا بالحطيئة الف بيت	كذاك الحي يغلب الف ميت
اذا ما الحي هاجى حشو قبر	فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي وعقل طبري وخاطر اعجمي من
لسانه عربي وعقله قرشي ونشوه مكي وظرفه مخزومي فعدلت عن المعارضة
الى المناقلة، فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن
معاوية الجعفري فيكم وكون ابي القاسم الداودي منكم وحصول شراب الكشمش
لكم وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام معلاة السهم من بين
السهام غير عاتبة على الحظوظ والايام فلا زالت البقاع ببقائه تضئ وتزهى و
الايام بجماله تتباهى وتفخر، ولا زالت الفصاحة من لسانه في مسكن لا تريد منه بدلا
ولا تبغي عنه حولا، ولا زال العلم يأوي منه الى ركن منيع وجناب مريع واطال الله
تعالى للمحاسن بقاه، ولا سلبه زينه وبهاه، وجعل من يحسده فداه

وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك، بشارة لو تصدقت لها
بمالي وذبحت لها على وجه القربان اطفالي لكان ذلك صغيرا اجلالا، ومباحا
مبتذلا، وفي ضمنها القصيدة التي كبرت بل صغرت، وقلت بل كثرت اما كبرها
وكثرها فلجلالة قدرها وعظم امرها، واما صغرها وقلتها، فلانها في جريدة
الشعر وحدها، لا مثل لها قبلها ولا بعدها وفهمتها وتعجبت من اعتذارك
بالعلة، وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا، ولا نقصتك الا نقصانا
ونقصان النقصان اول الرجحان، كثر مدحي ايدك الله تعالى لما يرد على

من نثرك وشعرك، بل درك وبحرك، حتى خشيت ان يحسبني ازف مدحي
الى كل خاطب وابذل ثنائي لكل طالب وان يظن اني قارضك الثناء و
صارفك الجزاء، ولا والله ما لي للدنيا استحسان الا والى جنسه احسان، و
اني لضيق ذرع التزكية والثناء، قصير خطى المدح والثناء، محاسب لقلبي
اذا مال ولساني اذا قال لا امدح الا مجيدا وحابكل لسان ولا ارضى الا
مرتضى بكل مكان ولا اقبل مدلس الفضل ولا ابيع مغشوش القول والفعل
ولا يستفزني رعد كل سحاب ولا يستخفني طنين كل ذباب وسرعة الثناء
طريق من طرق الخفة، وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق
والمجازفة بحساب المقال اقبح من المجازفة بحساب المال لان الغلط في
المال سماحة وندى والغلط في المقال حماقة وعيا، واقصى غايات فوات المال
ان يكون صاحبه فقيرا، وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه
سخيفا حقيرا، وبين الخسرانين نفس مديد وبون بعيد ومن لم يعرف
صرف ما بين النقصانين، لم يعرف صرف ما بين الخسرانين ومن لم يحس
بنقص ما عليه لم يحس بفضل ماله، ومن لم يحاسب نفسه سرا حاسبه غيره
جهرا، ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبيين جمحا به
الى غاية اولها ندامة، وآخرها ملامة، جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم
يضع زمام كلامه في يد هواه، واذا شهد لم يلق شهادته في عنق سخطه
ورضاه، وحشرنا في زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين واذا سكتوا كانوا سالمين
انه ارحم الراحمين رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة نظمك ايدك الله
تعالى احسن من نثرك ونثرك احسن من شعرك فكل واحد منهما عيار على صاحبه
حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا، فالحمد لله الذي جعل بيانك متكافئا في الشرف
متعادل الظرف والطرف وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها وبعض فنونك قبلك
منعوتة ببعضها، ولو انصفتك لاحببتك بقلبين ومدحتك بلسانين
كما انك تحسن الي من جانبين وتبرني من لونين ولكن الى غاية ينتهي المدح و
عند طاقة يقف المجتهد، فاما اعتذارك بالعلة من توقفك دون الغاية، وجريك

في بعض المحاكبة، فاحسن من المحسن استزادتك منه، واجمل من الجميل اعتذارك
عنه، والكتاب مذ ورد يد ورق في العيون والافهام، ويسافر دون الدوى
والاقلام، وفهمت الفصل في حديث المصيبة، وانما كانت نازلة طرقت ثم
مرت، وشقشقة هدرت ثم قرت، واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته
ووازنا بين طرفي ارتجاعه وهباته، خرج له علينا حاصل كثير، ولكن الانسان
الى الشكاية اعجل، وطريقها عليه اسهل، ولقد اعطتني الايام حتى صرت
لا احمدها اذا وهبت، واخذت مني حتى صرت لا اذمها اذا اخذت وسلبت

وفارقت حتى ما ابالي من انتوى	وان بان جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي	وعيني على فقد الصديق تنام

وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصير اليه

كتابي وقد كنت اخرج الى اخواني من عهدة تقصيري، واقر لهم بما في من
عيب تفريطي وتعذيري، واعرفهم اني في تعهدهم دون مقتضى حقوقهم
واخرج مما اريده في برهم الى عقوقهم، حتى اتفق الان من ورود فلان، ما
كشف عن غيبي، وابرز من عيبي، ونادى علي باني صديق مقال، لا صديق
فعال، وان مودتي مجازية لا حقيقية، ولسانية لا قلبية، واقل ما يجب على
وقد حضر مثله في داري، ان انثر عليه صك عقاري، ثم اعتذر اليه
من قلة نثاري، وان اعتق على وجهه كل نسمة احتويها، واحل له كل
عقدة اتصرف فيها، واصبح صائما، وابيت قائما ثم اعتذر في ذلك كله في جنب
الواجب هباء منثورا، وقليلا محقورا، ولقد كنت تذكرت وروده على حين
رجوته وتمنيته، ثم خفته واتقيته، اما رجائي لاحياء اللقاء، واما خوفي له
فعلما بقصوري عن بلوغ رضاه، وضعفي عن اقامة شرائطه ما يقتضيه حبي اياه

وكنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

واما ولد فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة، ودرة يتيمة، وقلبته عن

عقل كثير، وادب غزير، وشعر يحسده عليه الاعداء، وتغبطه به الاصدقاء
يلتقط بالابصار ويخزن في الافكار، وقريحة اصفى من ماء السماء، و
اصح من الوفاء، فهو بحمد الله على قرب سناده، وحدوث ميلاده
شيخ قدر وهيبة، وان لم يكن شيخ سن وشيبة، ووالده من حيث الذكر والفخر
وان كان ولدا من حيث العرق والنجر، ومثل والده فلان خرج فاغرب وادب
فهذب وولده فانجب، ان الاصول عليها ينبت الشجر، وليست النجابة في
هذا البيت موروثة عن كلالة، ولا خارجة عن رسم وعادة، امتعنا الله
تعالى بهذا الولد الذي سبق الاولاد، واحيا الاباء والاجداد، وارغم
الاعداء والحساد، وكتب اسمه في حسنات الايام، بل في حسنات الانام
كما كتب شعره في محاسن الكلام، والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرتهن
به بقاءها، ونتمنى معه بهاءها، فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت
واذا قيدت بالكفران قامت فظعنت، واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من
نيل المراد، ولكنها اقصر من ساعات الاعياد، ولكني لم استتم عناقه للقائه حتى
ابتدأت عناقه لوداعه، وما كان قدومه الا تهييجا للشهوة، وتطرية للشوق و
الصبوة، وذكاء للقريحة التي كانت تفرقت بالصبر والسلوة، وسبحان
من جعل فراقه بالمن الرازي ولقاءه بالمن البغدادي وجعل مدة غيبته مشاهرة
ومعاومة ومدة اوبته مسايعة ومياومة ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق في
اوزان مدة التلاق وكان السم بازائه الترياق، سألت فلانا عن جسمه سيكفي
صحته وعلته وفي ضعفه وقوته فعرفني ما سرني فلا زال صحيح الخلق كما هو صحيح
الخلق، وقوي الجسم كما هو قوي الدين والعلم، وسليم الاعضاء كما هو سليم
الود والوفاء، ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء، وتتفاضل حسنا وضياء، يومها
فوق امسها ودون غدها، وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذي ارجو وآمله	اما الذي كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرئ ودعته	واتم نعمته عليه وزادها

وكتب الى صاحب البريد بالري كتبها من اصفهان

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب هين الوقع، قليل العبء والثقل، خفيف الكل والظل، حتى دهيت بفراق سيدي فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جهلته، ووجدت من شخصه ما كنت اضللته، وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة، وتذكرت قول جرير،

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم	هذا الفراق فعلت ما لم افعل

ولكني لو علمت اني قعد تحت اعباء الاشتياق، وانفسخ تحت ثقل الفراق لصحبت سيدي فراشا او ركابيا او طباخا او شاكريا، ولو وسعت اكثر من ذلك لصحبته كاتبا او حاجبا او نديما او صاحبا، او مغنيا او ضاربا، ولكنني اخشى ان يتفضل سيدي بقبولي وينشط لحضوري، ويجلني عند المشاهدة على شرائط المحبة، ويتقدم الي بالخروج من العهدة ويقول بها المبرز علينا نفسه في معرض الدعوى العريضة، دونك فاكفف عما ادعيت او فاكفف عما حكيت وعد واضرب عما اظهرت وابديت، فاذا بسيدي ابي بكر اخجل من جزاء تكلمت ومن فوهاء تبسمت، قد جلس على قافية الدهش والتحير، وفتح جواب الخجل والتشور، وحك لحيته خجلا، وعبث بلحيته ارتيادا وذهلا، واخذ يتشاغل بالحديث عن السدي وعن الحسن البصري وعامر الشعبي وينشد

تقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الاخجال ومن سقطات المقال ومن دعاوى المحال، سبحان الله ليت شعري ما الذي جر لي كل هذا الهذيان، وما الذي حملني على ان اركض في عرض هذا الميدان، وما الذي مال بنا من ذكر الاشواق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث، والكلام الرث، وهكذا من يركب بجواد وليس بفارس، ويكاتب وليس بكاتب، ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها، ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى اهليها، ولم يعتق قدمه فيها، قد خرجنا الامر هذا الميدان، ورجعنا الى باب هذا اليوم

والغربان، وانا والله اشوق الى سيدي منه الى احراز خصل المجد، وتحصيل قصب المجد، بل اشوق منه الى الاحسان الذي هو اخوه وشقيقه، والافضال الذي هو شريكه ورفيقه، بل اشوق منه الى اصفهان، والى فراق خراسان بعد ما عاين من تفاوت احوالها، وسخافة رجالها، وحقارة اعمالها بل عمالها، ولو لم يرَ سيدي فيهما من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب، لكان كافية في هذا الباب، المخلوقون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولي اليهم، وعرضت مالي وقليل جاهي عليهم، فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعد ما رايت من انقباض سيدي عمن كان لا يبخل عليه بملك خراسان، وتاج انوشيروان، وصرح هامان وطرازي قاشان وخورستان وبعد ما عوض عليه ما يملك عوضا غير ساير، وبذله بذلا غير مجازي، والانقباض في غير مكانه توكيد للحشمة، وظلم للود والثقة وقطع لعلائق المباسطة والمخلطة وكذلك الانبساط في غير مكانه استهناف للهوان، واكتساب للمقت والشنان، وفتح لباب الهجران، وتعرض لقطيعة الاخوان، والسلام

وكتب الى اردهال وقد ورد عليه خبر علته

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغ مني ما لم يبلغه شيء قبله، ولا يبلغه شيء بعده، واردت ان ارسل اليه في ذلك رسولا، وافرد نحوه كتابا ثم رأيت في قرائته للكتاب تعب ناظره، وفي وصول الرسول شغل خاطره، فابقيت عليه بقية تحتها جفاء، وراعيت حقه مراعاة في اثنائها تغافل واغضاء، وقد ورد الان خبر افاقته من علته، جعل الله تعالى ذلك آخر محنته، واول نعمته، فكاد يسرني بالاخرى في وزان غمي بالاولى لا غم الله في الشيخ اصدقائه وحرس من الحوادث حوباؤه، ومن الغير فناءه، ولا اراني الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الظفر، لئيم الظفر، دقيق المنظر، حلو المورد، مر المصدر، معين اللئام على الكرام، والليالي على الايام، ميلا منه على الضوء للظلام، تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ما وجده لكتابي عند الشيخ من ايجاب

ولحاجتي من إسعاف واطلاب، حتى قلم عنهم أظافير الأيام، وقشع لهم ضبابة
الاهتمام، وأراهم من النجاح ما لم يروه في المنام، وهذه نعمة احتاج لها إلى دهر أوسع
من دهري، وإلى عمر أنفس من عمري، وإلى شكر أبلغ من شكري، فأما هذا الدهر وهو
العمر النزر، فما يسع أن أشكر فيه جزاء، اللهم ارزقني زمانا أوسع من زماني، ولسانا
أفصح من لساني، وبنانا أجرى من بناني، حتى أقضي بالشكر حقوق إخواني
فلا بذل إلا بجود، ولا جود إلا عن موجود، ولكن الدعاء غاية من ضاق
إمكانه، ولم يساعده زمانه، وقطعت عن مسافة همته خطوة جدته، وبه
يكافي من قلت بسطته، وعجزت مقدرته، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل الشيخ
غاية لسؤال كل سائل، ومثابة الأمل كل آمل، ورحلة كل راحل، وأن
يجعل ألسن أصدقائه، مشغولة بشكر آلائه، كما جعل قلوبهم مشغولة بحبائه
وأنفسهم مرتهنة بنعمائه، ويجملهم بل يجمل زمانهم ببهائه والسلام

وكتب إلى يزيد صاحب سمرقند

صدر عني إلى حضرة سيدي كتابان أحدهما عامي والآخر خاصي، فلا جرم حرمت
جواب الماضي ولم أرزق جواب الثاني، وقد انتظر غير ما جاءني به الزمان وعارضني
به الحرمان، لأن الزمان لا يستحق مني حسن ظن، ويستأهل أن أصيبه بعين
مع ذنوبه إلى التي إذا ذكرتها كانت غيبة سيدي أولاها، وانقطاع أخباره عني
وسطاها، ولكن لأني كنت أظن أن سيدي يغلب بكرمه لومه، وبحزم يمينه سومه
ويحولني عن شكايته إلى شكره وينقلني عن حربه إلى صلحه، فالحمد لله الذي جعل
سيدي كأهل زمانه، وإن قدم عليهم بفضله لا قرانه، وأخرجه من وحشة
الوحدة إلى أنس الجماعة، ونقله في معاملته إلى عن قبح البدعة إلى حسن السنة
لخلطته بهم، وشكوته شكايتي إليهم، وقلت فيه قولي فيهم، فيا سبحان
الله في أي طالع ولدت، وعلى أي بخت رزقت، فحيثما أواصل أرى
صدا، وأينما أتوجه لا أرى سعدا، قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين	الحمد لله حتى أنت تجفوني

قد كنت منتظرا هذا فجئت به	وليس خلق على غد ربما مأمون

وانا اقول

قولا لمولاي في الدنيا وفي الدين	الحمد لله حتى انت تجفوني

وصرت انا قصر ابن المعتز في شعره، طربا مني على مخاطبة سيدي وذكره، و
الطرب يرخي العنان، ويبصر العميان، ويجرئ الجبان، ويجري اللسان
والبنان، لا زال ذكر سيدي يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم، ويعربوا وهم
عجم، ويفصحوا وهم غتم، ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه
او يمنعه، ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه، وحرصا على غريبة من
غرائب لسانه واقلامه، واطال لهم بقاءه وصل ام صرم، اعطى ام حرم
اهان ام كرم، انصف ام ظلم، فلا خير في حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب
على الكدر ماؤه، وانما العشرة مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصا
والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف، ولكني انما اعاتب سيدي
لاتوصل بذلك الى حلاوة اعتابه، واخاطبه بما لا ارضاه لاتسبب
به الى ما ارضاه من جوابه، وارجو ان الناس يغتفرون سوء الابتداء لحسن
الجواب ويعلمون ان الخطاء اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب
ليت شعري ما الذي ورد على سيدي من عمله، وهل أي صيده ام قيله
ووجد سعدا ام سعيدا، ويا ليت شعري ما الذي استفاده بعدنا من الاخوان
ووجده في سؤال المودة والخلصان، وعهدي به يلتقط الاخوان التقاط
الحب وينتقيهم انتقاء اللب ويدخرهم بين العين والقلب ويعدهم الكنز
الذي لا عدم فيه للزمان، والركاز الذي لا نصيب فيه الى السلطان،

وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير

كتابي وانا بما يترامى الي من اخبار نعم الله تعالى على الوزير في حله وترحاله
وسائر متصرفاته واحواله قرير العين قوي الظهر شديد الازر راض من
افعال الدهر اسمع كل يوم بشرى واحتمل للايام نعمى فاما احوالي

فتمسكه ببقاء نعم الوزير عليّ وآثاره لديّ فان فارقتني امطاره فاكثر عهدانه
ما نضب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن ان اقرعه
بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من ان اجيله في الخط السقط وعلما مني اني
اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته واذا جفوته فقد بررته حتى ورد علي
خبر حركته الى هذه الوجهة التي ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها ازمة
الآمال واستظهر عليها بعساكر الايام والليالي فلم اجد بدا من الاذكار
بنفسي التي انما ارتبطتها لتلك الخدمة وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة
ولعمري اني لا اعرض منها ماء راكدا ومتاعا كاسدا ولكن الوزير بصدد حرب
وعارض خطب والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة
وعتادا والعامة حشوا وسوادا وقد شمرت ايد الله الوزير ذيل المحارب
ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما و
اذا ورد علي لهاذن طفرت الى عسكره طفرة تطوي المراحل وتأكل
المناهل بعد ان حصلت من العتاد والعدة ومن الشوكة والشكة
ما ينظم شرائط اوس بن حجر الكندي ومزرد بن ضرار الثعلبي قال اوس

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما … رأيت لها نابا من الشر أعصلا

وقال مزرد … وعندي للحرب العوان مهند

هذا غير ما عندي من العدة التي يصنعها غير الله صانع ولم يبعها غير
الايام بائع على ايد الله الوزير من انتماء اقبالي الى اقباله درع لا تصدعها
الايام ولا تنفذ فيها السهام وعلى رأسي من واقية دولته مغفر لا تعمل
فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من صنعة يمينه وبركته
قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من صقال نعمته سيف يقطع
الآجال لا الاوصال ويهزم الاقدار لا الرجال وتحتي من نتاج شوقي
اليه فرس اذا سرت به طار واذا وقفت به سار الشوق عنانه والايام
ميدانه والعجلة سرجه والسوط لجامه والعزيمة لببه وحزامه

فان اذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة، المكنوف بجوانب
الدولة والكرة، رأى مني بحمد الله تعالى فارسا ملأ العين كما سمع مني عالما
ملأ الاذن فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان
وفروسية السيف والسنان ويكر في معركة الطعان كما يكر في معركة
البيان ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان فان الاقبال ربما التقى
طرفاه، والكمال ربما اعتدل جانباه، والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسراه،
واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين وسايق الرهانين وكانت يده
تجيل قدحي الشجاعة والكرم، وتجمع بين السيف والقلم وتحذو آداب العرب
والعجم ولم يكن القباء الىق به من الطيلسان ولا الدفتر في يده اخلق من
السيف والسنان فلابد لنا معاشر تلامذته من ان نرقى على درجه، و
نمشي في منهجه، واذا كانت حياة نفسها الله تعالى حياة امة ونفسها جعلها
الله تعالى مقسمة من نفوس جمة فلابد من ان تفدي تلك النفوس بنفوسهم
وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤسهم وان يخدموه في مواطن
المنايا كما خدموه في مواهب العطايا، وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا، كما
بذل معهم مجهوده نوالا، وان يبتذلوا فيه النفوس الكريمة كما ابتذل فيهم
النفايس العظيمة، هذا واجب في قضية الكرم والمجد لازم في شريطة
الوفاء والعهد على اني اظن العدو اذا اظلته تلك الراية المنصورة بخطو
خطوة اولها جرجان وآخرها خراسان تقبلا الاولية وجريا على تيرة ابيه
فما اعقل من ان يقتدي فاه ويخالف اباه ومن خالف والده فقد نفاه سيهزم
من رجل طالما هزم، وينهزم ابن رجل طالما انهزم ومن اشبه اباه فما ظلم

وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملي اعباء نعمته، والمتسمين بسمة جملته
اذا صدئت قرائحنا وفسدت اذهاننا، جلوناها بمجالسته وغسلنا عنها
وضر التغير باتباع طريقته، وسسنا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته

لبطانته ثم لرعيته واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه
منه وان نجلب اليه ما جلبناه عنه وان نقيم انفسنا مقام المتعلمين وان نحمل
اليه مواعظ بذله كلامه منها ابرع وبداية توقيعاته منها ابدع ولكن
لابد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه بما يترجم به عن ودائع صدره ويعبر
عن نيته وسره ولابد لمن شارك ربيبه في ايام الرخا والمواهب من ان
يشاركه في ايام الغموم والمصائب ليكون قد خدمه في النوبتين وتصرف
معه في الحالتين واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين و
بلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين ونفذت الي سهام الفجيعة من
طريقين اما احدهما فهي اني اغار على هذه الجنبة الكريمة وعلى هذه
الدولة المستقيمة من ان ينفذ فيها رمية الزمان او يتناولها يد من ايدي
النقصان واما الثانية فهي اني علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء
ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء تضاعف اذاؤها وزادت اعباؤها وانما
الفهم سم ترياقه المباثة والموت خرق رفوه التسلية والتعزية قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة		من الوجد او يشفي نجي البلابل	

واذا كان لابد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال ولابد من عوذة
يعوذ بها وجه الجمال فلان تكون الواقعة في الصغيرة خير من ان تكون في
الكبيرة ولان يقع سهم الزمان على النسوان امثل من ان يقع على الذكران
فالحمد لله تعالى الذي جعل في طي المحنة منحة ومزج الترحة بفرحة فستر
عورة من حيث سلب نساوة نزهة وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة وابقى
الكبيرة من حيث اخذ واحدة صغيرة وجل والدا من حيث اثكل والدة
وهذا تكون مصائب المقبلين المجدودين فان الدهر اذا اساءهم في القليل
احسن اليهم في الجليل واذا كاشفهم في الخفي المستور صانهم في الجلي
المشهور والذين مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا وخالصة بحتا
والدهر يعلم اين الزبون ومن المغبون وانا اسئل الله تعالى ان يجعل المتوفاة
لوالدها فرطا واجرا وكنزا من كنوز الجنة وذخرا وان يجمع بينها وبين

البتول السيدة فاطمة بنت الرسول وبين خديجة الأسدية، وآسية
الاسرائيلية، بنات الأكرمين وأزواج المرسلين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين
وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته، وتقضي في والديه وأهل بيته
حاجته ويعوض عنها الشيخ أخا لها سوي الخلق والخلق شريف الفعل و
العرق ليستوفي الشيخ في يومها أجر الصابرين وفي غده جزاء الشاكرين
وليكون قد قضى لله تعالى حق الربوبية، من طرف العبودية، وان تكون
هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان وساقة عساكر النقصان، فلا يرى
بعدها في تلك الدار الشريفة الا موهبة مستطرفة، وفائدة مستجدة
مستأنفة حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي وبالمدائح عن المراثي والسلام

وكتب الى ابي محمد العلوي جوابا عن كتابه

ورد كتاب السيد بشيرا من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى، و
بالنعمى التي تلغي كل نعمى وبالفائدة التي تفطم فوائد الأولى والأخرى وفهمته
ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عني وشمول النعمة بأمثاله
للناس دوني امتلأت عجبا، ورأيت لي في كل جارحة قلبا، ورأيت السيد
قد سلك بي من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها، وجعله بنجوة منها
وتكلف ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط، وراكبا مطية الغلو و
الاشتطاط، وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر، وعز وفخر
ومال موفر، وكبر وكثر، وحياة وعمر فكيف كتابه الينا، وسلامه علينا والرئيس
اذا أعطى المرؤس فوق حقه، فقد استرجع منه واذا باسطه بما لا يسعه قدره
فقد نفض عنه والأشياء اذا فرطت الى الرجحان عادت الى النقصان، ذكر
السيد انه لا يرضى لمكاتبتي عفو كتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته، وهذا
كلام لولا انه قد جرى به بنانه، ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، ولقد جئتم شيئا ادا، الكتابة ايد الله
تعالى السيد صناعته مجانستي لها مجانسة النور للظلام، ومناسبتي لها

مناسبة الاوز للنعام، ولم اقرع بابها، ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها، ولا ادعيتها بقلبي لا بلساني ولا ادعاها لي اصدقائي واخواني ولا تمنيتها اذ كان المتمني انما يتعلق بذنب الامكان ويمشي في طريق الكيان، ولا احلمت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وهو وسنان ما يتفكر فيه وهو يقظان ولا دعوت الله تعالى بها لانا امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة، ولا يفسد التكليف والمصلحة، ولو كنت اجوز على نفسي شيئا منها لجوزته من طريق تصالي بجانب السيد فان المواصلة ربما صارت مقاربة والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة وهب ان ذلك كان فكم وكم مفلد ربما يتعلق بذيل المعالي من يراهم الصيرفي، وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والعبيد لاني وكم يخص من الكتابة على مجالسة السيد في كل اسبوع ساعة، وعلي روايتي له في كل شهر كتابة او رقعة، اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتي لا تهذيب والتعرض لي بذكر الكتابة لكي اكاتب فان هذا من ابواب الحث والبعث وصنف من اصناف الرقي والنفث، قد يقول الاستاذ للتلميذ احسنت يا سيد الادباء واصبت يا واحد العلماء، ليلحظه طعم التقدم، وليرقيه في درجات العلم بالتعلم، فان كان ذلك هذا السيد اراد، فقد بلغ المراد، وها انا هو بعد اليوم اقرع باب الكتابة، واتسلق على حيطان البلاغة، واجمع ما قدر عليه من رسائل السيد فاحفظها ص راصد ا بل سطرا سطرا، واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا فان خرجني ذلك فالحمد لله تعالى الذي رزقني، ثم للسيد الذي حركني، وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل منجح ذكر السيد ان اعتداده بي اعتداد العاشق بالشيعي والمعتزلي بالمعتزلي وانا اقول مكافيا لا مباريا، ومنابعا لا موازيا اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام، واعتداد الشيعة بالوصي، واعتداد المعتزلة بالحسن البصري، واعتداد الحجازيين بالشافعي، واعتداد الزيدية بزيد بن علي رضي الله تعالى عنه، واعتداد الامامية بالمهدي لا بل اعتداد العاشق باللقاء، والظمآن بالري لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري

والتمادح بيننا بعد الحال التي عتقت، حتى اخلقت، وقدمت حتى هرمت فصل لا يحتاج اليه، ولا يعرج عليه، واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة في الدنيا باخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة

عظم على الشيخ ادلالي وكثر على قلبه اشغالي وفتح عليه كرمه من حوائجي بابا لا يسد، ولا يرد، ولكني اذا قلبت سلعة الشكر، ونشرت طراز الاحسان والبر، لم ار غيره يشتريه، او يرغب سواه فيه، واذا عرضت جريدة الكرم، وافضت قداح المساعي والهمم، جاء اسمه صدر الجريدة، وقدحه معلى القداح السبعة، فارجع اليه وعن يميني الرجاء يقربني منه، وعن يساري الحياء يطردني عنه، وما احب ان يشرك الشيخ في لساني غيره، ولا ان يحتوي على قلبي الا ذكره، فاني آنف لكرم المتاع، من لؤم المبتاع، واستحيي لنفاسة هذه الملابس من خساسة اللابس، واغضب للمركب الكريم من الراكب اللئيم واحب ان ازف ابكار المعاني وان اغرب في الثناء، لمن يغرب في السناء، وان ازوج الشيخ من صنعة لساني كرائم لا تحليها الا عيناه، ولا تنظمها الا يداه، قد علم الشيخ اني عقدت هذه الصيعة، ولفقت هذه المعيشة لتكون صونا لوجهي عن ذل السؤال وحجابا لعرضي دون الابتذال، ولا جعل ما يدخل منها من الكفاف جسرا الى الصيانة والعفاف، فاجب نفسي الى اصدقائي، واخفف ثقلي على جلسائي، فان السائل ثقيل الطلعة كريه الزورة، مشنوء اللحظة واللفظة، معرفته غرامة، ومنادمته ندامة ومجانبته امان وسلامة، فمن اعانني على حفظ ما اعتقدته، وامسك على جوانب ما استفدته، فقد كفى اهل المشرق كلي، وخفف عن قابهم ثقلي، وضرب بين لساني وبينهم ستر الخيناء، ومد عليهم دون استبطائي وعتابي كنا كنيناء، ومن اخرجني من صيانة الدهقنة، واحوجني الى ابتذال المسئلة، فقد عرضهم للخطبين، وعرضهم لحد السيف من جهتين

الحكيم الذي لا يوصى، والمشير الذي لا يعصى، واذا سعى في هذه الحاجة ففي امره سعي، وعن ماله نضح ورمي، وعن عاتقه القى حملا، وطرح ثقلا، لانه ان حوم سهمي للاصابة، ولم تورق دعوتي للاجابة، فاني ملق كل خراجي عليه وراجع به عنه اليه، اذ كنت لا ارى الفرج الا لديه وانشد،

سبيلي ان اعطي الذي تسألونني	وحقي ان يجدى علي ولا اجدي

وانتقيه

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا	فلم انت عاد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاجة بعين من يعلم انه فيها سهيم، ولصاحبها قسيم، وانه يكدح كد حاله بعضه، ويجلب جلباله شطره، واني لاعلم اني قد هتكت ستر الحشمة، وخرقت حجاب الهيبة، وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال، ولكن الثقة تطلق اللسان، وتجري الجنان

وكتب الى وزير صاحب خوارزم

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله في لؤلؤ منثور، وطراز منشور، و استمليت منه نسخة الود الصريح، والعهد الصحيح، والخلق السجيح، و وجدت الشيخ قد استرقني رقا لا تنحل عقدته، ولا ترد عهدته، وكفاني منها لا يكفيه الامثلة على ان ذكري مثله ارجاف بالزمان وفعله، وكذب على الفلك واهله، وامنية من اكاذيب الاماني، وترهات من لساني، هيهات الدهر ابخل من ان يأتي بكريمته، ويجود بمثل يتيمته، والكرم اقل متاعا واكسد متاعا، من ان ينازع الشيخ بهاه، او يسلبه رداه،

والجود اخشن مسا يا بني مطر	من ان تبزكموه كف مستلب

اخبرني الرسول بما عمله الشيخ من جملة الدقيقة، وفتله من اسبابه الوثيقة في ذلك الحال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان، وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الله الذي رزقني صديقا يحفظ علي ما ضيعه بيدي، ويحسن بي من حيث تسيء نفسي الي، وقد كنت خاطبت الشيخ في امر هذا المال بكمال جرأتي عليه

فصدق ثقتي بسعة ساحة احتماله، فان شكاني فقد كافاني، وان سلفني شكرا
فعلي اداؤه، وعلى الله جزاؤه، ولو انصفت الحال بيننا، والجهة الجامعة لنا
لخرجت لهذا الوافد الاثير لك والكريم علي من مالي ولقاسمته ولدي وعيالي و
لحملت العالم اليه بين طبق ومكبة والفلك بين دنيا وآخرة ولكني نزلت
على حكم طاقتي وانتهيت الى غاية وجدي وجدتي وعولت على عفوك ونيتي
ونكست راس خجل منشور وغضضت طرف قاصر مقصر، وانشدت

لو كنت اهدي على قدري وقدركم ‏ ‏ ‏ ‏ لكنت اهدي لك الدنيا وما فيها

الذي حمله الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته ولو على رحلي وانسخ
ما ليس عندك ولو على خدي، ولوددت لو كان دمي حبرا وجلدي ورقا واصابعي
اقلاما وذاك عندك يسير ينسى وصغير يلغى وقليل لا يسمع ولا يعي على
انه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب من الفضة والذهب لكان آخر امره
منتظما باول امتثالي وطرف قوله متصلا بطرف فعالي فان الناس يتخذون
الاصدقاء ليكسبوا بهم الثراء وانا اكسب الثراء لاتخذ به الاصدقاء
والصديق هو العقدة التي يحلها الدهر والذخيرة التي لا يفسدها الخير
والشر والكنز الذي لا ينقص منه الغنى والفقر وسائر الاعلاق تفقد من
حيث توجد وتحل كما تعقد ويدب اليها الفناء كما يتفق لها البقاء ويتسلط
عليها الاعداء كما يحسد عليها الاصدقاء وتمسها النار فتحرقها ويصيبها
الماء فيغرقها فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا ويفسدان ان تركا
والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل ولا تنزل
بمنزوله ان نزل والعبيد والاماء حيوان يتحكم فيها الحدثان ويعمل فيها عمله
الزمان فاذا حاربته الايام سقم واذا سالمته هرم فهو معرض للحادثات
اما بالحياة واما بالممات والثياب والفرش ورق يجف اذا استعمل ويخلق اذا
اهمل والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله واعان على من قاتله
وصار في يد المحارب آفة على الصاحب والحلي والجواهر زجاج يسرع اليه
الكسر ويبطئ عنه الجبر اظهاره خطر واخفاؤه حذر خفيف الحمل على

مرسرقة، ثقيل الوطأة على من فقده، والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار، وبقاؤه احتكار، من بذله عرضه للفناء، ومن بخل به عرض عرضه للهجاء، والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت، واذا رفعت صدئت وتغيرت والفيء والماء غريم كفيله الارض والسماء، وهما كفيلان لا يعرمان، ولا يلزمان ولا يلازمان والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء، ويحكم فيه الصيف والشتاء ويبدا وله الفناء، والكتب مالك جالس على قافية السرقة، موضوع على شبكة الخيانة، يسرقه كل امين، ويتهم عليه من ليس بظنين، وقد اكثرت ايها الشيخ في هذ يانى ووضعت عنان قلبي في بنانى فى بيد لسانى فان يكن ماجئت به مفيدا فقد بدعت واغربت، وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت فلم اخل، جئت بفائدة، ان كنت ضحكة ونزهته زائدة

وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تاخره ولمته، وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته، وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا، ورأيته في النوم خيالا، وبعد ان عددت له الليالي والايام عدا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا، وبعد ان ظننت الظنون بسيدي وبوده وتوهمت الايام في وفائه وعهده، وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر، وجانس ابناء الدهر، وبعد ان انشدته فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى		علمتك الايام كيف تخون	

فويلي ان لم يعف سيدي عني ولم يغفر لي ما بدر مني، ولم يجعلني في حل من سوء ظني وفهمته، ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته، ثم تزودت في ذلك حتى حفظت غاية بائاته وصارت روايته تقطع على صلاتي وتستهلك اكثر اوقاتي، ثم عرضته على اصدقائي واصدقاء ولائي فا منهم الا من سألنيه، ونافسني فيه، واستعارنيه، ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدي الامانة، ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه، ذكر سيدي

من شوقي اليه ما لم يتكلم فيه الاعر لساني ولم يترجم الاعر شاني ولقد
طويت بعده بساط المدام، ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح
ثلاثا، وفارقت الغناء بتاتا، حتى جفت الاقداح واستخصتني الراح، و
نسي بناني الاترجة والتفاح، ولقد ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من
اخوانه دارسة، وآثار الفرح والانبساط [illegible] طامسة، وديار المنادمة والمجالسة
مقفرة، واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة، قد هبت عليها بغتة ريح
الادبار، وطلع عليها نجم البلاء والاقفار، ونفذ فيها حكم الفناء، ولبستها
يد العفاء سألني سيدي عن ذكري له وكيف لا يذكره من يراه، وانكان لا يلقاه
بل كيف يذكره من ليس ينساه، وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضا منه، و
كيف يخلو فكره من لا يفتح عينيه على اكرم منه عليه واحب منه اليه، وقد
عرفنا باهجرنا الشراب واغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا في كل فترة نبوة،
او بيعة خلافة، فلا نقل الا تذكاره، ولا تحية الا اذكاره ولا حديث
الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن، ولا اقتراح على المغني الا شعر
في اوله ذكر غيبته، وفي آخره تمني اوبته، رد الله تعالى سيدي
الى اخوانه الذين انا اولهم في المحبة، وان كنت آخرهم في الرتبة،
على حالة يقع الشكر وراء حقها، وتكل مطايا التعديد والبشر في مسافة
طرقها، والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين، وانا اقول ردك الله
تعالى غانما الى غانمين، فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم
النظر الى طلعته فهو غارم، وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عيد
الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران، كما اجتمع علي بغيبته صومان على
ان صوم العين اشد من صوم البطن، فان مسافة صوم العين مجهولة
الامد والعدد، مخوفة الزيادة والمدد، ومسافة صوم البطن يوم وشيك
المهلة، قريب العشية من الغدوة، فحصتي من صوم هذه السنة المباركة
حصتان، ويومي منه يومان، وتأبى صروف الدهر ان تأتيني الا مزدوجة
في قران، وذلك اني صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهري رجب وشعبان

وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان، وقد قال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر مدامة		فمتى يفيق فتى به سكران	
	وانا اقول		
صومان صوم نوى وصوم عبادة		فمتى يعيش فتى له صومان	

وكتب الى ابي القسم وقد تهدمت داره عليه وسلم

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذي هدم الدار، ولم يهدم المقدار، وحين ثلم
المال لم يثلم الجمال ولما سلط الحوادث على النشب والخشب لم يسلطها على
العرض والحسب ولا على الدين والادب ولابد للنعمة من عوذة ولابد
لعين الكمال من رقية، فلأن يكون ذلك في دار تبنى ومال يجنى و
ينمى خير من ان يكون في النفس التي لا جابر لكسرها، ولا شيء يفي
بقدرها، وصادف ورود هذا الخبر علي رمدا في عيني قد حصرني في
الظلمة، وحبسني بين الغم والغمة، وتركني ادرك بيدي ما كنت ادرك بناظري
كليل سلاح البصر، قصير خطوة النظر، قد ثكلت مصباح وجهي، و
عدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي، ابعد الاشخاص عني اقربها مني
فالبيض عندي سود، والقريب مني بعيد، قد خاط الوجع اجفاني، و
قبض عن التصرف بناني، ففراغي شغل، ونهاري ليل، وطوال اللحظ قصار
وقصارا وقاتي طوال، فانا ضرير وان عددت في البصراء، وامي وان
كنت في جملة الكتاب والقراء قد قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني و
قامت بيني وبين يدي ولساني وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات
تتماثل مبانيها، وتتكافأ مقاطعها ومباديها، فتقول العلة ذلة والواحدة وحشة
والغلب سلب واللحظة لفظة، والهوى هوان، والاقارب عقارب وانا
اقول المرض حرض، والرمد كمد، والعلة قلة، والقاعد مقعد،

وكتب الى ابي احمد الرازي ببند نيسابور

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته، واسبقه الى المكرمة
في الابتداء بمثله، ثم ابى الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله، وان ينبت
الكرم الا على اصله، وفهمته وافادني من خبر سلامته فائدة هي الغنى بل المنى
بل الكنوز والقنا، بل المراد والهوى، بل السناء والعلى، بل العالم والدنيا، بل خير
الآخرة والاولى، وهي السلامة التي لا يتصور بها الشيخ عني، ولا يختص عز بها
دوني، اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة، وسائر اسباب السراء والضراء متسهمة
وسألت الله تعالى اولا، والآن اسأله ثانيا، ان يجري على الشيخ نعمته، ويردغربته
ويعجل اوبته، ويبصره رشده، في الرجوع الى بلده، الذي هو بحضوره
مصر مباه الامصار، وبغيبته عنه مقاوز بل قفار، كما ان اهله
اذا كان فيهم ناس، واذا غاب عنهم نسناس والله يلهمه قول النابغة

فحلي في ديارك ان قوما ... متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه، واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو عطنه
والدنيا رستاق نيسابور قصبته، وعقد نيسابور واسطته، ولو علمت
اني ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد والنفس المديد، وانه اذا فارق
قوما طلقهم، واذا القى آخرين عشقهم، لاخذت من الزمان الف كفيل
ووضعت الارصاد بكل سبيل، ولو رده، علي او كلت بحفظه عيني بل عيني

شددت باعناق النوى بعد هذه ... مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده، فما اراه ان يعفو عنا بقربه فيكون قد ادبنا
قد ربنه، ثم اسبغ علينا نعمته، وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب
ومقدار المحنة اذا غاب، كان كتاب الشيخ الطف من عتبه، واقصر
مني وقاتي بقربه، واظنه اشفق علي من التعب فيه اذا طال، وظن بي
الكسل والملال، فما زلت اعرفه مشفقا على حميد الاثر لدي، وان استعفيه
من هذه الصدقة، واشتهي ان لا يبرني بهذه الشفقة، وان تكون كتبه
الي اطول من يده علي، وابسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي، فاني اذا
رتعت في رياض قوله، واجلت عيني وخاطري في ميدان فضله وطوله

تقلبت في روضة وغدير وادرت يدي في جنة وحرير ولم اعدم معنى
يلقح الذهن ولفظا يمتع العين والاذن وفقرة استفيدها ونكتة اقراها
ثم اعيدها وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد

فلا يبعد زمان منك عشنا	بنضرته ورونقه العجاب
ليالينا ليالي الوصل تمت	بايام كايام الشباب

وكأن ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي ويميت نفسي وقد استسلمت
للفراق فليمض في حكمه لا بل فلينفذ في سهمه وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بي ويشفيني
من اوصابي فليهد الشيخ الي فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة
مبرورة وصنيعة مشكورة وكلما اقرب مني الداء فترا تأخر عني الدواء شبرا

وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

لولا بمولانا الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وانه كان ليس مع عطاياه جليل
كانه ليس مع تواضعه قليل لانفقت في هدية اليه الاعلاق والجواهر ولاتعبت
في حملها اليه الخف والحافر ولسبقت في ذلك الاولين واتعبت فيه المتأخرين عرف الله تعالى
الشيخ بركة هذا المهرجان وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان ولا زال يلبس الايام فيبليها
وهو جديد ويقطع مسافة سعدها ونحسها وهو حديد والسلام

وكتب الى ابي سعد احمد بن شبيب

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه
وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه

لما استتم عناقه لقدومه	حتى ابتدا تعانقه لوداعه

كانه كان ذلك الرجل قائما معناه او كانه قال هذا البيت لنا ولقد كانت الايام
بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتني بلقائه سنين
طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصارا فبينما انا اشكو مطلها اذ صرت اشكو بخلها
وبينا انا استدرك عليها الماضي اذ اصبحت اطلب اليها الباقي وبينا انا انشد

ايا ليلة الوصل لا تنفدى ... ويا ليلة البعد لا تنفذى

غدوت انشد، هذا الذى قيل له اطيب ما كان فنئ ولعمرى انى موسر
من الصبر، قوى بنية القلب والصدر، حيث ابيت ببلدة وصاحب
الجيش باخرى وليس بينى وبينه بعد الخافقين ولا سد ذى القرنين
ولا جبل قاف ولا سورة الاعراف، ولقد رضيت من الشوق بالدعوى
ومن اللقاء بالمنى وغششت فيما بعثه من الهوى والله اسال ان يجمع
بينى وبينه على ما يثلج صدرى ويقر عينى وان يبنى الدهر وهو وافد حشمه
والسعد وهو خادم من خدمه والايام وهى سلم فى اوليائه واعدائه
والمنايا وهى سهامه فى صباحه ومسائه والاقبال وهو خليط من خلطائه
والسرور وهو نديم من ندمائه والعز وهو مستدرك بافيائه والشرف
وهو مطنب بفنائه وهذا الدعاء منى تجمل قطعت به الحديث لما توجهت
به المسئلة على وخرج الجواب من يدى ولو صدقت فيما ادعيته وكنت
من الشوق على ما حكيته قلت للشوق اذ دعانى لبيك وللحادين كر المطايا ولا
نضيت الركاب وفارقت الاحباب وركبت كاهل الخطر واعروريت ظهر السفر حتى
اينخ بحضرة طال ما حضرتها العلى وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى
وانظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية وفيها للطلاقة روضة ربيعية
رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ على من سجاله واسبغ على من نواله
ما خفف ظهرى بل اثقله وانطق لسانى بل اخرسه وارخص شكرى بل
اغلاه وابقى مديحى بل افناه وانى حين امدح البحر بانه عزيز والبدر
بانه منير واعلم الناس ان الدهر كبير وان الرمل كثير كنت كاحد عباد الله
الكلفين الذين قولهم هباء وعلمهم جفاء ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفتضح به
اللئام وتفخر به الكرام وتتجمل به الايام والانام واقام به سوق الكرام
وقد اقام وادام بسلامته عز الحمد والمجد وقد ادام وليت المكارم
كانت جواهر لا اعراضا وخلقا لا اخلاقا فنتمكن من رؤيته العين
ويأتى عليها الوزن والكيل فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما يدركها

العاقل بحاسة فكره، فاستريحو من الدلالة على معرفتها، ومن اقامة البينة على صفتها، وصلت الجارية وددتها لاني رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء، بل اجتمع الظمآن والماء، وهذا ميدان لابليس فيه مجال، وزاوية له فيها افعال، وان النساء لحم على وضم وصيد في غير حرم، الا ان تلاحظ بعين غيور، وتلازم بنفس يقظ حذور

وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة اليك، وغير مضنون بها عليك، ولكني ذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك، وصرت بعض آفات اوبتك، فارجع فديتك، وانتجز ما وعدته واسمع ممن قاله تزدد به عجبا فحسن الورد في اغصانه، رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام، وصرت بعض محاسن الايام، وان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد، ولا يجب عليه فيها حد، ولا يعاقبه السلطان، ولا تتبرأ منه الاقوام، واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى، ولا ارش الجرحى، ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى، وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك، ولا يثلم لدينك وامانتك، فيا ايها المغير النظيف الغارة، والسارق البريء الساحة اشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت، واجعل لنا سهما مما سرقت، واعطنا قليلا مما اخذت، ولا تبخل علينا بما اليسر من ملك يديك، ولا من ميراث ابويك

وكتب اليه ايضا

كتبك يا ولدي عندي تحف وشمامات، وانوار وباكورات، افرح باولها وانتظر ورود ثانيها، واشكرك على ماضيها، واعد الايام والليالي على باقيها، فكثر على سوادها، ووفر على اعدادها، واعلم اني احبك حبا مستكنا وباديا

احبك ما لو كان بين معاشر	من الناس اعداء لجر التصافيا

واني

وانى آنس بك حاضرا واشتاق اليك غائبا شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى، ولم تقم وزنا لاهل الدنيا، وكنت لا انظر اليهم الا بمؤخر عينيك، ولا تكلمهم الا ببعض شفتيك

وكتب الى حاجب ركن الدولة بالري

الكتاب الذي عظم الحاجب باصداره شاني، واعانني به على زماني واهل زماني، ورد وثمرة الفؤاد منه بعد في اكمامها لم تزهر فتغنم، ولم تدرك فتطعم، واذا انتجت الشفاعة من حيث لقحت، وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت، ولاحت على صفحات احوالي اثار الزيادة وظهرت فيها مخايل السعادة، القت زمامها الى الحمد والشكر، وانطقت بهما لسان الدهر، وقلت ما يتعب الراوي، ويحير السامع والرائي، ويوقع للخواطر شغلا طويلا، وللسان الاقلام عملا ثقيلا، والى ان تيسر من ذلك ما هو في ضمان الايام، وفي ودائع الحظوظ والاقسام، فاني اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقتبل وبابه مستقبل وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل

وكتب الى ابي عبد الله النحوي الخطيب بالري

ان تكلفت للشيخ ذكر ما اسلمني له فراقه من الهلع، واهداه الي من انواع الغم والجزع، جريت معه في ميدان الاعتداد، واستقبلت بكلامي قبلة الشكر والاحماد، ورايتني اشكر نفسي على ان اؤدي فرضا، واحمد جوانحي على ان يجيب بعضها بعضا وان سكت بقيت في نفسي حاجة، واستولت على قلبي حسرة، ورأيتني ابخل على نفسي بشكاية المضرور، وانفث عليها نفثة المصدور، فلا ادري أأقول على ان القول كلفة، ام اسكت على ان السكوت غصة، ولكني انشد قول المولد

واشهد الله وحسبي به	اني الى وجهك مشتاق

ما زال قلبي مقبلا لذكر ليالينا تلك الطوال القصار اللواتي كانت ظلماتها انوارا، وساعاتها كلها اسحارا، حاربنا فيها النعاس بجيش السمر

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]	[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]	[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

من اعظائه والذنب للعين العشواء في محبة الظلماء، وكراهية الضياء، وفم المريض
يستثقل وقع الغذاء، ويستمرطعم الماء، والجعل يتغذى بالسرقين، ويموت من الورد
والنسرين، ومن الريحان والياسمين، ومن طمس عين الشمس، فقد نطق في الحسن
ومن حارب جيش العقل، وخلع ربقة العدل، ورضى لنفسه بمجانسة الجهل
فقد كفى خصومة مؤنة عتابه وعقابه، وقد امرني يادة المحنة لتمام ما به
كتبت هذه الاحرف ولم يتومني الحر الشديد، والسفر المديد، قلبا يدري
ولا بنانا يجري، فاني قد ذبت غير حشاشة ودماء، ما بين حر هوى و
حر هواء، فاما حر الهواء فهذا حاضر، ودليله ظاهر، واما حر الهوى
فان هواى مقصور على مولاي، وقلبي حمالا يحله غيره، ولا يعمره الا ذكره،
وارجو ان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا، ومن علمى به رائدا،

وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شاذان

كتابي ايد الله تعالى القاضي من قم وانا فيها بمكة حر الاحجار، وبعمان هواء
لا ماء، بل كتابي وانا في سلامة الا من الحر الذي يذيب دماغ الضب ويشبه
قلب الصب وهذا سرقة من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس بأول اغارة
الكردي على الحاجي ولا باول اخذ الطراز مال التجار، ولا باول تجمل المتكاتب
بكلام الكاتب وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه، وهل اجرينا اقلامنا الا
على آثار قلمه وبنانه، وهل اغترفنا الا من بحره، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره
وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء، وهل بالفقراء نقصان باخذوا
صدقات الاغنياء، وهل يعاب النهران يستمد من البحر، وهل يضع من الساري
ان يستنير من البدر، لا بل كتابي عن سلامة الا من مباينة الجمال، ومن عشرة
الجمال على ان الجمال حمار هو ينطق بلسان، وتشبه خلقته خلقة الانسان
لا بل كتابي عن سلامة الا من سبعي من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية،
ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية، فاني منذ لقيتها وزنت العالم باخف
صنجة، وقومت الدنيا باوكس قيمة، على اني ما خرجت منها الا طريد حياء،

ووقيذ عطاء، وفدت على الوزير ابن عباد وحقيبتي مملوة رجاء، وصدرت عنه
وهي مملوة مدحا وثناء، ولقد غاص في معناي على دقائق من الكرم اخترعها
ونوادر من الجود ابتدعها، لو كانت ابياتا لكانت اوابد، ولو كانت قصائد لكانت
قلائد، ولو كانت الوانا لكانت غررا، ولو كانت حليا لكانت دررا، فلما رأيت
ان لا ازداد في صنائعه طبقة، ولا اترقى في نعمه درجة، الا ازددت عنها تبلدا
وبحقها تقاعدا، هربت لا كون اوحد في الهزيمة من الجميل كما انه اوحد
في بذل الجزيل، ولا غرب في الهرب على الشعراء، كما اغرب في العطاء
على الرؤساء، وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواء، وان فرقت
بيننا حقيقته ومعناه، خلفت على القاضي من دقائق اشغالي ما اذا
تفكرت فيه قرعت له سني، وتعجبت منه ومني، ورأيتني قد ابتذلت الكبير
للصغير، ونطت الحقير بالخطير، ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يحل عن
دقيقها، ولم يدق عن جليلها، وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب وافتراس
الثعلب وان كان يفترس الفيل ويصطاد الزنديل، فاما انا فاني اخترت لغرس
مودتي من تركو تربته، وتحمد صحبته، وانزلت حاجتي بمن داره مفيض حوائج الاحرار
وبابه مثابة الشكر من الاقطار، ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه، والى
حجابه وكتابه، علم انه لم يلقطهم الا بايدي الفراسة، ولم يغض عليهم الا بمعونة من
التوفيق والهداية، وانه طالع ما وراء العواقب بمرآة من التجارب وانه رجل
اذا قدح بالظن اثقب واذا ولد بالرجاء انجب واذا نظر الى الناس عرف
النقاية فلتقاها، والنقاية فانتقاها، وعلى هذه الجملة كان اختيار القاضي
فصادف صنعه مصطنعا، ووافق بذره مزدرعا، ووقع الجميل منه موقعا، ليت
القاضي لا يقول هذه الحجج لا تساوي كل هذا الملق، وكل هذا السجع الملفق فاني
لم يبق في قلبي سجعة الا نثرتها، ولا في لساني فضلة الا احضرتها والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب بانشاء الشوق اليه وكثرة التلهف

عليه، وكتبته بيد الحمد والشكر، واملاه لسان الحديث والذكر، وعزيز
علي انى فى هذا الفصل الذى هو شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان
غائب عن مجلسه الذى حضوره شرف دهر، واستئناف عمر، ورفعة قدر
لا بل عن وجهه الذى اذا لقيته لقيت به السعد طالعا، والنجح مطالعا،
وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن، وهيكل الاحسان والحسن،
والدهر غريمي فى استئناف تلك الحالة القديمة، ومراجعة تلك الحضرة
الكريمة، وانا راجع، فهل الشيخ مراجع، وانا تائب، فهل رضى
الشيخ الى آئب، وسالقى اليه ربقتى، واوقف عليه طاعتى فان صفح فطالما
انكسرت المودة ثم انجبرت، واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت، وطالما تقدم
عتاب وتاخر اعتاب، وطالما زجى الساعى بالضرب فخاب، ورمى بين
الاحرار سهمه فما اصاب، وطالما كان قليل الهفوة، ويسير النبوة، وعارض
الجفوة، سببا لحميد الرضى، وكريم العتبى، وكثير الرحمى، لا بل الصلة خلف
القطيعة ابقى، والمودة بعد النفرة اخلص وابقى، لان العتاب قد صفى
ماء ها، وجلا اقذاء ها، وابرز عن غش مفسديها، ودل على كذب من
سعى بالنمائم فيها، وان دام الشيخ على حقده، ولم ينحل عن عقده، لم
يجدني بحمد الله كاسد الشعر، رخيص المهر، قوى الجزع ضعيف الصبر، ولم
اسقط عليه سقوط الذباب فى القدر، وانما الادب سلعة تنفق على الكرام
والشيخ منهم، وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم، ولقد خصنى من بين
الازمان زمن لئيم، ووقع فى قسمى من البخوت بخت ذميم، حيث صرت الزم
خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحترى، واضايق فى ضيعة وهب
امثالها محمد بن الهيثم الغنوى لابى تمام الطائى حيث قال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا	على هلاكها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى تربيعها واغتلالها	وكان عليكم عشره وخراجها

وقال ابو تمام الطائى

فدع ذكر الضياع فبى شماس	اذا ذكرت وبى عنها نفار

ومالي ضيعة غير المطايا	وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء، وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن
شعراء، وقد عرف الشيخ انى لا اقيم على الخسف ولا احل الا خطة النصف،
فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها وسنانها، فعل

وله رحمه الله تعالى

ورد على كتاب من ورائى، من اسرتى ووكلائى، يذكرون فيه ان الشيخ
قد ترك لهم خراج هذه السنة، وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة، ومثله من
عقب الفساد بالصلاح، وعفى بالمراهم على آثار الجراح، وانا اعلم ان ما كان منه
من الاولى كانت نادرة وفلتة، وان ما كان منه من الاخرى كانت قصدا و
عمدا وفطرة، فان الكريم اذا اساء فعن خطية، واذا احسن فعن عمد ونية
والحر اذا جرح اساء، واذا خرق رفا، واذا ضر من جانب نفع من جانب
وان يكن الفعل الذى ساء واحدا، فافعاله اللاتى سررن الوف
والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه، ولفاضل يستخلصه
ولعارفة يسديها، وصنيعة يوليها، ورغبة يعطيها، ومعال يوشيها، و
كريمة يجليها، ومهمة يكفيها، وملة يذودها، وايام كايامنا هذه يداريها،
ودولة سامية يليها، وجنية من جنيات الكرم يجنيها، ومسعاة من مساعى
الشرف يبنيها، وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها، وغاية من غايات الفضل يحتويها
ومسبق اليها اهاليها، وصفوة من المعالى يصطفيها، وحسنة يرغب فيها
وفى ذويها، اسئل الله تعالى ان يعيننى على شكره، وان يزيدنى من بره

وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه وهو باصفهان فى توفية اخت الوزير

كتابى اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته، ومن مستقر
عزه الى مستقر عزه، فانا بما تبغى من عنايته، وشيعنى من عساكر
حياطته ورعايته، ونسبت اليه من خدمته، ولاح على صفحات احوالى

من مواسم نعمته، صالح الحال، بل ناعم البال، راض من الايام والليالي
والحمد لله ذي الجلال وصلى الله على محمد وآله خير آل قد كنت احسب
ابدا لله تعالى الوزير اني اتوصل الى بره، واكرع من بحره، وارد شريعة
نواله، واضرب عطفي بين جاهه وماله، اذا وردت حضرته البهية
وطالعت طلعته الزكية، فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب، ولم
تصافحني يدي الرغبات والرغائب، فاذا انا بنعمته يشيعني غائبا كما
تتلقاني حاضرا، وتمشي على عقبي ظاعنا، كما تنزل بعقوتي قاطنا، كالغيث
يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر طلوعها على الحاضر
وذلك اني وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته، المكنوفة بافضاله و
فضله، فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام، ومن دقائق الافضال و
الانعام، ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة، وجعل ايدي التعديد قاصرة
مقصورة، وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية وضرب
في قالب الفتوة والانسانية، وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار و
يصرفها على حكم الاختيار، اوله ثناء جميل، وآخره عطاء جزيل، وفيما بينهما
ترحيب وتأهيل، وتعظيم وتبجيل، بر حتى سر، وعظم حتى فخم، وافضل
حتى اخجل، وتركني اتردد بين محاسن قوله وافعاله، واجيل طرفي بين طرفي
تنزيله وانواله، واذكر به اخلاق الوزير التي ما رأيت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه
منها، ولا لئيما الا مثلها لي لتخليه عنها يذكرني كل خير رأيته وشر
فما انفك منه على ذكر، وكيف اتعجب من علق الوزير اتخذه، ومن سيف بنانه
شحذه، ومن جواد هو ضمره للرهان، ومن حر هو علمه نسخة الحسن و
الاحسان، ومن نبيل استفاد منه، وخريج صدر عنه، فهيهات ان
السيوف على مقادير الاعضاء تفري وان الخيل على حسب فرسانها تجري
وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون غزيرا، ولنجم استضاء من بدر ان يكون
منيرا، على انه بالآباء تقتدي الاولاد، وعلى اعراقها تجري الجياد،

والسيف ما لم يلف فيه صيقل   من سنخه لم ينتفع بصقال

والخطوب عن نفسه والنفس اعزته عازبة، وصروف الايام عن مستقر عزه
مصروفة، والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة، ولا زال يتعرف من
الله تعالى صنعا يزكو طريفه على تليده، ويقع عتيقه وراء جديده وارانا
الله جماعة اوليائه فيه، ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته، ويأتي على
صالح دعائنا برحمته، فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله
ومال ثمره الله، وقلدني نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهب
وعلى قالبه ضرب وكأن خدم الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم، وتكافؤ
احوالهم، حلقة مفرغة، لا يدرى ما طرفاها، وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها
افضل ام اعلاها، وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا، وكلما فقدت
دينارا وجدت قنطارا، والوزير اوسع لمكافات خدمه، فانما يتقارضون
من فضلات ما عندهم من نعمه، ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا موهبه
وقسمه، ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه، ومدار الاحسان في الاستحسان عليه وما
عسى اقول في مدح الوزير ونعمه، الا ان استعير لسان طفيل الغنوي فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا	تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكتب ايضا الى بندر نيسابور من الري لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن سلامة مشتبكة، و
حال بجميع احواله متمسكة، والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا، وعلينا به آخرا
وقد صدر كتابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه يهجنه وهزل لم اشك انه
يطربه والجد في غير وقته كثافة كما ان الهزل في غير موضعه سخافة، وخير الكلام
ما انتزع من ضده الى ضده، ورتع بين هزله وجده، واستوفي صفة القائل
رحمه الله تعالى وكلام كأنه قطع الروض فيه الصفراء والحمراء، ووردت ايد
الله سيدي من حضرة الوزير على رجل نادرته الرفعة تواضعا، والصيانة تبذلا،

حتى كان الايام كتبت له وثيقة بان يستبقي جميل عهدها بجميل عهده ، ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده ، وكان صروف الدهر شارطته انها لا تفي له حتى يفي لاخوانه ، ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه ، وما ظنك برجل نفذ توقيعه في البر والبحر ، وجاز حكمه في اهل نجد والغور ، وخدمه اعيان العرب والعجم وقبل يده ملوك الجبل والديلم ، وصارت لحظة منه تغني ، ولفظة منه تقني ، وسطر من سطوره يحيي ملا ، ويقرب جلا ، وخلوة من خلواته تزيل نعما ، وتحل نعما ، وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة ، ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا ، وعلى سجيته المعروفة المالوفة ترددا وتحببا ، يصل بشره ، قبل ان يصل بره ، ويحيي القلوب بلقائه ، قبل ان يميت الفقر بعطائه ، اكرم الناس عليه ، اكثرهم حوائج اليه ، وابعدهم منه ، اشدهم انقباضا عنه ، حتى كان الله تعالى لم يبلغه ما بلغه ، ولم يسبغ عليه ما اسبغه ، الا ليكذب الفرزدق في قوله

قل للنصير والمرء في دولة السلطان		اعمى ما دام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه		واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم في قوله

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة	•	اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد حضت به بحر الغنى ، وركضت به في ميدان المنى ورايت يقظان ، ما لم اكن احتلم به وسنان ، وزفت الي الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره ، واصغر عن قدره ، ولست امسح من البياض بالمقدار الذي يسع تفصيل هذه الرغائب ويستوي في اقسام هذه المواهب ولكني اقتصرت بالمكاتبة على الجملة واكل التفصيل الى المشاهدة فلسان العيان ، انطق من لسان البيان ، وشاهد الاحوال ، اعدل من شاهد الاقوال ، وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله ورجع الى اصله ، واحب ان يرى عليه عنوان اليسار ، ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في معرض الاستظهار ، ويعلم الناس انه زرع رجاء فحصد

لا انكر ولكني احب لرئيس مثلك ان يختار ندماءه، وان يشترط على الجاسو جلسائه
وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث
حظوظ الجدود والاقسام، وان يكون افضاله عليهم، على مقدار ما يحدث من الفضل
اليهم، ليكون قد اصاب بمعارفه مظنة الاستحقاق، ولم يلقها على
طريق الاتفاق، وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد، وانتقد فلم يظلم الانتقاد
فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار
ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار، فذلك مما يضيق عنه مسالك الحرية،
وينطق بحجته لسان الانسانية، ولقد كشفت الايام من حلم هذا
الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين، ولم تقرع بها اذن، ولم يعثرها بما ظن
فصارت صلاته من الآجال، كصلاته من الاموال، وتصدق بعرضه على
اعدائه، كما تصدق بامواله على اوليائه، ليكون الجود متكافئ الطرفين، و
السؤدد متعادل الوصفين، ولئلا يبقى في الكرم غاية الا انتهى اليها، ولا
لمدح جلية ولا دقيقة الا غاص عليها، فلان قد ابطأ علي، فليت شعري الريح
فلعته، ام الارض ابتلعته، ام الافعى نهشته، ام السباع افترسته، ام
الغول اغوته، ام الشياطين استهوته، ام اصابته بائقة، ام احرقته صاعقة
ام ريسته الجبال، ام اغتاله الجبال، انتكس على ظهر جمل، ام تدحرج من رأس
جبل، ام وقع في بئر، ام انهار عليه جرف شفير، ام حفت يداه،
ام فعدت رجلاه، ام ضربه الجذام، ام اصابه البرسام، ام جمش غلاما
فقتله الغلام، ام تاه في البراري، اغرق في البحر، ام مات من الحر، ام سال به
سيل راعب، ام وقع فيه سهم من سهام الآجال صائب، ام عمل عمل
لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود، مسومة عند ربك وما هو
من الظالمين ببعيد، وكاني به وقد سمع هذا الفصل فغضب علي و
شتم طرفي، وما اردت بما قلته غير الشفقة، ولا نطقت الا بلسان المقة
وانما اتبعت فيه السنة، فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحب الفال ويكره الطيرة، وهذه مزحة خفيفة، وان كانت ثقيلة عليه

وظريفة

وظريف وان كانت سخيفة لديه، ومحبة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه
وقد اعتذرت والعذر وان قل، دواء كل ذنب وان جل، والسلام

وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب، وبالصلح بعد الحرب، ورد الله تعالى
علي من الاقبال ما كان غصبنيه البخت العاثر، والحظ الغادر، ورد كيد الساعي
في نحره، ورد غصته في صدره، والحمد لله تعالى على نعم علينا بما
ليس له عندنا شكر، ودفع عنا ما ليس لنا عليه صبر، فما اعظم النعم على
غير الشاكر، وما اعجب زوال المحنة عن ليس بصابر، ذكر سيدي حال تلك
الضيعة الضائعة، التي اول عهدي بها آخر عهدي بالوجه المصون والعرض
المخزون، والخطب يد الله تعالى سيدي في تلك الضيعة جليل والحديث
فيها طويل، لا اسعه حتى اعقد لعجائبها حساباً، واصنف فيه كتاباً، واستأنجم
لتفصيل ذلك وشرحه كتاباً، يرتبونه باباً باباً، ويجعلون له رؤساً واذناباً
هذا بعد ان اشتري كاغد سمرقند كله، وابري قصب الدنيا دقه وجله، و
يكون مدادي ماء البحر، وعمري عمر النسر بل الدهر، وما ظن سيدي بضيعة
الزمتني الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير، واستأدبها الوعية والابر
واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين، وجمعت على فتوق الاغنياء وغم
المساكين، وشغلتني صداعها عن اشغال الدنيا والدين، يستغل الناس الغلة وانا
استغل القلة والذلة، ويزرعون في الارض حباً، فيحصدون حبوباً، وانا ازرع
في قلبي كرباً، واحصد كروباً، وقد صرت من اجلها اخدم قوماً كنت
استخدمهم، واسلم على ناس كنت اذا كلموني لا اكلمهم، ويحجبني من لو حضر
بابي من قبل حجبته، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته، قد كنت
ابغض الهوان انا مر بابي، فاليوم قد دخلته داري وبين ثيابي، والى من
يشكو المفعول به وهو الفاعل، ومن يطالب بالقتيل وهو القاتل والسلام

وكتب اليه ايضاً

المال، ضرب من العجز والاخلال، وخصلة من خصال النساء لا الرجال
لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا، واجعل حديثها بساطا مطويا، ولكني
لا اغبن عن الصغير، كما لا ابخل بالكبير، ولا اغالط في القليل، من حيث
لا اضايق في الجليل، ولقد كسدت بخراسان لاني بها موجود والموجود
مملول، كما ان المعدوم مسئول، وما ارخص الماء اذا وجد، واغلاه اذا فقد
وربما غلا الشيء الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم ويطلع نجم
الهمم، ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وكرمه

وله الى فقيه ببلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

ورد علي كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه، وحرص كان عليه، وبعد ان اقترحته
على الدهر، وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر، ولم ادر بايهما انا اشد سرورا
ابالكتاب وهو اليسير واصل، ام بحامله وهو اجل حامل، فلان ولدي قد
اقتطعت له من فراغي فلذة على انني لو درسته حتى تحفى الاقلام
ويفنى الكلام، وتحصر الافهام والاوهام، ثم لقنته العلم لقمة، وسبكت له
الادب فقرة، والهمته جوامع الكلم وافرغت في خاطره اداب العرب والعجم، و
خرجت له من حد الافهام، الى حد الالهام لكنت فيه عن قضاء حق
من حقوق الفقيه قاصرا، ولكان وقوعي دون ادنى مواجبه على
ظاهرا، ولكن الاقرار عذر قوي، كما ان الانكار ذنب طوي، وقد كان
هذا الولد ديباجا مجملا، فصار بحمد الله تعالى ديباجا مفصلا، وكان اغر فصار
اغر محجلا، وارجو ان الله تعالى يحيي به مآثر سلفه الصالحين، ويعلي به منازل آبائه
الاولين، وان يكون اولهم علما وادبا، وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

وله الى خلف بن احمد

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التي تفلق الصخر، والحكم التي تشرح
الصدر، يامرني فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبي وانبئك فيها بجبري وافضي
اليك بعجري وبجري واستأمنك في جل احوالي ودقها وفي باطل اشغالي
وحقها ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلبا يعقل ولا بنانا يعمل
واقل ما لحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل ويشيب لها الطفل
ويتوقع معها الموت بل القتل ولقد نشبت بين اظفار الخوف وعقلت
بحبالة الحتف فلا انا الما ورأى آمن ولا الما امامي آمل وما كنت احسب اني انظر الى
قبري قبل انقضاء عمري ولا اني ارى شخص ملك الموت في حياتي قبل ان يجيئ
وقت وفاتي ولعمري لقد رأى لحاسد ما كفاه وشفاه واضحكه مني مثل ما ابكاه
فلئن كان وشى بي الواشي لقد بلغ ولئن كان قد تعني في افناء اجلي لقد فرغ
ولقد كنت ارجو ان يسعني ما يسع الاحمر والاسود ويشملني ما شمل الادنى والابعد
ولقد اعتذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت وان تكن الاخرى فهذه
عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد فالى اين المهرب من الفلك
الدوار ومن القدر الجبار ومن خطر الليل الذي هو مدركي وان خلت ان
المنأى عنه واسع ومن المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه والايام منخرطة
في سلكه وهل الهارب من الجد ود الا كالهارب اليه وهل الصادر عنه الا
كالوارد عليه ومن في ايزاحم ركن الزمان ومن ايبيت على وساد الثعبان ومن ا
يرجو الدواء والموت داؤه ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه فلان قد
احسن المحضر وحارب عني القضاء والقدر وليس الكرم عن مثله ببديع
ولا الجميل من اهل بيته بنزيع فانما يجري على عرق جاذب ويعمل على قياس
واجب واني لا الهف عليه تلهف آدم على الجنة واحبه حب الصحابة السنة
واشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله واعشقه عشقه لبذل نواله والسلام

وكتب الى ابي علي البلعمي لما بلغه منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع

ذكر الشيخ اني تنقلت بعرضه المصون وتمندلت بقدره المكنون
المخزون وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا

صفاة ١١

وركب نصابه في رتبة شباب الزمان ومجدها فتيء واخلق العالم وذكرها طريء
فجعله في البلاد كريمها وسليلها، وفي الرتبة قديمها وجليلها، وليعتقد انه
قد هابه من استتر، ولم يذنب اليه من اعتذر، وان من رد عليه عذره فقد
خرج الى الشجاعة بعد الجبن، واخرج ذنبه الى صحن اليقين من سترة الظن
ووفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب اوليائه، ويعصمه بما يزيد به في جماجم
اعدائه، وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعره، او لفظة تمذعه

وكتب الى ابن سمكة القمي وقد اهدى اليه مع كتابه هدية

لما وردت الناحية تسالبوني تسالب الطرفة، وتهادوني تهادي السماحة، و
وزنوني بمعيار الامتحان، واجروني في ميدان الرجحان النقصان، فوجدوني
بحمد الله تعالى جوادا يجري ما وجد مذهبا، وهزوا سيفا يقطع ما صادف
مضربا، ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله، وبغض اليهم من بعده
واجلت الغيرة عن المزور وهو حامد، وعن الزائر وهو شاكر، حملت الى سيدي
كتابا غير طامع في قضاء حق من حقوقه علي، ولا تسوغا بحسنة من حسناته لدي
ولو اهديت اليه تاج كسرى، وخراج الدنيا، وخاتم سليمان، وذخيرة
الهرمزان، وصدقة البصرة، وجوهر الشمسرة، وكسوة الكعبة، مع الدرة
اليتيمة، مع جواهر الخلافة، نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلي وكنز
النطف بن حبر التميمي، وملك عمرو بن حريث المخزومي، ولو كسوته البردة
النبوية، واعطيته الشطرنج الكسروية، ولو غرست شجرة طوبى في داره
واجريت نهر الكوثر على بابه، وجعلت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد في قبضته، ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت في آل جفنة، ومدحته
بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابي حارثة، وشهدت له بما شهدت به
الخنساء لاخويها صخر ومعوية، وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ في محاسن
احمد بن ابي داود الايادي، واغرقت اغراق الامامية في المهدي وفضلته
تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام، واعتقدت فيه اعتقاد النصارى

في المسيح اولاً، واعتقاد المانوية فيهما ثانياً، وانقطعت اليه انقطاع
الأخطل الى بني مروان، واعتذرت اليه في تقصيري عن مدحته
اعتذار النابغة الى النعمان، ثم لم ادع بيتاً نادراً، ولا مثلاً سائراً الا جعلته
سلكاً انظم به محاسنه، وقيداً اقيد به مناقبه، حتى افنى في ذلك بياض
سمرقند واحفى اقلام مصر وواسط واشغل فيه وراقي الكوفة وكتاب السواد فانهم
منبع هذه الصنعة، ومعدن هذه الحرفة، لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف
الحميري للطالبين وتجرد مروان بن ابي حفصة للعباسيين، واتعبت في ذلك
الكرام الكاتبين، حتى تركتهم محسودين لاعبين، لما كنت الا مقصراً ولكني اذا
قررت عذري، واقررت بتقصير سيري وقصور قدري، فقد جاوزت
عقب الاستزادة وسيدي اعلم بخفايا عقدي، واعرف بحاله عندي والسلام

وكتب الى تلميذ لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

كتابي وقد خرجت من البلاء، خروج السيف من الجلاء، وبروز البدر من
الظلماء، وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه، وودعتني وهي مودع
لا يبكى عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجليها، ونعمة ينيلها ويوليها، كنت اتوقع
امس كتاب الشيخ بالتسلية، واليوم بالتهنئة، فلم يكاتبني في ايام البرحاء
بانها غمته، ولا في ايام الرخاء بانها سرته، وقد اعتذرت عنه الى نفسي
وجادلت عنه قلبي فقلت اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن
الكلام فيها، واما تغافله عن الاخرى فلانه احب ان يوفر على مرتبة
السابق الى الابتداء، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء، لتكون نعم الله
تعالى موفوفة من كل جهة، ومحفوفة من كل رتبة، فان كنت احسنت
الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب الي بالاستحسان
وان كنت اسأت فليخبرني بعذره، فاني اعرف مني بسره، وليرض مني
باني حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي وقلت يا نفس
اعذري اخاك، وخذي منه ما اعطاك، فمع اليوم غد، والعود احمد

وكتب الى احمد بن شبيب

وردكتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم، بل خلقت لبذل
الدينار والدرهم، بل خلقت لامساك العنان والعلم، بل خلقت للنعم والنقم، بل
خلقت لجميع آداب العرب والعجم، فرويته لما رأيته، وحفظته لما لحظته، ولو
انصفته لجعلت الفلك صحيفته، والدهر راويته، ولما اجلت فكرى فيه، و
احطت علما بمعانيه، ورتعت بطرفي وخاطري في مقاطعه ومباديه، وتفكرت في
رتبة صاحب الجيش في الرتب، وفي رتبة كتابه في الكتب، انشدت

ولما رايت الناس دون محله	تيقنت ان الناس للناس ناقد

وتوانصفت هذا الكتاب لما فرغت منه، الى الجواب عنه، ولكن
بعض الاجوبة خدمة، كما ان بعض الابتداآت نعمة

وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال، خروج المشرفي
من الصقال، لا بل خروج البدر من خلل السحاب، وحالي الآن بين الرجاء والقناعة
متماسكة والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله
صفوة الله، وصل كتاب صاحب الجيش وافادني من خبر سلامته ما غفرت
له ذنوب الايام الي وجناياتها علي، وفهمته فوجدت صاحب الجيش في
غضبه على رقيق صفحة الاحتمال، قريب غور الصفح والاجمال، مضايقا
من حيث تتوسع الكرام، مخالفا لما توجبه الاحلام، يفطن للذنب الخفي
ويتغاضى عن العذر الجلي، لا ينزل في المكافاة الا على حكم الاعداء، ولا
يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء، ولا يعلم ان للعبيد على الموالي ذمة وان كان
عليهم حق، وان للمماليك من طريق العشرة احرارا، وان لزمهم رق، هذه
حالة المملوك فكيف بالحر الذي يأخذ مثل ما اعطى، ويستوفي على قدر ما اوفى
واما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لا طرق له على الى الاحتمال، ولا وفر

له نصيبه من الفضل والادلال ، على انه يحمل التواضع على التكبر ، ويميل مع المحاباة على النقد ، فاذا اخذنا في طريق المؤاخذة ، وعاشرنا على المكايلة والموازنة ، فما له عندي الا السكوت حتى يرضى ، والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فاني اظن ان الدهر لا يرضى عني الا بقتلي ، ولا يتوفر من عناني ، الا عند وفاتي ، وهلا حاربني الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعي للاقران ، وكيف صبري عند الضراب والطعان ، ولقد رماني الادب بادبه على اني لم البس له جنة ولم اعد لوقعه عدة ، فاني والله لست بالصبور على مس العتاب ، ولا بالقلب على وحشة الاحباب ، ولاني لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكي السلاح ومن غرائب الشعراء ، ونوادر اخبار السماء ، اني ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا ، ولا اضفى منه ذيولا ، فليت شعري لم طول هذا التطويل ، وجاء بهذا الكلام العريض الطويل ، الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية في الشكاية ، ام لانه ما وضعني تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته وانهارت قوافي اجراف خطابته ، ام لانه اراد ان يعرفني انه طويل مد العربدة مديد نفس المذمة والمحمدة ، اذا شاء قال ، واذا قال طال ، واذا غضب كان عقابه جليلا ، واذا رضي كان ثوابه جزيلا ، ولم يبق لي الآن شيئ اعلل به قلبي العليل ، وا داوي به همي الدخيل ، الا فرحي بما اسمعه من خبر سلامته في نفسه نفس الله تعالى مدتها ، وفي اسبابها حرس الله تعالى جنبتها ، ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان ، وكل الطعام ياكل الغرثان ، واستغفر الله ليس لي سلامة صاحب الجيش بالطفيف ، ولا توزن الموهبة فيه بالخفيف ، ولكن خوفي غضبه قد حيرني حتى سلبني عقلي ، وحتى صيرني لا املك قياد قولي ، وما اعتذر من هيبتي في مثل هذا المقام الهائل ، ولا الام على دهشتي لهذا الخطب النازل ، والشجاعة في غير مكانها خرق ، والجلادة على ما لا يقتضي الحال حمق ،

وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكي اليه وزيرها صاحب

قد امتدت مدة هذا البلاء، واوهمتنا ان الدار دار البقاء، لا دار الفناء،
وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام، وداعية الى
قلة الاستنامة الى الايام، ونصرة لفعال اللئام على الكرام ولقد عجبت من
ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار، وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر
الحمار، كانه لم يسمع في الخبر، بدل الاعور، اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا ... بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التي تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى
قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انما نطقت الناس بالتوحيد وان كان
على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد، اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى
العجائب، ويتغرب اذا سمع الغرائب فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انما الايام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

فاما الآن فقد كان ما كان فانى ارى للشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبر
ثخينا، ويولج حوادثه ركنا من التماسك ركينا، وان تجده الايام حرا، وان
تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا، وان يدارى مع ذلك سلطانه، و
يصغر بلسانه اساءته، ويكبر احسانه، ويروض لسانه في الخلق
على شكره، لئلا يجمح به في الجلوة الى غيره، فانما ايام المحنة موج من
تطاطأ له تخطاه، ومن وقف على طريقه ارداه، ومن قابل ايام الادبار
بوجه صدمته، ومن قاتل عساكر الاقبال في ايام كرها هزمته، ومن
طالب السلطان بالنصفة طلب عسيرا، ومن حاسب على قليل من العتب
لقي كثيرا، وآفة الناصح آلته، وعيب الكامل في وقت المحنة دالته، لانه يطالب
بثمن نصيحته، ويدل على صاحبه بكفايته، ويعتقد ان طول الخدمة آكد
حرمة، وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة، ولعمري ان ذلك كذلك ولكن
الغضب ينسى الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبرى جنايات

وانت امير المؤمنين وفعله ... لك الدهر لا عار بما فعل الدهر

وكتب الى ابى محمد العلوى

لولا انى لا احب ان افتتح كتابى الى سيد بعتاب، وان اكلفه الى تكلف جواب لوجد سهامى فى الملام مسددة، وسيوفى فى التقريع محددة، وعلم انى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى، واذا رميت لم تنج رميتى، ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب لشريف كاتبا، السعيد حاملا، المغبوط ناسخا المحسود راويا، وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان، ولا تمجه الآذان، وقد فرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكيت الحلبة، ولا انى ساقة الكتيبة، ولا ان اسمى آخر الجريدة، ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا صغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد، فانه اخو الفساد، واستجير من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين، وسقف لا يبنى الا على عمادين، وصفقة لا تتم الا ببيعتين، وان قوما انا صغيرهم لكبار، وان امرا بوذر شرها لخيار، خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب انهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية، وانثلم جانب الانسانية وانهزمت عساكر الكرم، واغبر وجه السيف والقلم، ونضب ماء الحياء وركدت ريح البهاء، وخرب بنيان العقل وتضعضع جبل التوحيد والعدل، واخلقت ثياب الافضال والفضل وتهافت نظم القول والفعل، ودك جبل السخاء والبذل وانشد كل من وجد من فقده، ونظر الى ثكل المكارم من بعده ما حال من كان له واحد، يؤخذ منه ذلك الواحد، وانا من بين الجماعة كالواله الثكلى، وكالفاقد الحرى، اقلب طرفى لا ارى من احبه، وفى الدار من لا احب كثير، اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خالية والى ربوع الفضل عافية والى سدة الشرف وقد خلا جنابها، واصطفقت ابوابها، انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا	كان الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسا، وللفضل امثل

شيخصا، اذا ناظره العربي صار اعجميا، واذا ناظره الاعجمي صار عربيا، واذا
رآه المعجب بنفسه طلق كبره، وفارق فخره، فهو رفيق الجود وخليله وزميل
الكرم ونزيله، وغرة الدهر وتحجيله، حضرته حضرة الآجال والاموال
لا بل حضرة الاقوال والافعال لا بل حضرة الرجال والكمال تنصب اليها مواد
الرغبات، وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم ان الله تعالى فرق
المحاسن على اهل كل زمان وجمعها في زماننا هذا في انسان، فسبحان من اذا
شاء خص بعض عباده بالفضل، ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل من غير
ان يكون ظالم احدا اوحابى احدا وصف عراقي خراسان فقال نسوانها كرجالنا
ورجالها كحبالنا، ورايت انا اصفهان فقلت صبيها كرجلنا، ورجلها ككهلنا
وكهلها كشيخنا، وشيخها كنبينا، ولم لا تخرج اهل تلك البلدة في قالب الكمال ولا
يستوفون شرائط الرجال، ولا ينظمون في سلك القول والفعال، وهم
يرون كل يوم واردا، ويشهدون وافدا، ويسمعون نغمه، ويطالعون
نعمه، لان فيهم مثابة الجود، وقرارة الوفود، وكعبة الآمال ومحط
رحال الرجال، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ويجلسون
في سدته مع كل ناثر وشاعر، ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذي صناعة معاشية
اومعادية، والى ذي آلة رياضية اوعقلية، فترق السنتهم وتصفو اذهانهم
وتتنزه ابصارهم، وتدق افكارهم لاقتباسهم علم كل مكان واستماعهم تبيان
كل لسان ولترددهم بين اللغات المختلفة وبين الاخلاق المتمايزة، فهم يبصرون و
يستبصرون ويرون فيروون ويسمعون فيحفظون واين بهم عن ذلك وهم
يترددون في مغيض العلم والادب ويتزلون في موسم العجم والعرب وهذا
الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش لانست، ولو خوطبت
به الخرس لنطقت، اواستدعيت به الطير لنزلت، ومن جالس صاحب صنعة
حذقها، ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار، ونعم الرسول
الاسماع والابصار، كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه، والعين
بل القلب مكانه، فان الغيرة على الكتب من المكارم، لا بل هي اخت الغيرة

على المحارم، والبخل بالعلم على غير اهله، قضاء لحقه ومعرفة لفضله، و
انى لا احسد على الورقة من لا احسده على البدرة، وانا فرق خوفا وحرفين
ما لا انافس في دينارا والفين، واغار على الادب الكريم، من المتأدب اللئيم

	وارثي له من موقف السوء عنده	كمرثيتي للطرف والعلج راكبه	

ولوددت لو ان يكون الادب في جبهة الاسد، ولو اصبحت الدفاتر في انياب
الاساود، ولوددت لو ان كتب ورقة بدينار، اوكتب دفتر بقنطار، فلا يتادب
الاشياع كي، ولا يعز الدفاتر الاجواد سخي، طولت على السيد واكثرت
وتهذيت فيما حررت واضجرت ولسان الهذر ناطق بالضجر، والسلام

وكتب الى ابي العباس كاتب محمد بن ابراهيم قد طلب منه نسخة رسائله

قد سلفت الشيخ من شكري ما اوجب عليه صلاح امري، والسفارة بيني
وبين دهري، والسلف في الدراهم محظور مستقبح، وفي الشكر مباح مستملح
وحاجتي هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور
ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ في دراج المتاركة، ودخلت في باب
المساكتة، ثم ردني اليه، انى لم ار معبر الكرم الا عليه، ولا ارى منبع الارزاق
الا من يديه، طلب الشيخ شيئا من رسائلي فرحبا بانجح طالب واكرم خاطب
ومن سعادة الصهر كرم اختانه، ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف
من نظر في ديوانه، ولو قدرت جعلت الورق من جلدي بل من صحن
خدي، والقلم من بناني، والمداد من اجفاني، ولا مليت هذه النسخة
على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة، ويجلدوه في بيت الحكمة، بل لو علمت
ان مثل الشيخ يطلبه، وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه،
لحاسبت عليه قلبي ولساني ادق حساب، وطالبت شيطاني بتنقيحه
وتهذيبه اشد طلاب، ولقلت لخاطري دقق طرزك، وجود
بزك، فان المبتاع كريم، والثمن عظيم، وقد قيل الراوية احد
الشاعرين، وانا اقول الراوية احد الشعرين،

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى، وخضت غمار المهالك والورى، ونظرت
الى الآخرة وانا في الدنيا واول ما مر بي سوء الدخول على ظهر الحمار، ومعاشرة
الحمار، على ان الحمار ايضا حمار، الا انه قصير الاذنين، يمشي على رجلين
وكأني كنت بين حمارين، الا اني كنت بين جنسين غير اني ادركت المراد،
وحمدت المراد، وساعدني الزمان وما كاد، ومن تعلق بذيل المقبل اقبل
ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل، فها انا ذا الشيخ صنيعه ولأمره تابع
وجنيبه وظيفتي في الملاء شكره، وفي الخلاء ذكره، والسلام

وله اليه

قضيت بهذه الناحية حاجتي وعمرت بعد الخراب حالتي اذ سرت اليها ممتطيا
عناية الشيخ بي ومرافقا نظره لي، ولولا سكون قلبي الى حفظه على ما ورائي، وقيامه
دوني في وجوه اعدائي لما تقدمت الا وقلبي متأخر ولا اقبلت الى مقصدي الا وعزمي
متذبذب، فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه، والرجل اذا
قيدها عقال الوجل لم تنطلق نحو مظنة الامل، فسبحان من نحلني كنزا ووهب لي
من جانبه شرفا وعزا، وجعلني اطير بجناحيه، واتناول ما اريد من
يديه، واذا مات ملكي احياه، واذا تبلد بختي امضاه، واذا سخط علي دهري
ارضاه، فلا جرم لقد ملكني ملكا لا تنحل عقد تره، ولا تخاف عهدته
لا سلبني الله تعالى لنعمة بقائه، ولا نزع عني ثوب الجمال ببهائه

وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها، والعقلة
وسطاها، والغيبة كبراها، ومالي عذر في واحدة منهن ولا منهن كلهن
ولكن المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكل حبل يتعلق، ولقد عققت
الود، وظلمت العهد، ونصبت جنبي للملام واستهدفت لسهام الكلام
وكأني بعساكر العتاب وقد زحفت الي وحملت علي والتقريع على

مقدمته، والتوبيخ على ساقته، والهجر الصرف على مجنبته، فارقت تلك الناحية والحمى رفيقي وزميلي، والنافض عديلي ونزيلي، وقد ودعت الدنيا، وحصلت في مخالب ابي يحيى، بين اليأس والوسواس، ميت النفس والانفاس، لا تطاوعني يدي ورجلي، ولا يساعدني لساني وعقلي، ابعد شيء عن الحياة، واقرب شيء الى الوفاة، ولا اظن عمري الا حسوة طائر اولفتة ناظر، ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين، ولم تحبس الى في الظنون، فجاء اسمي من جريدة الموتى، ورجعت الى الاولى من الاخرى وعاش الامل، ومات الوجل، ولولا اني معتزلي لقلت تأخر الاجل، فالحمد لله تعالى الذي قرب الاجل ثم اخره، واورده حوض المنية ثم اصدره لا بل اماته ثم انشره، وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر واذا غفر عرض للزيادة بالشكر، حمدا يتصل مداده، ولا يفنى اعداده

وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه، ثم غمني اطلاعي عليه، لما تضمنه من ذكر علتك، جعل الله تعالى ولها كفارة وآخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرا، وعلى الاخرى شكرا، وبودي لو قرب علي متناول عيادتك، فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك، ومرض قلبي لمرض جسمك واظن اني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائي غير جلد على اوجاع اصدقائي ينبو عني سهم الدهر اذا رماني وينفذ في اذا رمى اخواني فاقرب سهامه مني ابعد سهامه عني كما ان ابعدها عني اقربها مني شفاك الله وعافاك، وكفاني فيك المحذور وكفاك، ورفع جنبك، وغفر ذنبك، وشرح قلبك، واعلى كعبك

وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا

وصل التفاح في طيب نشرك، وحلاوة نظمك ونثرك، وحسن ذكرك، وكان اعبق
من كل طيب غير خلقك، واحسن من كل حسن غير خلقتك، وعدتني بسرعة انفكاكك
وذكرت افراقك من بداثك، فما ادري على اي الخبرين كان شكوي الله تعالى اكثر
عدداً، واكشف مداً، وباية البشارتين كانت نفسي اسر، وعيني اقر، صدق
الله هذه البشرى واتم عليك هذه النعمى وها انا قد مددت الى الطريق عيني
واخذت اعد الخطى بينك وبيني، احسب كل انسان رسولاً، وكل شخص
كتاباً الي محمولاً، فجعل الله تعالى اتحافنا بنفسك، ولا حرمنا حظنا من انسك

وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة

تأخر عني كتاب شيخي حتى نسيت ايام المراسلة، وصرت ارى في المنام
اوقات المكاتبة والمواصلة، وحتى ظننت ان الاقلام قد جفيت، وان
القراطيس قد فنيت، وان الكتابة قد نسيت، وان المطالعة والمفاوضة
قد طويت، وان المداد قد صار في جبهة الاسد، او يجلب من السويس
الابعد، وان الدواة قد اصبحت تامية، وان الدولة قد عادت اعجمية، ثم
راجعت فناظرت نفسي فوجدت الذنب مقسوما بينه وبيني فتحملت حصتي
منه، وانفردت بجميع عنه، وذلك اني خرجت وسافرت هذه السفرة فوقعت
في الحال فترة، والغائب ملقى وملغي، ومنسي ومتناسي فلان كان افقر من
الانبياء، فان فقرائهم اكثر من الاغنياء، واعرى من الحية، وانقى كيساً
من الراحة، يده صفر، ومنزله قفر، وغذاؤه الخوى، وعشاؤه الطوى
ووطاؤه الارض وغطاؤه السماء، وادامه التشهي وطعامه التمني و
راحته زوجته، ورجله مطيته، لا يرى الدرهم الا في المنام، ولا يحس
الدينار الا بالاوهام، ولا يشبع الا في اضغاث احلام، بابه مجلس الغوغاء
وذيله متعلق الخصماء، قد ضرب عليه الخذلان رواقاً، وبنى فوقه الادبار
طاقاً، ونشز عليه الرزق، وحرمه الخالق والخلق، واسع المنى ضيق الغنى
افرغ داراً من فؤاد ام موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاخذ منها، ولو

زار الذباب لطمع فيها، خصيب العين، جديب البطن، لأن العين تشبع بنظاره
ولا يشبع البطن الا عن حقيقة، كأن الأرزاق قسمت ورزقه غائب، وكأن البخوت
وضعت وبخته هارب، وكأن الفلك يعاديه، والدهر يناويه، وكأنه أثكل
الرزق ولداً، أو كسر له رجلاً ويداً، فعمدت اليه فجبرت كسره، وطردت
عنه فقره، وحاربت دهره، وزففته زف الهدي الى منى، وعللته تعليل
الصبي بالمنى، ورأيت حاله قد انخرقت انخراقاً لا يتدارك، وانحلت
انحلالاً لا يتماسك، فلم أزل أرفو خروقها، وأرتق فتقها، وأجلو عنها صدأ
الادبار، وأغسل عن أطرافها وضر العسر والاقتار، فما هو الا أن رأى
بيده الدرهم والدينار، وطوى مراحل العسر الى اليسار، حتى نسي
نفسه، وجحد أمسه، وتطاول بيد قصيرة، وتعظم بنفس حقيرة، وقلب
لي مجن غادر، وصافح نعمتي عليه بيد كافر، وقبح لقائه لي وكان حسناً، وخشن
مسه علي وكان ليناً، فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى، وتركه التأدب بأدب
الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس رددته الى قيمته، وجعلت نقمته في
وزن نعمته، ونزعت عنه قميص عافية أساء لبسه واستعماله، ولم يعرف له بهاءه
وجماله، وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت، ورددت اليه روحه وقد ابتدأ
يموت، فمن رآني فليتهم على الدرهم يديه، وليوكل به عينيه، وليجعل وكيله
نفسه، وقهرمانه كيسه، وشريكه فعله، وحارسه عقله، وخادمه خاتمه
وصديقه صناديقه، وليعلم أن درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه، واذا أصلح
يد غيره لم يصالح يديه، واذا أعطى أباه أو أخاه فقد زاد في عدد أعدائه
كما نقص من عدد أصدقائه، ومن أراد أن يشتري الأعداء بماله، و
أن يحارب يمينه بشماله، فليخالف طريقتي، ولا يقبل نصيحتي

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كتابي الى الشيخ من الديوان، وأنا فيه ملتحف بالحرمان، مشتمل بالذل
والهوان، قاعد بين النقصان والخسران، عن يميني مستخرج جانٍ، وعن

يباري وكيلان، والحمد لله على تصاريف الدهر واحواله، وصلى الله تعالى
على سيدنا محمد وآله، قد جفيت قلبي وبك في كتبي الى الشيخ اخطب نظره لي
وانشد ما اضللت من عنايته بي فلم يعطف على عطفه، ولم يشغل بجانبي طرفه،
واذا ادبارى مصمت لا يسمع الدعوى ولا يقبل الرقي وما اشكو الا نحسى
ولا اهجو الا نفسي وما خصمي غير حرماني ولا قرني الا زماني، ورد علينا فلان
ونحن نيام نوم الامنة، وسكارى سكر الثروة، ومتكئون على فراش العدل
والنصفة، فما زال يفتح علينا ابواب المظالم، ويجتلب فيناضر على الدنانير و
الدراهم، ويسير في بلاد ناسيرة لا يسيرها السنور في الغار، ولا يستجيزها
المسلمون في الكفار، حتى افتقر الاغنياء، وانكشف الفقراء، وحتى ترك الدهقان
ضيعته، وجحد صاحب الغلة غلته وحتى اخرب البلاد، بل اخرب العباد، وحتى
شوق الى الآخرة اهل الدنيا، وحبب الفقر الى اهل الغنى وحتى نشف الزرع
والضرع، واهلك الحرث والنسل وحتى لقب بالجواد، وكنى بالفساد، و
صار الدرهم في ايامه، اقل من الصدق في كلامه وصار الامن في اعماله اعز من
السداد في فعاله، فليته اذ اوحش الرجال حصل المال وليته اذ ضيع المال
ارضى الرجال، ولكنه حرم الاثنين، فافلس من الجهتين والله ما الذئب
في الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين، ولا السوس في الخز في الصيف
عنده الا من المحسنين، ولا الحجاج بن يوسف الثقفي في اهل العراق الا اول
العادلين، ولا يحسب الا ثيم في اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين
والصديقين، ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين
فان كنا به معاقبين فقد تنقضي مدة العقاب وتختم صفحة العذاب، وان
كان الفلك غلط به، والزمان اخطأ فيه، فقد يراجع الغالط حسه، و
يحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسر، ويتلافى ما بدر، والسلام

وكتب الى ابي الوفا صاحب جيش عضد الدولة

كتابي وانا بما يبلغني من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور، وبما يعرفه

الزمان واهله من اعتضادي به مصون موفور، والله تعالى على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور، التطفل وان كان محظورا في غير مواطنه فهو مباح في اماكنه، وان كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا، فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا، ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة، وهو في غير وقته بدعة، وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف خطب بها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في لساني وقلبي رسما، ويختم عليهما ختما، وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب، وبحيرة لا تحلب ولا تركب، ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار، ونشرت طراز محاسنه في ايدي القاصدين والزوار، واقيمت له عندي بالفضل شهادة الاخبار والآثار، وهما شاهدا عدل، بكل نقص وفضل، ثم لما رأيت نفسي غفلا من سمة مودته، وعطلا من جمال عشرته، حميت لها من ان يحمي عليها ورد مورود، ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود، وعجبت من سحاب اخطأني جوده وهو صيب، وبحر عدا لي سيله وهو مفعم

وبدا ضياء الافق شرقا ومغربا	وموضع رجلي منه اسود مظلم

وله الى ابي الحارث من ولد شاه بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعي كتابه

مكاتبة مثلي للامير سوء ادب ودعة، وقلة حياء ومسكة، وتركي مكاتبته بعد ما امكنتني وقرب متناولها مني تضييع لفرصة من فرص العز، ونهزة من نهز الفوز، والعاقل يختار خير الشرين، ويميل مع اعدل الشقين، لم ازل ايد الله تعالى الامير اقترح على دهري ان يسعدني، وعلى عمري ان يسعفني، فاتعلق من تلك الخدمة بطرف، واتوصل الى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر الا ان يحلئني عن ورد احوم عليه برجائي، ويغلق علي بابا استفتحه بدعائي، فلما غلبني الدهر على ارادتي وخالف بين طريقي صدري وايرادي رضيت من المائدة باللقمة، ومن الفضل بالبلغة، وسلكت مع بختي طريق المصانعة، اذ كان قد سد علي طريق المصادقة، وقلت لا اقل

من ان ادرس اسمي في اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة، واترب يدي بغبار
تلك الصنائع الجميلة، واخدم ذلك السيد قولاً، وان كنت لم ارزق خدمته
فعلاً، واكاتبه غائباً، اذ كنت لا اصل اليه حاضراً، فكتبت هذه الاحرف لاصل
حبلي بحبله، واعوض بها نفسي لفضله، وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه
السلعة، واشهد لي وسطي في هذه الصنعة، فان الهيبة تحصر بنان الكاتب
وتعقل لسان الخاطب، فكيف سالها مع المتكاتب وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد
بحره، ولم احتلب دره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله، ومن اطباق
الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله، لا بل شكري له عن غيري اعظم، والحق
لي فيه الزم، لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن انسان، واحتجت في ذلك
الى لسان، واذا شكرته عن الناس شكر عن امة، واحتجت الى السنة جمة،
على انني طي الحسام اذا مضى وان كان يوم الروع غيري حامله، جزى
الله تعالى الامير عن الجود خيراً فقد اقام له سوقاً كانت كاسدة، واهب منه ريحاً
كانت راكدة، واحيى منه ارضاً كانت هامدة، ولقد سلك الامير من الكرم طريقاً
يستوحش فيها القلة سالكها، وعمر المعروف داراً لا يستأنس بها الغد ساكنها
وبيته في قفارها، لدروس آثارها، وانهدام منارها، اعانه الله تعالى على صعوبة
الطريق، وقلة الرفيق، والهمه صبراً يهون عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه
مسافة المكارم، فبالصبر تنال العلى، وعند الصباح يحمد القوم السرى

وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة

تأخر كتابي عنك يا ولدي لاني كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب، وقلب
متقلب واردت ان اخلي خاطري لجوابك، وان اقضي بذلك حق كتابك فمن
صيانة صاحب الكتاب ان لا يتجوز له في الجواب على ان مصون كلامي عند
مثلك غير مبتذل، ومدخوري عندك ليس بمستعمل، ولا لوم على الفقير اذا
حمل ما عنده من اليسير الى المياسير، وقد بذلت جهدي، واني اقصى ما عنده

وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها، وعوضه الصحة
عنها، ووددت لو قبلتني العلة فداءه، وأمكنني أن أقرض سيدي شفائه
فكنت أنقل إليه الصحة نقلا، وأبذل له ما عندي من العافية بذلا، الجرب حكة
عافى الله تعالى سيدي منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندها
التي يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة قذفتها الطبيعة إلى الظاهر، و
دفع الله تعالى شرها عن الباطن، وعسكر من عساكر البلاء، تمده القذارة و
تمده الطهارة، وتنقص منه البرودة والرطوبة، كما تزيد فيه اليبوسة و
الحرارة، ومن داوى ظاهره، وترك باطنه، فإنما يبل حائطا ودائرة النار الموقدة
ويرش على سطح بيت فيه الشرار المبثوثة، ويقعد تحت قول الأول

خليلي داويتما ظاهرا	فمن ذا يداوي جوى باطنا

وكيف تنقطع مادة نار تنطفي من ظاهر الجسد، وهي تتوقد في باطن الكبد
وكيف يزول داء سببه مكايلة، وترياقه موازنة، وكيف يصح جسم حميته
دواؤه، وغذاؤه داؤه، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم، أو يفي صغير
البناء بكبير الهدم، وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته، ولا يملك يده
ولا يهاجر حبيبه، وطعامه وشرابه، حتى لا يراهما إلا خلسة، ولا يذوق
منهما إلا بلغة، أرى لسيدي أن يصبر على الجوع مع مرارته، وعلى العطش
مع حرارته، وأن يقتصر من الطعام على ما يكون في أوسط طبقات الرطوبة
وفي أعدل موازين البرودة، ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل إلى
أطرافه فأما البقول فيجب أن لا ترى ولو في المنام، ولا تمس ولو بالأوهام
والسمك وما ناسبه بلية، واللبن وما خرج منه منية حتى إذا حس في
معدته بالخلاء، ووقف من طبيعته على الصفاء، ومن أخلاط جسمه
بالاعتدال والاستواء، استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس
فضول السوداء، وتخرج خبايا الصفراء، وتقمع سلطان البلغم، وتصفي
كدورة الدم، فإذا انجلى عنه خمار ضعفها، وتقشعت غيابة سكرها أمرها
بفصاد يخص به الأكحل فإنه نهر العروق، والطريق الذي يفضي منه إلى

كل طريق، تصعد اليه السفلى، وتنزل عليه العلياء، وتلتقي عليه الاولى والاخرى
فاذا فرغ منه، وخرج باذن الله تعالى سليما عنه، وعلم ان لم يوص العارض
الاهباؤه، ومن الخوف الازبده وجفاؤه، يعالج حينئذ باللطوخ التي تغسل
ظاهر الجسم، ويجلو صدا السقم، ولا ينسين الاستكثار من الغسل و
الاغتسال ومباشرة الماء الحار على كل حال، فان الجرب في حيز الحرارة، كما
ان الماء في حيز البرودة، والبارد اذا لقي الحار اطفى بعضه، وان لم يقطع
اصله، والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه، وان لم يهدم اركانه، وملاك
الامر الحمية فانه لا يكون قوي الحمية الا من كان قوي الحمية، ومن غلبت شهوته
على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية، وانخلع عن ربقة الانسانية، وحق على
العاقل ان يأكل ليعيش، لا يعيش ليأكل، وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع ماكله
وقتيل نامله، وان يجني ببعضه على كله، ويعين فرعه على اصله، فكم من
لقمة اتلفت نفس حر، وكم من اكلة منعت اكلات دهر، وكم من حلاوة تحتها
مرارة الموت، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت، وكم من شهوة ذهبت
بنفس لا تقوى لها العساكر، وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر،
وهدمت عمرا هدمت بناء اعمار، وخربت بخرابه بيوت بلا مصار، والعلل
كلها وان لم يشملها اسم، ويجمعها حكم، فهي متباينة الاقدار، متمايزة المقدار،
متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار، فعلة العشق دليل على لطف الغريزة
والترحم عن الرقة الروحانية، وعن النفس الخاصة الانسانية، وعلة النقرس
على التنعم والقعود، وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود، وعلى ان صاحبها مخدوم
مكفي او ملك حظي، وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد
وعلى التفريط في العلاج والتفقد، تنطق بان صاحبها ضعيف المنة في التوقي
اسير في يد الحرص والتشهي، غاش لنفسه، قليل البقيا على روحه، و
كيف يحفظ اصدقائه، من لا يحفظ اعضائه، وكيف يبقي على غيره، من لا يبقي
على نفسه، وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه من لا يؤتمن على بعض منه، وهذه
علة تكسب صاحبها خزيا وحياء، وتورثه خجلا واسترخاء، ينظر الى

الناس بعين المريب، ويستتر عنهم كستر المعيب، تنفر عنه الطباع، وتستقذره
النفوس، وتنبو عن مواكلته العيون، واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهي بداه
والة اللقاء والزيارة وهي جلاء، ولو لم يكن من فائق آفاتها، ومن عجيب هباتها
الا انها تشيخ الفتيان، وتمسخ الانسان، تجعله اميا بعد ان كان غير امي، و
اعجميا وليس باعجمي، تنفر عن نفسه نفسه، وتهرب من فراشه عرسه، ويتباعد
عنه اقرب الناس منه، لقد كانت جديرة ان يحتشد لها دواؤها، وتبذل الرغائب في اقتنائها
ثم هي ربع من ارباع الخذلان، وقسم من اقسام الحرمان، قال الشاعر

	اعاذك الله من اشياء اربعة		الموت والعشق والافلاس والجرب	

وما ظن سيدي بداء قد سارت به الامثال، وقيلت فيه دون سائر الادواء
الاقوال، قال رؤبة، وقد ذكر علة، هي اعدى من الجرب، عند العرب

وقال ابو تمام

	لما رايت اختها بالامس قد خربت		كان الخراب لها اعدى من الجرب	

وقال لبيد

	ذهب الذين يعاش في اكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الاجرب	

فجعله راس الادواء، ووصفه بانه غاية البلاء، وانما ذكرت فيه ما
ذكرت لازيد سيدي فيه بصيرة، واهرب منه رغبة، وفي الصبر عليه زهادة،
من الله تعالى على سيدنا بالشفاء، وجعل عهده بهذا الداء آخر عهده بالادواء
انه طبيب الاطباء، وخالق الداء والدواء، وكاشف البلاء

وله الى قاضي الري ابي الحسن الهمداني

قد ملأت مسمع قاضي القضاة ايده الله تعالى بكتبي اليه في الحاجات واني لاعلم
اني قد دللت عليه حتى امللت، واوجفت حتى احجفت، ولكني اتطير بنعمة الله
تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها، وانسى جوابها برد الناس عنها، والسلام

وله الى ابي المعالي وزير صاحب الجبل

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلت به وسنان، وهذبت بذكره يقظان،
فلما رايته خررت له ساجدا، وشكرت الله تعالى باديا وعائدا، والحمد
لله تعالى الذي اراني محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتورة، ودولته قد
اقبلت بوجه مسرورة، وادال ايام سعده على ايام نحسه، وابعد ما بين الحوادث
وبين نفسه، وجعل يومه خيرا من امسه، ونجاه من المحنة كثرة الشامتين، وخير
من انكشافها كثرة الشاكرين، فان الذي يشمت بالناس في وقت الرحمة لئيم،
وان الذي يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم، والشيخ بحمد الله
تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنة، وابكى بالشفقة
عليه اعينا، لا زال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعدائه فان اعداء الفاضل
اعداء فضله واضداده اضداد فعله، وكل امرئ حسود لامثاله وشكله

وله الى سعيد بن سمكة

نظرت الى ذنبي الذي استحققت به الهجران، وتقصيت طرقا فعالى لا اقف
منها على الفعل الذي اوجب الحرمان فوجدت نفسي قد كلفت الشيخ حوائج وحملت
اليه بالغرائز الرسائل والسفاتج، ولو تركت مكاتبتي الى الشيخ نقية الاطراف من ضر
السؤال خفيفة الاكتاف من ثقل الادلال لما تجلى علي بالمقال من لا يبخل على
بالمال وضايقني في العرض اليسير من لا يضايق في الجوهر الكثير، لينزلني
الشيخ ايده الله تعالى من قلبه حيث انزلتني الثقة به وليضعني من نفسه بحيث
وضعني لوده منه، وليعلم اني سيفه الذي لا يفله طول الضرب ولا يمله مراس
الحرب، ولسانه الذي يذب عنه في الملا، ويدعو له في الخلا، واخوه الذي ان لم
تصفه اخوة الولاد، صرفته اخوة الوداد، ويتجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد فلان
قد استشارني في مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره وافق
هو بدره، وان ما تفرق فيهم من الفضل ففيه مجتمع، وعنه متفرع

وله الى ابي نصر الميكالي يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته

ابلغ

ابلغ قتادة غير سائله	جزل العطاء وعاجل الشكر
اني شكرتك للعشيرة اذ	جاءت اليك برقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة، كما ان المذمة لنفسها
قبيحة منقصة، والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب
يمدحونه وان لم يحسن اليهم، ويشكرونه وان لم يفضل عليهم، كما ان المسيء
في النفوس صغير وان كثر مالا وحالا، وقبيح وان حسن بناء وجمالا، على هذا
اسست البنية، وعليه وضعت الفطرة، وفيه اتفقت الخاصة والعامة، ثم
ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات، كما ان الاساءة سيئة وان كانت
كلها على درجات، فمن صاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها، ولا يمر ثمرها
واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه، ويخرج الاحسان في موضع استحسانه
فقد سددت رميته، واصيبت رميته، وزكا صنعه، ونما ربعه، وما عرف اهل
بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا، واجود لاهلها انتقادا، واصوب لها
اصلا راوا يرادا، من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل
بهم مكانهم وزمانهم، والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم
نسج، فصنائعه في قوالب الحمد والشكر، وعلى طريق الاجر والذخر، لا يقع الا
بين الشرف والثواب ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كالفل الكريمة
لا يزوجها حتى يستكرم صهرا، او يحكم مهرا، او كبائع الجوهرة النفيسة لا
يبزرها حتى يرى ثمنا، او يأمن غبنا، والجواد محتكري، لا محتكري، والكريم
تاجر جمال، وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من فقره، وسلاحه على دهره
ولله تعالى بقايا من عباده، في بلاده، خلقهم ليعيش بهم العاسر، ويشد
بازرهم الفاقر، ويحيي بحياتهم المعالي والمآثر، فهم ملح الارض اذا فسدت
وعمارة الدنيا اذا خربت، ومعرض الايام والليالي اذا احشدت، بلغني
ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم وبره الجسيم
ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد، ومن طريف نازع التالد ومن غصن
من اغصان الشرف، نما على عرقه في السلف ومن نفس رضعت ثدي المكارم

وربيت فى حجر لا كارم فجرت على سنن اوائلها، واحيت فضائلهم بفضائلها، وانما تعجبت من حسن ماتحرى الشيخ لمعروفه وارتاده، ومن صواب ما عزا واراد فا الكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع، وخالف بزرعه موضع المزرع، وما اكثر من يلد معروفه فلا ينجب ما ولد، ولا يبلغ به صاحب المقصد، وهذا الفقيه بين نفس مقبلة، ودولة مقتبلة، يرمى به كماله وراء ميلاده، ويسبق فضله غايات آبائه وجداده، وللدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد والله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله، ويكمل الاقبال فى تمامها عمله، والحمد لله تعالى الذى جعل للشيخ من ابى عذره اصطناعه، واول من بسطت يده ومد باعه، والحمد لله تعالى الذى جعل هم الشبان مصروفة الى افتراع ابكار الجوارى، وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى، فالمصطنع فى الرؤساء والامراء، كالمصطنع فى العلماء والفقهاء فسبحان من وفق بين الشكلين، وزاوج بين المثلين، وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين، وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسى الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طراز الايلى واوقد من فى كره شهابا لا يخفى فلا يقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر، بل الكتب والدفاتر، حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع، كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع، وحتى قلنا

شعر	ما لقينا من احمد بن على		ترك الناس كلهم فقهاء
	ما لقينا من جود فضل بن يحيى		ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولى على امد كل غاية بفعله وقوله، وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله، ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه باغلى الاثمان،

وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الحمد بقضائها، ونبت عن طالبها فى اقتضائها، فكنت الخصم والحاكم، والحاكم والمحاكم، وما ابطأ من اجدى، ولا اسرع من اكدى، ولقد وجدت نسخة مفروءة قد عمل فيها القلم

والبنان، وآثرتها للتبيين والبيان، وسودت حواشيها، ولاحت منه سمة
التصحيح فيها، ولم تكن في حسن خط كاتبها، ولا جودة تجليد صاحبها، ولا
استقامة حروفها، ولا تساوي جوانبها وحروفها، بعد أن سلمت من التحريف
والتصحيف ومن سقم الأشكال والحروف فإنما الكتاب لحسن ظاهره السقيم
باطنه مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها، ويسوءك خلقها، ومثل
الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدي
النسخة الأولى التي هي مائدة منقوشة ليس عليها دسم، وكيس حرير
ليس فيه درهم، وتقع الثانية خلافها كالعجوز المتنقبة، وكالقفل على الخربة،
فإنما هي كسوة عامي غبي، أو مقبرة يهودي غني، وتقع في يدي الثالثة وهي
اسم ولا جسم، ودعوى ولا علم، قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدري،
ولا يدري أنه لا يدري، فراؤها زاء، وميمها حاء، وطاؤها ظاء، والنظر
فيها يعمي، والاستدلال بها يعمي، ومن آفة العلم خيانة الوارقين، وتخلف
المعلمين كما أن من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين، وكما أن من
آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة، وكما أن من آفات الكرم أن الجود ضد
المنع، والبخل سبب الجمع، وأن المال في أيدي البخلاء، دون أيدي الأسخياء، وكما
أن من آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبة، وأن السفيه منيع الحوزة، قاعد
في خفارة البذاء والسفاهة وكما أن من آفات المال إذا صنته فقد عرضته
للفساد، وإذا أبرزته عرضته للنفاد، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت
عن غايته ذممت من اصطنعك، وإذا بلغتها وأبلغت فيه أوهمت من يسمعك وكما
أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك، ولم تقض لهمتك، وإذا
استكثرت اعترضت للإثم والعار، وأبرزت صفحتك للألم والخمار، وكما أن من آفات
المماليك أنك إذا باسطتهم أفسدت آدابهم وأذهانهم، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم
وألوانهم، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم
وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء،
وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب والحاذق ينسي الأدب،

وكان من آفات النساء انهن اذا اكثرن من شيء حلقهن واذا اهن فسد خلقهن
فلما تمادت مدة الاكداء وما اصلحني [illegible] حرفي بوادي بهبة ولا شراء
نزلت على حكم الامكان وحربت في [illegible] على رسم الزمان وحملت نسخة ان لم
تكن بتلك السليمة فليست بتلك السقيمة وانا اعتذر اليوم منها قولا و
غدا فعلا واحصل اخرى ووه [illegible] ومهجتي وبدنياي وآخرتي

وكتب الى ابي بكر بن سمرد

انا متحير بين ان اقرا الشيخ بذنبي واجبره بعيبي وبين ان اسكت سكتة
متجاهل واصفح صفحة متغافل وقد كنت اعلم ان العفو الى المقر اسرع منه
الى المصر وان وضر الذنوب لا يغسله الا الاقرار ولا يزيله الا الاعتذار و
قد كان في حكم ما اوليه من نعمه التي يفني الابد ولا تفنى ويخفى الصباح ولا
تخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى ينسى القوم ولا تنسى ان يكون لي عنده
كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد الا بل كان ينبغي ان اجعل رسولي اليه
الريح فانها اسرع واكتب اليه في الفلك فانه اوسع ولا تطلع شمس الا وجنبها
مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب ولكن ابن آدم للنعمة كفور وبالعهد غدور
غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه واني لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب
ونزل ذلك الجناب واود لو كنت سطرا فيه او حاشية من حواشيه ولا ايام عندي
اذا وصلتني بالشيخ نعمة لا اسمع عنها الثواب ولها على اذا بعدتني جناية لا
اقدر على كفائها من العقاب وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا
ثم هجاه وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى
بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته ودفعت الى حربه وطالما صالحته
قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها ورجحت بين تركها و
ذكرها فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت
ذكرها لاحت علي فعلي سمة الكفران وعرفت بسوء مجازاة الاحسان وحرمت
نفسي ثمرة اللسان فقد اسكت الشيخ لساني من حيث انطقه وحصر

بنانی من حیث اطلقه، وعلی ذلك فقد اسمعت شکری کل من له اذن، و
اریت اثر صنیعته کل من له عین، حتی لقد حسدنی علیه الاقارب وتعرف
الیّ فیه الاجانب، وهابنی ورجانی منذ عرفته الحاضر والغائب، ثم لم
یرض ان احسن بی حتی احسن الیّ من یرسل الیه بکتبی، فاضاف النعمة
الاخری الی الاولی، وعقب الصنیعة الکبری بالصغری، علی ان اصغر صنائعه کبیرة
کما ان اکبر شکری له صغیرة، ولکن الکبیر من الکبیر یصغر کما ان الصغیر من
الصغیر یکبر، فکیف اهلنی الشیخ لاحسانه ثانیا، ولم اقض حق احسانه بادیا،
وکیف حملنی النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع علیّ الکل وقد ضعفت
عن البعض، وکیف نبع علیّ بره من کل منبع وطلع الیّ السعد به من کل مطلع
ودب الیّ احسانه من کل مکمن وکان سبیلی ان یستوفی علیّ قبل ان اوفی وان
احاسب علی الحاصل الاول قبل ان یثنی وان اعامل علی قول الاول

اذا ما قضیت الدین بالدین لم یکن	قضاء ولکن کان غرما علی غرم

وکتب الی تلمیذ له عن کتاب وقصیدة

وردت القصیدة الغراء، بل الدرة العذراء، بل الهدیة العظیمة، بل النسمة
الکریمة، بل الیاقوتة الیتیمة، بل فریدة الدر، بل غرة الغر، بل شمس الکرام
وغریبة الایام، بل الخطاب الجزل والمنطق الفصل، بل الحسن والاحسان، بل
التبیین والبیان، بل واحدة القصائد، وخاتمة القلائد، وآبدة الاوابد، بل ابوة
النظم والنثر، بل ملکة الرجز والشعر، بل حسنة الالسن ونزهة القلوب والاعین
بل بستان الافکار، وجلاء الابصار، بل روح المعانی والمبانی وهیکل الاوزان
والقوافی، بل عقیلة الدهر، ونادرة العصر، وثمرة العمر، وبیضة العقر، و
تریاق القلب بل ملبسی تاج الفخر، ومورثی کنز الذخر، لا بل لیلة القدر
فانها خیر من الف شهر، وهذه خیر من الف بیت شعر، ولم اعن بیت الموزون،
انما اردت البیت المسکون، ففتحت کتابها عن النور المنثور، وعن الدیباج المنشور
وفلیت معانیها عن روح البدیع وقلبه، ومبانیها والفاظها عن جیب الفصیح

ولبه، ووددت طرفي منها في روضة سقاها اللسان وعلها البنان ونافر عليها
زمانها الازمان، ولم يبق فيها بيت الارويته، ولا فضل الاحكيته، ولا لفظ
الاكررته وثنيته، وودد ت لوكانت اعضائي كلها للنظر اجفانا، وللاستماعها
آذانا، وللنا ولها وجسها ايديا وبنانا، بل لوكان الحرف منها سطراء والكلمة
من كلما تها عشراء فيمتد نفس ستيفائها روية ورواية، ويعظم حجم
استقصائها فهما ودراية، وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق
ان يكون له ولد نجيب ولا يقتضي ان ينبغ فيه عالم ولا اديب ثم رجعت الى
الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه لا ابن ايامه ولياليه وان قول الناس
ابناء الدهر لفظ مجازي ومعنى اصطلاحي وقد نحلني فيها من هذا
الفضل ما ان طولبت بجد واه، لم اخرج من عهدة دعواه، فان نكن تلك
شهادة منك اسلفتنيها، وسلعة جازفت لي فيها، فقد يسامح الكريم اخاه
ويحابي الحر من بايعه وشاراه، وان كنت تظن في هذا الفضل فاسال الله تعالى
ان لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتني رجعت عن ظنك وردت بعينك حكم اذنك وانا
المعيكي وان لم يكن لي في العرب نسب ولا بيني وبين معد قرابة ولا سبب

وكتب الى ابي الفرج خليفة الوزير بنيسابور

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه وجعلت قبول عظته بدلا من جوابه ذكر الشيخ اني لو
اقتصرت على خدمة الامير وعلى منادمة الوزير لمالت الصروف عن جانبي
ناكبة وولت الخطوب عني هاربة، ولولم انتجع غير نيسابور بلدا ولا غيرهم بها احد
لعشت معهم عيشة رغدا، وجواب الشيخ تحت قول الاول شعر

فيا لخير لا بالشر فاطلب مودتي	واي فتى يقتاد منه الترهب

مثلي ايد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد
والترهيب ولا تجتلب خلاف مودته بالاذلال، ولا يدرك مصون ما عنده
بالامتهان والابتذال وانما يحبس مثلي بالرغبة، ويقيد بقيد من الذهب والفضة
ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين وبالشكر والتذمم ضمينين وانما الحر زجاج رقيق

وولدي بعد مماتي، ولا اخاف بها علي روحي وعرضي في حياتي، ولو علمت اني اسام خدمة من ليس له اثر علي، واصادر على نعمة لم تصل الي، لفارقت دار الهوان، ولكن جناحي واهي الطيران، ذكرا نه بلطف بالامير حتى سل منه السخيمة، وحمله على ان اغتفر الجريمة، وما عرفت لي جرما يحتمل معذرة، او ذنبا يستوجب مغفرة، فان كان الامير غفر لي ما ساجنيه من السيئات، فهلا شكرني على ما سآتيه من الحسنات، وكيف استجاز السلف فيما يتعلق بالعقوبة، ولم يستجزه فيما يتعلق بالمثوبة، فان كان مراده ان اقر على نفسي بذنب ما آتيته، والتزم بشكر جميل ما اوتيته، فهذه صدقة قد سامنيها، والصدقة لا تحل من الفقراء الى الاغنياء، ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء، وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان، ويجب ان يسير ذكره في ثناء هذه المعاني الحسان

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا	ما لم يروا عنده آثار احسان

وانما لساني خادم من خدم فؤادي، ومتصرف من متصرفي مرادي، فكيف يفتات علي بشكر غيره، وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره، وانما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر، حتى تستسلف المطر، ولا تضحك في وجه السماء الا بعد ان تستوفي حقها من الانداء، وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذاري، فقد خرجت اليه من عهدة اضماري، وانا اقر بذنوب العالمين حتى بذنب ابليس في الاولين، وحتى بذنب هاروت وماروت في المتقدمين، والتزم كل المعايب حتى معايب بني امية، ومعايب بغلة ابي دلامة، واقول قد دبغني الليل والنهار، وثقفتني الاحوال والاطوار، فابصرت قصدي، وتبينت رشدي، فليلبسني الامير رضاه عني ثوب العزة، كما البسني بغضبه علي ثوب الذلة، وليجعلني عبدا اعوج فقوم، وجهل فعلم، فلما عرف نفسه، وتلافى بيومه امسه، رد عليه مكانه، ورجع اليه زمانه، فادعى ان النابغة الذبياني ما اعتذر الا عني، ولم يك لسانه الا بضعة مني، وانتحل قول علي بن الجهم

ليس عندي وان تغضبت الا	طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السا	دات عفو وعتبهم تقويم

وكتب

وكتب الى رئيس قم

بسطني الشيخ ثم انقبض عني، ودعاني ثم هرب مني، وكان ليس له مثال الا كمن خطب
الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه، وارخى دونها حجابه، فعرض المهر للهجنة
والعروس للتهمة، ولعلي اتيت مني، واصبت الشيخ بعيني لما رأيته قد احيا مواتا
من الود، وسبق الي باكورة من كرم العهد، وقد ثبت من ان انظر الى
اصدقائي بعين العجب بهم، وارمقهم بما يدعوني الى الحب لهم، لا بل سأتعامى
عن محاسنهم ان رأيتها، واتغابى عنها وان دريتها، ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب امير خورستان

ذكر الشيخ من غمه بغيبتي فيما كان، وفرحه بأوبتي الآن، ما قلبي عليه شاهد
وعلى الشهادة زائد، لانه لا يمين على شاهد، وانا احلف على هذه الشهادة
فاكون قد وفيت بما وعدته من الزيادة، ولقد رأيت الاخوان غير شيخي و
مودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه، ويعرضونه على كل من رآه، ومهر هذه
الحال قلبي فقد احتوى عليه، وودي فقد تمسك بطرفيه، والاحرار تستعبد
بالاحسان، من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان، على ان المملوك يعتق
بلفظة، ويباع في صفقة، ويزول عنه الرق في لحظة، والحر لا تزيده الايام
الا رقا لمن اصطنعه، وتواضعا لمن رفعه، ولقد عجبت من محاسبة الشيخ
نفسه عن اصدقائه، ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه، مع انه في زمان قد
مرجت فيه عهود الاخوان، واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان، وما لوا مع الرجحان
على النقصان، ورضوا من القلب باللسان، ومن الغيب بالعيان، واذا تبين
التاجر كساد السلعة، تجوز في الصنعة، واذا قل المتاع، فتر البياع، والحمد لله
الذي رزقني من شيخي صديقا يتجمل بقربه، ويوثق بغيبه، ولا يخاف لغير من
لسانه ويده، فلا سلبت هذه النعمى، ولا سبت على هذه الموهبة العظمى، فان الايام
قلما رأت بيدي علقا نفيسا الا سلبتني، وقلما اعطتني ما احب شيئا الا حاسبتني

حتى انى لو صادفت الهواء لجعلته حمى لا يطال جانبه ولو احتصصت بالماء
لصيرته منبعا لا يرى شاربه ما الناس فما احصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى وحفظته
فاضاعنى واسعفت به على الزمان فاعان على ... تطهرت بمكانه على الاعداء فكان
عدة لهم الى اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت واصلح قلوب الناس فقد فسدت
ولا تمتنى حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت النقص كما مات الفضل

وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر وفاتت
النظائر وملأت المسامع والنواظر فلا زالت امداد صنع الله تعالى له
متناسقة والايام له بما يهوى موافقة وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة
تاب الدهر منها وخطيئة انكرها ورجع عنها فان الشيخ يحسن فى لباس
النعمة ويقبح فى زى المحنة وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية
ويعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته
ولو اخذ لى فيما اخذه منى لاستقللته له واستصغرته دونه والذى رجع
اليه فهو مقسوم بينه وبينى فان اذن فهو له دونى حملت الى الخزانة نسخة رسائلى
فنصفها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء
تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة الى قبح الكسوة وتغطى على ظلمة الدواء
ظلمة الوعاء وتتضاعف السماجة ضعفين وتفتدى العين من لونين
فيصير القلب سير العين بلغنى ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه
ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله وكتبته فى هفوات عقله العمل ايد الله تعالى
الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجمل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير
والكبير منه بالصغير صغير وكانى بالتمييز وقد نبع منه نابع وبدولة
الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع وبرجالات الحضرة وقد تذاكروا
مظان الآجال ومساقط الرجال فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته
وقوموه قيمته وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأتنف خلاف ما سلف وانما

خدمة السلطان نارٌ بينما هي نورٌ اذ ملأت داراً وحرقت اوقاراً و
صارت الليل نهاراً، ولا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة والسلام

وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها

سمعت ارشدكم الله سعيكم، وجمع على التقوى امركم، ما تكلم به السلطان الذي
لا يتحامل الا على العدل، ولا يميل الا على جانب الفضل، ولا يبالي بان يمزق
دينه اذا رفا دنياه، ولا يفكر في ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه، و
انتم ونحن اصلحنا الله واياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخر لنا الدار
الاخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل فاعد لنا ثواب الآجل، وقسمنا قسمين
قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شريداً، فالحي يحسد الميت على ما صار اليه،
ولا يرغب بنفسه عما جرى اليه، قال امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه
السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة اسست
على المحن وولد اهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة اهلها نغص و
قلوبهم حشوها غصص والايام عليهم متحاملة والدنيا عنهم مائلة فاذا
كنا شيعة ائمتنا في الفرائض والسنن، ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن
فينبغي ان نتبع آثارهم في المحن غضبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها
وعلى آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر امير
المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضي الله عنه سراً وقتل اخوه كرم الله
وجهه جهراً وصلب زيد بن علي بالكناسة وقطع رأس زيد بن علي في
المعركة وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ومات
موسى بن جعفر في حبس هرون وسم علي بن موسى بيد المأمون وهزم
ادريس بفخ حتى وقع الى الاندلس فريداً، ومات عيسى بن زيد طريداً
شريداً، وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان وبعد تاكيد العهود و
الضمان هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان وغير قتل محمد بن
زيد والحسن بن القاسم الداعي على ايدي آل ساسان وغير ما صنعه ابو الساج

كما أن علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامرا وهذا
بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه
ووارى شخصه، يصانع عن حياته، ويدافع عن وفاته، ولا كما فعله الحسين
بن إسمعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان
بعلوية الكوفة كافة وبحسبكم أنه ليست في بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي
تربة تشارك في قتلهم الأموي والعباسي وأطبق عليهم العدناني والقحطاني

فليس حي من الأحياء نعرفه	من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسار على جزر

فأدتهم الحمية إلى المنية، وكرهوا عيش الذلة، فماتوا موت العزة ووثقوا
بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية، ثم لم يشربوا كأسا
من الموت إلا شربها شيعتهم وأولياؤهم، ولا قاسوا لونا من الشدائد إلا
قاساه أنصارهم وأتباعهم، داس عثمان بطن عمار بن ياسر بالمدينة
ونفى أبا ذر الغفاري إلى الربذة وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي وغرب
الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي وسير عمرو بن زرارة إلى الشام و
نفى كميل بن زياد إلى العراق وجفا أبي بن كعب وأقصاه، وعادى محمد بن
حذيفة وناواه، وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل وفعل مع كعب ذي
الحبكة ما فعل، واتبعه في سيرته بنو أمية يقتلون من حاربهم، و
يغدرون بمن سالمهم، لا يحفلون المهاجري ولا يصونون الأنصاري
ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله
دولا، يهدمون الكعبة، ويستعبدون الصحابة، ويعطلون الصلاة
الموقوتة ويختمون أعناق الأحرار، ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم
في حرم الكفار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلالة، قتل
معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان
المؤكدة والمواثيق المغلظة وقتل زياد بن سمية الألوف من شيعة الكوفة
وشيعة البصرة صبرا وأوسعهم حبسا وأسرا، حتى قبض الله معاوية

على اسوأ اعماله، وختم عمره بشر احواله، فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و
يقتل ابناء قتلاه، الى ان قتل هانى بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمي
اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى وبابى موسى عمرو بن قرظة الانصاري
وحبيب بن مظاهر الاسدى وسعيد بن عبد الله الحنفى ونافع بن هلال الجملي
وحنظلة بن اسعد الشامى وعابس بن ابى شبيب الشاكرى فى نيف وسبعين
من جماعة شيعة وامى بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى
ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم الوان القتل
حتى اجتث الله دابره بقتل الظهر بدمائهم التى يهفات عظيم النعمة بجريمهم الذى
انتهك فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا
ويغسل عنهم وضرما اجترحوا فصمد واصمد الفئة الباغية، وطلبوا بدم الشهيد
الدعى ابن الزانية، لا يهدهم قلة عددهم، وانقطاع مددهم، وكثرة سواد اهل
الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل
سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن وال التميمى
فى رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام
ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد ان شفى الاوتار وادرك
الثار وافنى الاشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله
واتبعوه ابا عمرو بن كيسان واحمر بن شميط ورفاعة ابن يزيد والسائب بن مالك
وعبد الله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة، ويقتلونهم
شر قتلة حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، واراح من اخيه مصعب
العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه ونفى
عبد الله بن العباس واكثر ارهاقه فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج
على الحجازيين ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين واخاف الفاطميين، و
قتل شيعة على ومحا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى
واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله

ان يختم ما يتم باكثر آثامهم، ويجعل اعظم ذنوبهم في آخر ايامهم، بعث على بقية
الحق المهمل والدين المعطل، زيد بن علي فخذل لما نافقوا اهل العراق وقتله احزاب
اهل الشام وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدي ومعاوية بن اسحق
الانصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتى من زوجه وادناه وحتى من كلمه
وماشاه فلما انتهكوا ذلك الحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم
وانتزع الملك منهم فبعث عليهم ابا مجرم، لا ابا مسلم، فنظر لا نظر الله اليه
الى صلابة العلوية والى لين العباسية فترك تقاه، واتبع هواه وباع آخرته
بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان واكراد اصفهان على
آل ابي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط
عليه احب الناس اليه فقتله كما قتل الناس في طاعته، واخذه بما اخذ الناس في
بيعته، ولم ينفعه ان اسخط الله برضاه، وان ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقي
الدنيا فخبط فيها عسفا، وتقضى فيها جورا وحيفا، الى ان مات وقد امتلأت سجونه
باهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم
حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمرو
التغلبي فما ظنك بمن قرب متناوله عليه، ولان مسه على يديه، وهذا قليل في جنب
ما قتله هرون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن علي
بفخ من موسى وما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هرون وما جرى على احمد بن
علي الزيدي وعلى القاسم بن علي الحسني من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي
حين اخذ من قبله والجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس
الامامة وانتم اصلحكم الله اعظم نصيبا في الدين من الاعمش فقد شتموه، ومن
شريك فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد اخافوه، ومن علي بن يقطين فقد
اتهموه، فاما في الصدر الاول فقد قتل زيد بن صوحان العبدي وعوقب عثمان
بن حنيف الانصاري ونفي جارية بن قدامة السعدي وجندب بن زهير الازدي و
شريح بن هانئ المرادي ومالك بن كعب الارحبي ومعقل بن قيس الرياحي والحرث

الاعور الهمدانی وابو الطفیل الکنانی وما فیهم الا من جرح علی وجهه قتیلا او عاش في
بیته ذلیلا، یسمع شتمة الوصی فلا ینکر ویری قتلة الاوصیاء واولادهم فلا یغیر
ولا یخفی علیکم حرج عامتهم وحیرتهم کجابر الجعفی ورشید الهجری وزرارة بن
اعین وکفلان وابی فلان لیس الا انهم رحمهم الله کانوا یتولون اولیاء الله ویتبرؤن
من اعداء الله، وکفی به جرما عظیما عندهم وعیبا کبیرا بینهم وقل فی بنی العباس فانك
ستجد بحمد الله تعالی مقالا، وجل فی عجائبهم فانك تری ما شئت مجالا، یجبی فیؤهم
فیفرق علی الدیلمی والترکی ویحمل الی المغربی والفرغانی ویموت امام من ائمة الهدی و
سید من سادات بیت المصطفی فلا تتبع جنازته، ولا تجصص مقبرته، ویموت ضراط
لهم او لاعب او مسخرة او ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاء ویعمر مسجد
التعزیة عنه القواد والولاة، ویسلم فیهم من یعرفونه دهریا او سوفسطائیا ولا
یتعرضون لمن یدرس کتابا فلسفیا ومانویا ویقتلون من عرفوه شیعیا ویسفکون
دم من سمی ابنه علیا، ولو لم یقتل من شیعة اهل البیت غیر المعلی بن خنیس قتیل
داود بن علی ولو لم یحبس فیهم غیر ابی تراب المروزی لکان ذلك جرحا لا یبرأ، ونائرة لا
تطفأ، وصدعا لا یلتئم وجرحا لا یلتحم وکفاهم ان شعراء قریش قالوا فی الجاهلیة
اشعارا یهجون بها امیر المؤمنین علیه السلام ویعارضون فیها اشعار المسلمین
فحملت اشعارهم ودونت اخبارهم ورواها الرواة مثل الواقدی ووهب بن منبه
التمیمی ومثل الکلبی والشرقی بن القطامی والهیثم بن عدی ودواب بن الکنانی وان
بعض شعراء الشیعة یتکلم فی ذکر مناقب الوصی بل فی ذکر معجزات النبی صلی الله
علیه وسلم فیقطع لسانه ویمزق دیوانه کما فعل بعبد الله بن عمار البرقی وکما رید
بالکمیت بن زید الاسدی وکما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمری وکما دمر علی
دعبل بن علی الخزاعی مع رفقتهم من مروان بن ابی حفصة الیمامی ومن علی
بن الجهم الشامی لیس الا لغلوهما فی النصب واستیجابهما مقت الرب حتی ان
هرون بن الخیزران وجعفر المتوکل علی الشیطان لا علی الرحمن کانا لا یعطیان
مالا ولا یبذلان نوالا، الا لمن شتم آل ابی طالب ونصر مذهب النواصب مثل
عبد الله بن مصعب الزبیری ووهب بن وهب البختری ومن الشعراء مثل

مروان بن ابي حفصة الاموي ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعي فاما
في ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري وابي السمط بن ابي الجون الاموي
وابن ابي الشوارب العبشمي ونحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا
الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا ولن يحل لنا عقيدة
نقصان من نقص منا، وان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ كلمة من الله
ووصية من رسول الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم
غد وبعد السبت احد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا
حتى يبلغوا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلى
الله عليه ثم هزم ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم "الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" ولولا محنة المؤمنين وقلتهم ودولة الكافرين وكثرتهم
لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ولما تبين الجزوع من الصبور ولا عرف الشكور من الكفور ولما استحق المطيع الاجر
ولا احتقب العاصي الوزر، فان اصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه وان رجعت
لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة، ولكل مقام
مقالة، فعند المحن الصبر وعند النعم الشكر، ولقد شتم امير المؤمنين عليه السلام
على المنابر الف شهر فما شككنا في وصيته وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة
سنة فما اتهمناه في نبوته، وعاش ابليس مدة تزيد على المدد فلم نرتب في لعنته، و
ابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ودفعنا الى قتل الامام بعد الامام
والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته، وكان وعد الله مفعولا وكان
امر الله قدرا مقدورا، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون، ولتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله ان بني امية
الشجرة الملعونة في القرآن، واتباع الطاغوت والشيطان جهدوا في دفن محاسن الوصي
واستأجروا من كذب في الاحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وحولوا الجوار
الى بيت المقدس عن المدينة والخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة وبذلوا في طمس
هذا الامر الاموال وقلدوا عليه الاعمال واصطنعوا فيه الرجال فما قدروا على

دفن

دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا دس احد من اعداء الله في اولياء الله ولقد كان يرد على رؤسهم بفضائل العترة ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجة لا تنفع في ذلك هيبة ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة والحق عزيز وان استذله اهله وكثير وان قل حزبه والباطل ذليل وان رصع بالشبهة وقبيح وان غطى وجهه بكل مليح

قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من انفس بني امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا … وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره

لعن الله من يسب عليا … وحسينا من سوقة وامام

وقال ابو دهبل الجمحي في حمة سلطان بني امية وولاية آل بني سفيان

تبيت السكارى من امية نوما … وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وقال سليمان بن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم … اذل رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسري

فقل لبني امية حيث حلوا … وان خفت المهند والقطيعا
اجاع الله من اشبعتموه … واشبع من بجوركم اجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبي ومن يحبهم … يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم … من امة التوحيد في ازل

وقال دعبل بن علي وهو صنيعة بني العباس وشاعرهم

الم تر اني مذ ثمانين حجة … اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيئهم في غيرهم متقسما … وايديهم من فيئهم صفرات

وقال علي بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم

تاليت ان لا يبرح المرء منكم … يتل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنو العباس تصبر منكم	ويصبر للسيف الكمي المدجج
لكل اوان للنبي محمد	قتيل زكي بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قربه المامون

يمن عليكم باموالكم	وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بني عمهم جوعا وسغبا، ويملأون
ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون
المهاجري والانصاري ويولون انباط السواد وزارتهم، وقلف العجم و
الطماطم قيادتهم، ويمنعون آل ابي طالب ميراث امهم، وفي جدهم
يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها، ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها
وخراج مصر والاهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف الى ابن ابي
مريم المديني والى ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي والى زلزل
الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد
وجاري بغا التركي والافشين الاشروسني كفاية امة ذات عدد والمتوكل
زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية والسيد من سادات اهل البيت
يتعفف بزنجية او سندية وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق
الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين ورسوم القرادين
وعلى مخارق وعلوية المغني وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهي ويبخلون
على الفاطمي باكلة او شربة، ويصارفونه على دانق وحبة ويشترون
العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين احل
لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون
ضرا، ويهلكون فقرا، ويرهن احدهم سيفه ويبيع ثوبه، وينظر الى فيئه
بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب الا
ان جده النبي وابوه الوصي وامه فاطمة وجدته خديجة، ومذهبه
الايمان وامامه القرآن، وحقوقه مصروفة الى القهرمانة والمضرطة
والى المغمزة والى المزورة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة والدمية

والقردة وعلى عرس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة، وماذا اقول فى قوم حملوا
الوحش على النساء المسلمات، واجو والعباده وذوية الجرايات، وحرثوا تربة
الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوز زواره الى البلدان، وما اصف من قوم
هم نطف السكارى فى رحام القيان، وماذا يقال فى اهل بيت منهم نبغ البغا
وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا و
كان المتوكل مؤنثا موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا
وقتل المأمون اخاه، وقتل المنتصر اباه، وسم موسى بن المهدى امه، وسم
المعتضد عمه، ولقد كانت فى بنى امية مخازى تذكر، ومعايب تؤثر، كان
معاوية قاتل الصحابة والتابعين، وام آكلة اكباد الشهداء الطاهرين، وابنه
يزيد القرود، مربى الفهود، وهادم الكعبة، ومنهب المدينة، وقاتل العترة
وصاحب يوم الحرة، وكان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبى صلى الله عليه
وعلى آله اباه وهو فى صلبه فلحقته لعنة الله ربه، وكان عبد الملك صاحب
الخطيئة التى طبقت الارض وشملت، وهى توليته الحجاج بن يوسف الثقفى قاتل
العباد، وقاتل العباد، ومبيد الاوتاد، ومخرب البلاد، وخبيث امة محمد الذى
جائت به النذر، وورد فيه الاثر، وكان الوليد جبار بنى امية وولى الحجاج
على المشرق وقرة بن شريك على المغرب، وكان سليمان صاحب البطن
الذى قتله بطنه كظة ومات بشما وتخمة وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة
الذى نسخ الجهاد بالخمر، وقصر ايام خلافته على العود والزمر، واول من
اغلى سعر المغنيات، واعلن بالفاحشات، وماذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من
جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين، وعريق فى الكفر
بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى، وكان
الوليد بن يزيد خليع بنى مروان الكافر بالرحمن، الممزق بالسهام القرآن
واول من قال الشعر فى نفى الايمان، وجاهر بالفسوق والعصيان والذى غشى
امهات اولاده ابيه، وقذف بغشيان اخيه، وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها
ومع قبحها وشنعتها، صغيرة وقليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين

بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي اموال المسلمين، هؤلاء
ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون
بذلك يقف خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم، فان كسد التشيع
بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين، والشام والعراقين، وبالجزيرة والثغرين،
وبالجبل واليغارين، وان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على الامير الذي لا يعزل
وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة ولا يطلب سجلا
ولا شهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد، ونسأله ان لا يكلنا
الى نفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وان يعيذنا من عونة الحشوية
ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وارجاء الحنفية وتخالف اقوال الشافعية،
ومكابرة البكرية، ونصب المالكية، واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية
وروايات الكيسانية، وجدل العثمانية، وتشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية
وان لا يحشرنا على نصب صفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي او
شاشي ولا على ارجاء كوفي ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل
بغدادي ولا على قول بالباطن مغربي ولا على عشق لابي حنيفة بلخي ولا على
تناقض في القول حجازي ولا على مروق سجزي ولا غلو في التشيع كرخي وان
يحشرنا في زمرة من احببناه ويرزقنا شفاعة من توليناه اذا دعا كل ناس باامامهم
وساق كل فريق تحت لوائهم، انه سميع قريب، وليسمع وليستجيب

وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه، وخطبته لسلمه بعد حربه،
وما لا يزال يتعرف منذ انقشعت ضبابة المحنة، وانجلت غمرة الكربة، من صنع
جديد في ظل يوم جديد لم تحتسبه، وعز مؤتنف في كل ساعة لم نحسبه حتى
لقد اشتم روائح عود الحال الى ما نماها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها
الذاهب، وهكذا تكون احوال المقبلين، فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم
رجعت فاعتذرت اليهم، والزمان اذا جار بهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون

في الحالين أجر المحنة، وزيادة بشكر النعمة، ثم يختم لهم بما هو بحالهم أليق، و
بمقاديرهم أوفق، والمحنة إذا كانت بعرض زوال فليست بمحنة، كما أن النعمة
إذا انتظر بها التغيير فليست بنعمة، وإنما الإنسان من دهره في يومه فأما أمسه
فافل، وأما غده فآمل، وكل غم سبب لسرور فهو سرور، وكل ظلمة كانت طريقا إلى
النور فهي نور، ومن محاسن أيام المحن أن الإنسان يعرف بها غش الأصدقاء،
ويقف منها على وزان الثقات والأولياء، ويميز بين من هو صديق البلاء،
وصديق الرخاء، ومن فوائدها أنها تعلم المرء مقدار العافية وتعرفه إخراج
زكاة الجاه والدولة، وتحلي في فمه ما يجده بعدها من طعم السلامة، ومن منافعها أنها
تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها، وتظهر كفاية أناس لولا غيبتهم
وحضور البدل منهم لم يهتدوا إليها، والآن عرف الشيخ بحقيقته، ووزن بزنته، ووقف
السلطان والرعية على تفصيله وجملته، بحضور غيره وغيبته، وإنما يعرف حق
الأفاضل من فجع بعدهم إلى عشرة الأراذل، ويشتد يده بالخاصة، من يبتلي بعده بالعامة
وما أغلى الماء على من فقده، وأرخصه عند من وجده، هذا وقد صقلت هذه الفترة
خلائق الشيخ بالتجارب، ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب، وهذبت أفعاله من
كل شوب، وغسلت عنه وضر كل عيب على أنه لم يزل مبرأ من كل رذيلة، ومخصوصا بكل
فضيلة، ولكن الأيام عملها في التعليم، وخاصتها في باب التنبيه والتقويم، فالحمد لله
الذي رد إلى ذلك الأمير جماله وبهاءه، وعمر بابه وفناءه، وسر شيعته وأولياءه
وعم حسدته وأعداءه، ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشترى بالأثمان، ولا
يوزن بالميزان، ولا يكال بالقفزان، ولا يرى مثله في هذا الزمان، كما لم ير
في سائر الأزمان، ثم الحمد لله الذي حول كتبي من التعزية إلى التهنئة، و
أخرج القاضي من ميدان الصبر إلى ميدان الشكر، وجعلني رطب
اللسان بالحمد لله، بعد ما كنت رطب اللسان بإنا لله، ثم الحمد لله الذي
استجاب دعائي، ورحم بكائي، وعلمني كيف تطلب الحاجات، ومتى تستجاب
الدعوات، وعرفني أن الدهر غريم ربما يفي بما يعده، وحبلى بما تتم فيما تلده، ثم
الحمد لله الذي أراني أهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه، بمن وجدوه، كما عرفوا

نقصان من وجده بمن كانوا فقدوه، وانشدوا قول حنظلة ابن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته ... وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

وترجعني اليك وان تناءت ... دياري عنك تجربة الرجال

وكتب الى رئيس سمرقند

وصل كتاب سيدي بعدان كنت ظننت لتاخره ظنونا اعيذه بل اعيذني بالله
من ان تصدق بها فراستي وتتحقق مخيلتي، وظن المحب متوزع، والشفيق بسوء
الظن متولع، الكتاب الذي ذكر سيدي لم يصل، ولقد كان الكاغذ للجواب عنه
موجودا، والكاتب مشهودا، والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا، افهم
غير المفهوم وليت شعري كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن
السلكة السعدي واوفى بن مطر المازني وعمرو بن براقة الهمداني والشنفرى
الازدي وتابط شرا الفهمي والسمهري العكلي ومالك ابن الريب المزني وشظاظ
وبرجان وكعب حدرو ومالك بن حزيم وعمرو الكلب الهذلي وجحدر العكري و
المنتشر بن وهيب الباهلي وابو النشناش الحنظلي والقتال الكلابي وابو حردبة
والحطيم التميمي واكتل ورزام الخريبان، واسكاب والغدافى القاطعان
وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرفل التميميان وعروة الغفاري
وحاجر بن عمرو الازدي هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين
كانوا يسلبون الناس سلبا، ويأخذون كل سفينة غصبا، واما بعد اليوم اذا
كتبت الى سيدي كتابا قرأت عليه المعوذتين، وعلقت في جيده تميمتين، واتخذت
من حامله كفيلين احدهما ذو الجناحين، والآخر ذو النورين، حاجتي في كذا
قضيت بسيدي لا زال قياما بالحوائج يحل ما يعقد، ويسهل ما يشتد، ولا زالت
عنايته تفك اسيرا، وتيسر عسيرا، لا جرم لقد كتب على سجل رق
وقلد رقبتي له حقا يوفى على كل حق، وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم
من المذمة الى المحمدة، وعمله انجاز الموعدة، لرجل يحسن ان يغير

الشيم

الشيم، وان يعلم اللئيم الكرم، فلا زلت أتحمل لسيدي عارفة تنضاف إلى سائر عوارفه، وآنف صنيع ينضم إلى سالفه، حتى تسود حواشي جريدة نعمه علي وأياديه إلي فأعمل جريدة غيرها، وأضيف إليها مثلها

وكتب إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزمشاه من المحنة

كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين، أوردتا فرحتين، وأوجبتا شكرين، أحدهما وهي كبراهما خبر سلامته، وسلامة أحواله، ونعمة الله تعالى عليه في جملته، والثانية خبر ما أتاح الله تعالى للوزير أبي فلان من الفرج الذي وافى بغتة، وورد على القلوب والأسماع فلتة، فما أدري بأية النعمتين كنت أكبر اعتدادا، وأكثر بها لمحاسن الأيام تعدادا، وبأية البشارتين كان سروري أكبر حجما، وأعظم جرما، ولأية الفرحتين كان قلبي أطرب، ولساني بشكر الله تعالى أرطب، على أن سلامة صاحب الجيش وإن كانت البشارة التي توفي على البشائر والنعمة التي تربي على النعم البواطن والظواهر، فإنها جرت مجرى الشيء إذ كانت متطلعة متشوفة، ومتوقعة متوكفة، ووردت على شيء ينتظر موردها، وعلى قلب يتنجز موعدها، وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير، وقد جرى مجرى بيضة العقر، وقام سماعه مقام افتراع البكر، وردوا القلوب فيه غير طامعة، والنفوس إليه غير منازعة، واليأس قد رتج باب الرجاء، والبلاء قد نسخ آيات الرخاء، وطول أيام الفترة، قد هزم بجيش الهم جيش المسرة، وكان نعمة خرجت من بيت نقمة، وفرحة نبتت في أرض غمة، وخبرا سار مر على أذن طالما قرعها خبر البلاء، وعلى عين طالما باتت على السهر وأصبحت على البكاء، والسرور إذا خرج من الكمين كان أنفس للزينة، والضحك إذا وجد في ساعة البكاء كان أغرب في السماع والرؤية والحمد لله الذي جعل صاحب الجيش يهدي البشائر إلى مضاعفة، وينعم على النعم متراكمة مترادفة ويورد علي خبر سلامته في نفسه التي هي أعز النفوس علي ممزوجا بخبر سلامة أحب الناس

بعده الى لقاء ونسيم ريح نسيمه قد هبت على جو بارد شمالا، وجناح الانس والطرب
قد فرف ... ستيا رديتها لا، كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الامن بابه، وكأن
البنا ثم لا يحسن ان نطلع على الامن كتابه وخطابه، وفهمته وعظم اعتدادى
بمورده لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين واجبته بقلبين
وكتبت بيدى بقلمين، وواليت ايامه ودولته بنفسين كما انه يحن الى من
جنبين، ويبث رقى من جانبين ويمد الى الهدية ذات الطرفين فاما ان نعمته على
متنى شئ ومكافاتى له عنها فرادى فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوفى
فعل محسن وحال شاكر، ومتى رجح رئيس على شاعر، ومتى استوى من
يطلب سائلا، ومن يطلب نائلا، لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا، و
مددا وعضدا، وركنا مشيدا، وسنانا محددا، وسهما مسددا، وسيفا
مجردا مهندا، وجبلا مجددا، وعزا مؤبدا سرمدا، ولا خلوت منه ابدا،

وكتب الى خوارزم شاه

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد اسرورى بالرسول
ام سرورى بالمحمول، وفهمته ولما عرضته على اصدقائى، صار
يحسدنى عليه اعدائى، فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم، ومحاسن
الخط بعيونهم، علموا ان بخوارزم قوما من التجار الافضل، ومن الطراز الاول، اذا
اخذوا الاقلام كتبوا، واذا اخذوا السيوف ضربوا، وان كان الامير رأس الجريدة
وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجه الرزمة وصدر الدست
واول التخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب ويحسب الامير ان
هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل
بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق،
ولقد تركت الاسماع به مشحونة، والقلوب مفتونة واتانى خلال ذلك فرح لا
يسعنى جلدى منه فرحا، ولا تحملنى اعواد سرجى مرحا، فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى	ضنا به نظرى الى الامراء

ولقد قال لي من لا يدع فضلا الا تنقصه ولا جميلا الا غمصه: هذه
كتابة الوزير لا كتابة الامير، فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل
خادمه، والكمال تابعه، ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل، ومن
تصرف في عمله العقلاء فقد تصرف له العقل، وكيف يخدم الفضلاء
غير فاضل ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل، واصدرت الجواب
الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء، وملأ رحابها وابوابها
برسل الملوك والرؤساء، وصرف اليها زمام كل رغبة وثنى نحوها عنان كل رهبة
وجعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

وكتب الى العامل على البريد بالاهواز

كنت ظننت بك يا اخي ظنا كذبه قبيح فعلك، وضعف هجرك ووصالك
فانك لا تعدل فيهما على قياس واحد، ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد
رجعت في ودك وما كنت ارجع في هبة، وندمت على ثقتي بك وعهدي بي
ان لا اندم على حسنة، وهذا ايدك الله تعالى رزقي من كل من اصفيته حبي
ووضعت في يده قلبي فانا ابدا بين صديق اشكوه وقد كنت اشكره، واعذله
وقد كنت اعذره، وارتجع قلبي منه كرها وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد
اشتغل قلبي بخوف الاصدقاء، عن خوف الاعداء، واشتغل شعري بالعتاب عن
المديح والهجاء، حتى لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارى المساهلة غبنا
واحسب المكافاة على القبيح عدلا، ومعاشرة الناس بالغش عقلا، وان كان
هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ اصدقائي وهم في الحمد عليه شركائي

وكتب الى ابي حامد بن روزبه اديب قومس

وصل كتاب شيخي مكتوبا بخط ينطق بغير لسان ويفصح من غير بيان
احسن من كل شيء غير كلام صاحبه، والطف من كل شيء غير
اخلاق كاتبه، القصيدة قد حفظتها لما لحظتها، ورويتها لما رأيتها

ولو اجبت عنها، لسرقت الجواب منها، اذ كانت قد جمعت نشر البديع،
وضمت اطراف الرصف والترصيع، ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت
الى شيخي من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على انى قد
طلقني الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب او بالرغب او بالرهب وما
بقي شيء يسر به فاطرب ولا بقي كريم فارغب، ولا بقي وجل فارهب

وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

وصل يا ولدي كتابك القصير بجدك، المختصر جدك، وفهمته ذكرت انك مشتاق
الى اللقاء، ومستبطئ في ذلك القدر والقضاء، والمسافة بيننا صغيرة
البقعة، ضيقة الرقعة، اذا ذرعت بذراع الهوى، ومسحت بيد الذكرى
وهي بعيدة اذا مسحت بيد التسلي ونظر اليها بعين التغافل والتناسي
والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط
والتعويق، فلا تتعلق باذناب العلل، لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا انه كان صغيرا كايام لقائي له قصير المدة
انس به، على انه لا قليل من البر، ولا صغير من الذكر، على ان صغير البر الطف واطيب
كما ان قليل الذكر اشهى واعذب عاتبني الشيخ عتابا انساني الرعد القاصف والريح
العاصف والبرق الخاطف واوردت جوابه فعقل لساني عنه ذكر ايام تفض
العزائم، وتسل السخائم، وما كل انسان يعطي السلطان على قلبه فيقلبه، و
على شيطانه فيغلبه، فلم ينزع شيخي قميصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه
واطلق لسانا لم يزل يحبسه، انا بكتاب شيخي اذا ورد على اشد سرورا من المشتاق
الى التلاقي بعد طول الفراق، ومن العاشق بالعناق، ومن الاسير بالاطلاق
ومن الفارك بالطلاق فليتحفني به، وليؤهلني له، ان شاء الله تعالى

وكتب اليه ايضا

١٧

كتبت الى شيخي كتابا سامحت فيه يدى وخاطري وغالطت فى انتقاده
قلبي وناظرى لأن رسوله كان اعجل من ابى دخل نصفه، ومن عامل حضر
مشخصه، ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة، او بياض غدوة
وهو على فراسخ بعيدة وفوق مطية بليدة، ومن منهزم رأى خلفه سواد
الطلب وخاف عاقبة فوات الروح والسلب ومن المحتشى يوم الجمعة
وقد سمع الاذان، وركب السلطان، فلازمني حتى ضغطني ضغط الغريم
وضبطني ضبط الخصيم، وشغلني عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدى
ترتعش وقلبي ذهل دهش وانا ارى لشيخي ان يستعمل هذا الرسول
فى جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه
يحاسب على اللحظة، ويضايق فى اللفظة، ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس
ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سره، لجعله خليفته وفوض اليه
امره، فانه اكره منه لقاء، واشد تقضاء، وحاجتي ان لا يرده شيخي الى فانى
ارحم الارض من ثقله، واحب بطنها وابغض ظهرها من اجله والسلام

وكتب تعزية الى ابى بكر

بلغني ما قاساه شيخي ايده الله تعالى فى هذه المصيبة من غم يشكى بل يبكى
وجزع يضني بل يفني والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى
ما رآه بالماضى وعلى المعزى لما نظره فى المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشي ... اواخرنا على هام الاوالي

وشيخي اعرف بالله، واقرأ لكتاب الله، واروى لاخبار رسول الله من
ان يتأدب بغير ادب الله، ولا يسلم لقضاء الله، ولكن لمفاجاة المصيبة لذعة
يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الاخ الشفيق فقد يأنس المريض
الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه، ولا يدفع بلاءه وجعلنا الله تعالى ممن
يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى والصلواة والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر
الصابرين فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

والهمنا العزاء عما استاثر به، والشكر على ما اخلف منه، والسلام،

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

كتابي وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة، ونسي اسم المطالعة والمواصلة والذنب في ذلك لاحدنا فان كنته فمني المعذرة، ومن الشيخ الصفح والمغفرة، و ان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر، وغفرت ذنبه قبل ان يستغفر، وطفلت عليه بنصبي لساني نائبا عنه، وخليفة له وود وولده فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه ورايت الايام قد كسته رداء جمال وكمال، وصقلته بيد اقبال واقبال، وخرجت نجيبا انجل النجباء، وابنا احيا الآباء، ورأيته

يطلب شأو امرأين قدما حسنا ... بذا الملوك وفاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدما من صالح سبقا

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى، وعلى ارتفاعه في الذروة العلياء، وقد رسخ عرقه في تلك الدرة الكريمة، وفرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة، لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا، ولو بات في خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما، فكيف بولده، ومن هو قطعة من كبده، كانت الايام امتعتني بلقاء الشيخ مدة قصيرة كان نهارها القصره ظهرا وعصرا، وليلها عتمة وفجرا، فلما شكرتها رجعت فيما وهبت، وندمت على ما صنعت، وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء، وندم على ما سببه من المسرة فساء، والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد، وتجاوز الصنع القديم الى الجديد، فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة، وظفرت بتلك الفلتة، كتمتها لساني وشكرتها بضميري دون لساني، بلغني خبر تلك العثرة التي كانت عينا اصابت الاحسان، وعيبا لحق الزمان والسلطان، فزاد ذلك في جراح الايام بي وفي وقائعها بقلبي، ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين، والعاقبة للمتقين، وان الدهر يخطئ

ثم يصيب ويذنب ثم يتوب لا يبخل على الشيخ بكتبه فلو لم استفد منها
الاخبر بسلامته لكانت الضالة التي تطلب والعلق الذي لا يعار ولا
يوهب فكيف وفيها الفاظه التي تشوق العجوز الى شبابها والشابة الى احبابها
فاقوا تماقط الاحسد طرفي لساني على لفظه وحسد لساني طرفي على لحظه

فوالله ما ادري ازيدت ملاحة	على الخلق ام راع المحب فلا ادري

وانا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق ولا شاعر الوفاء والصدق ولا
شاعر الصداقة والود ولا شاعر الديانة والعقد لا تتلون اخلاقي لوانا ولا
اكون على صديق ومن يشكو الى زمانا ولا اكون اخاه ايام دولته وعدوه ايام
عطلته وقد غشت المروات وانثلمت المودات وماتت الوفاء والثبات

وكتب الى ابن العميد الحاكم

كتابي الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته ونعمة اسبغت على
منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته وورد على كتاب الشيخ الذي كل
سطر من سطوره كتاب وكل لفظة من الفاظه باب بل ابواب المفيد باطنه و
ظاهره البديع اوله وآخره الذي ما ورد على الاحسد ني عليه من رآه بيدي و
ودانه لو كانت عيناه عيني وعلم اني قد حويت في الحظوظ بقسم وافر وانه قد
حصل منها على غبن ظاهر لا زال الشيخ ابا عذر كل كلمة سائرة وكل فعلة نادرة
ولا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد ومحط الرحال المجد وشريعة موروده
لزوار المجد وبابا مفتوحا لمستخرجي الرفد فلان قد غضب على وما اعرف لي ذنبا
يستوجب منه عتابا ولا انسبه مع ذلك الى التجني ولا اضع فعله موضع الظلم
والتعدي ولكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه ويخفى على من جناه وقد
يرى الانسان من عيب غيره ما لا يراه من عيوب نفسه ولذلك قيل

ان المرائي لا تريك عيوب وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته ويوجد لي من عفوه

ما انشدت، ليكون قد صار طبيباً لأخلاق اخوانه يداويها من داء الهجران، ويصلحها من فساد الزمان، ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها ومتلونة الوانها، فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها، وتعادلت جوانبها، اتسع فيها مجال الشكر والذكر، وطالت فيها خطوة النظم والنثر

وكتب الى ابي القاسم الابي البندار

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق، لا بل خروج الآبق، قد كتم اخوانه حاله، ولم يستكفهم اشغاله، وخصص من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان، لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان، وما كان يضره لو صحبت ركابه، وكثرت بسواد على اصحابه، وقد لزمته الذنب وفي، وان كان مقسوماً بينه وبيني، كان ينبغي لي ان اقيم على بابه حارساً، وبكل درب من دروب محلته فارساً، واتعرف خبر رحيله، واقف على كثير ما يأتي وقليله، اذا رحل شيعته بجسمي مرحلتين، وبقلبي ما تين، على ان قلبي قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده علي، ولينفذه بل يفده رسولا قاصداً الي، فان غاية المشيع ان يرجع، وعاقبة الضيف ان يودع، ولا يأخذ قلوباً صدقانه في مرافق اعماله، ولا يكثر بمشيعيه سواد اضيافه، ولا يتركني بلا قلب فاني احتاج في مكاتبته الى قلوب، والنظر في كتبه الى عيون، والصبر على فراقه الى نفوس، ولا يقل هو عندك تذكرة منك، ونائب على بابي عنك، فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى، والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى

وكتب الى ابي سهلة بقم

انا الحر على شيخي في السؤال، واتجاوز حد الادلال الى حد الاملال، لان الذي اساله لا يوجد منه عوض، ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض، ومن طلب خطيراً احتمل كبيراً، وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع، وبحسب عظم النائل ضراعة السائل، وليس يرد كتاب شيخي على من هو اضن مني به، ولا ارغب مني فيه، ولا اروى مني له، ولا اشكر مني عليه، ولا اتوق

منى اليه، واظن شيخى يستغشّ مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى وصدر بَرِى خير من ملق فوقه بر دسابرى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض فى زوايا الهوى، وقد ينبت المرعى على دمن الثرى، ولولا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ مستورا، واصبح لسانى بعدها مقصورا، لسألته كتاب كذا ولكنى الى الخروج من الحواصل احوج منى الى طلب النوافل، ولقد نقص شيخى الى الادباء، وصغر فى عينى العظماء، وصارت اخلاقه لى مرآة ارى فيها الحسن والقبيح وانبين فيها السقيم والصحيح، وثمرة الادب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل فحصد والنقص من زرع الفضل لانعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر، وقليلا يتكثر، لا يفيد من دونه بخلا، ولا يستفيد ممن فوقه جهلا، ولو تعلم لعلم جهله، ولو علم لحفظ عليه، والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل، والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه البخل، ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان الجواد يبخل اذا بخل عليه، ويتحول داء غيره اليه فشر الادواء داء اعدى، وشر العيوب عيب تعدى، امتع الله تعالى شيخى بمحاسنه التى هى بيت المدح ومقيله، وغرة الدهر وتحجيله، واطال بقاءه وجعلنى فداءه

وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى واليه تنتهى غاية جودى فان اكن بلغت منها رضاه، فذلك الذى اريده واتحراه، وان تكن الاخرى فالرمية قصرت عن الرمية، والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنية فانما الذنب لرسوله الذى زعم انه اكفى وقال لى حسبك وكفى فان الطبيب يخرج من الدواء، مقدار ما يشكى اليه من الداء، ذكر الاديب فى كتابه ان سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته، وقرب نجح تجارته فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد، وبار بل باد، كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر، والى نزهة الفكر

ورايت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف
واني لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل والغائب الى الاهل
فاذا انقطع عني وانقطع دوني ثكلت املي وفجعت بسروري وجذلي
وغزي بعساكر الهم صدري وخلا لها ظهري وشيخي يتفضل فينظم
الطرق الي به ويكون شفيعي الى لسانه وقلبه ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي بكر بن شيمرد

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظي من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه
وقمت بالواجب علي من الاخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على اني لو شيعته
لاصبحت مشيعا وصديقا وامسيت معه صاحبا ورفيقا ولما تركني الشوق
ارجع عنه ولا خلاني اخلو منه وكنت اصير زيادة في اشغاله بل زيادة في
عياله فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت واردت الصواب فاخطأت
ولقد تركني الشيخ بجميل عشرته وكريم صحبته ابغض كل من احببته واباعد
كل من قاربته وكانه انما بعث الي ليفسد الاخوان علي فقد ضيق خلقي
وان كان وسع رزقي وافسد فعالي وان كان اصلح احوالي ومن
العجب وجود الحر في هذا الزمان الذي صار فيه اللؤم سنة متبعة و
اصبح الكرم بدعة مبتدعة ورخص الثناء حتى ما يبتاع وغلا السخاء
حتى ما يباع والكلام في هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته
ويستفرغ الفراغ مع قلته واني لاعتب على شكري للشيخ وانسبه الى
النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكرا لو شكرت
الزمان به لاصبح لي شتاؤه ربيعا وجدبه خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو
مدحت به الفلك لما دار الا بمرادي ولا تصرف بوجهه الا على اسعادي ولا
سعى الا في مصالح معاشي ومعادي وليس يخلو شكري لصنيعة سيدي
ان يكون دونها او فوقها او مثلها فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون
يده العليا على من عامله وصنيعته الراجحة على شكر من شكره وان كان

فوقه فقد ربح على الشيخ فليرد ني الى رأس المال فان ربح الرؤساء على الشعراء
من المحال وان كان مثله فقد اخذ مني مثل ما اعطى واستأداني كفافا ادى
فليستأنف الآن برا استأنف شكرا وليجد نعمة اجد خدمة هذا ايد
الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذي اغناني فليحتمل بطرى
وهذ يأني وكيف احاسب من نفسي بعض صنائعه الي وروحي بعض
ودائعه لدي ومن افعاله الجميلة عندي تفني كل حساب وتملأ كل كتاب
الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع
فوليته قفا صبور قانع ليعلم ان الكريم الوف عروف وصدوف عزوف يشكر على
اليسير وتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوي عندك
ان تمدي الى احد او تحمل من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة
راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطيخ لاكل الخل والبقل
وتطرف بطلبتها تطرف الغني بلبس الوداري وهو غريق في الوشي
العتابي وقادر على الديباج الخسرواني ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه و
يتحف بها جلساءه فتكون بابا من ابواب الهزل او جنسا من اجناس النقل

وكتب الى الوزير بالحضرة

ما اقرب الاشياء حين يسوقها	قد روابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال وفي ضمان الايام والليال
فاكسني فيها الزمان وارجف لي بها الاخوان قد اخلق ثوب الرجاء لها حتى
تمزق وتراجع حسن الظن بها حتى تمحق وطابت النفس عنها بيد الياس
منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر واقامها
من صرعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ونسخ باليقين
الرجاء فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقي وماء سيحا قد
كفى مؤنة المستقي وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطرحا و
بابا من ابواب المكارم مفتوحا لا المجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت

يد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة، واحتوى تلك المكرمة المذخوره فالحمد لله الذي وفقه لحفظ ما ضيعوه، ورفع ما وضعوه، ولقد اشترى من الشكر بلعة قليلة الطلاب فيا ليت اللئيم يشم رائحة افعاله، ويلاحظ شخص خصاله، ويا ليت البخيل يعطي من رزقه، قيمة خلقه في سعته وضيقه، ويا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد في رقبته، او حقائب على عاتقه، فلعلها اذا اثقلت ظهره، ضيقت صدره، فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه، وحر يسوفه

وليت رزق اناس مثل جودهم	ليعلموا انهم بئس الذي صنعوا

تاخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لاني اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى، ولا القلب ذي، ولولا اني رابع الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد، ولنا سبها الى كل هذا الارتياد، ولكني كابي الدمية لا يالو جهدا في جودة كساها، وكثرة حلاها، يشتري لها المطوي والملوي، ويكسوها الديبقي والمروي، ويتجاوز في جهازها الفضة الى الذهب، والشعر الى القصب، ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة، وعليه مردودة، ولو كانت بنته حسناء لزفها ولو انها من الثياب عارية، ومن الجمال كاسية، ومن الحلي عاطلة حالية، ومن وجهها حالية لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته، وبائعا لا تنقض بياعته، وبعد هذا كله فاني متى على نفسي بالتقصير، ومستحق للوم الكثير فان المحال اذا نصر زاد بردا، وان الخطاء اذا احتج له صار عمدا، فلان قد صحبته كتابي بالوصاية، وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعاية وارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه، ووقف الثناء والاجر على مدرجة بره وانعامه، وانما انا دال لمن دل الى الشكر، ومستام من سماسرة الثواب والاجر، ولما رايت هاتين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا او لا اجود منه نقدا جهزت اليه باعة البضاعة، ودللت عليه الباعة، والسلام



وكتب الى تلميذ له

انه يسلفني نعمته لا ادخل في غرامه، واصير واحدا من جملة انعامه، وليكون قد تناولني بالبر من كل طرقه قولا و فعلا و جوها وعرضا ولسانا و بيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه، ويبقيه ويقيه، ويرينيه كما تحبه، ويدنيني الحساله فيه،

وكتب الى الوزير ابي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى

كتابي الى الوزير وانا على بعد الدار سالم في جملته مستظهر على الايام به والحمد لله تعالى على سلامتي في سلامته، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رايت كتاب الوزير وقد ورد على غيري غرت عليه غيرة الفحل على الشول بل غيرة المراة على البعل ونوددت ان لم يكاتب به غيري او من يشكره مثل شكري فاني مع استقصاء نفسي في ذلك قد تعبت اوراقين، بل اتعبت الكرام الكاتبين وابقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا، وطرحت عليها عبئا ثقيلا ولقد كانت ايامي بحضرة الوزير قصارا، وكان ليلي بها نهارا، وساعاتي فيها اسحارا، كما ان ايام فراقه لجلد على وقع سهام الهجر، واسع المجال في ميدان الصبر، ولقد صابت عين الزمان وفائي وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراقه اصدقائي فاجرني الله تعالى على هذه المصيبة، ولاحرمني عليها جميل الاجر والمثوبة، لا يبعدني الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا، ولا يبعد في عنه، وقد قربني الحب منه ولا يبخل على بكتبه، فعهدي به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه ولياً نف من ان يكتب اسمه في جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

انا لامر سيدي الشيخ ممتثل ولقبلة مراده مستقبل ولكن فلان طرقني والشوق قائده، والحب سائقه، فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح، واقامه من بين يدي الطاس والقدح، فقد قطع عليه طريق السرور، وقام بازائه مقام حوادث الدهور، وقطاع الطريق على الناس اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس لان

الا طوال ليلة فواته تعد بلبال وادى بعد صبرى على فراقكم

الذي يأخذه اولئك من المال قد يصاب منه بدل ويوجد الى العوض منه سبيل
والذي يأخذه هولاء من العمر ويقطعونه من ايام الدهر لا سبيل الى ارتجاعه
ولا التئام لجراحه اقتطاعه هذا والضيف مولاي والمضيف عبده
فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاي وان اخالف هواه بهواي وقد علم
ما جاء في الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه وخرج الى سخطه من رضاه

وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدري

وصلني خبر الجدري فنال مني وهيج حزني وراع قلبي واسهر عيني وهذه العلة
وان كانت موجعة وفي رأي العين فظيعة شنعة فانها الى السلامة اقرب
وطريقها الى الحياة اقصد لان عين الطبيب تقع عليها ويد الممرض والمعالج
تصل اليها وانما هي قرح نهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم
من باطنه وبارز الجرح اهون من كامنه وهذه بعد علة تعم الابدان وتشمل
الصبيان واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب عباء
لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمري
انها تورث سواد اللون وتذهب من الوجه بديباجة الحسن ولكن
ذلك يسير في جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة وفي الشر خيار
ومن المحنة الى المنحة صروف ومقادر واذا اخطأت سهام الايام جانبا
واصابت جانبا فقد سرت اكثر مما ساءت لان الحسنة فيها تستبعد
وتستغرب والسيئة منها تنتظر وترتقب ولست استطيع لك غير الدعاء
ولا اكلم في بابك الاطبيب الاطباء ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء ولا
اسال صحتك الا ممن خلق علتك واري لك ان تحسن ظنك بربك وتستغفره
من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعك واليقين طبيبك وتعلم انه لا داء ادواء
من اجل ولا دواء اشفى من مهل ولا فراش اوطأ من امل شفاك الله تعالى
وكفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك

وكتب الى فقيه من تلامذته

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهي حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله، ورابع بين روضتين جاهه وماله والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين. انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز، واخذت احتال بصبر اعنك فاعجز، وعرضت معاملتك لي على الود بيننا فاباها، وقدمت فعالك مع الى القلب فما ارتضاها، فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا، واذكر او تذكر ما نسيته او تناسيته من عهدنا، واعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا او شكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم، وخالبا عنهم، حملت اليك نسخة رسائل الوزير وهي كالحلقة لا يدرى اين طرفاها، وكالشمس لا يفضل اولاها على اخراها كلها خيار، وكالجوهر فيها اختيار، فاعرها من اذا استعارها منك قبل يديك واذا ردها عليك قبل رجليك، واعلم ان قدر هذا الكلام في الكلام كقدر صاحبه في الانام فلان قد نصب لنا الحبائل، وارادنا بالغوائل، ولقد قرع باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء، وادخل يده جحر الاسود، وتعهد ملك الموت بالمرصد، ونطح برأسه الجبل، واستبطأ الاجل، وطلب العقرب فيه عن باب داره، وانزل النحس في جواره، واستهدف سهام الحتف، ووطئ على حد السيف، فلا جرم اصبح نقل كل لسان، وضحكة كل انسان، وحملت امهاته سفاتج الى البلدان، واجلت غيرة جهله عن اديمه وقد عرك، وعن ماء وجهه وقد سفك، وعن ستره وقد هتك، وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم واصله اللئيم، لمكر العقلاء، وقول الفصحاء، والسنة الشعراء، واقلام البلغاء وليس ورائه لسان تقرع به الآذان، ولا عرض يعارض به الاقران

وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن جوارزمشاه

كتبت وانا مقسم بين فرحة وترحة، ومردد بين محنة ومنحة، اشكو جليل الرزية، واشكر جزيل العطية، واسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمة، وللامير السيد التأييد والنعمة، فان المصيبة بالماضي

وانكانت تستوعب الصبر فان الموهبة في الباقي تستنفد الشكر، والحمد لله الذي كسر ثم جبر و
سلب ثم وهب وابتلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة
ان تطمس آثارها، وتظلم اقطارها، وتهب ريح الخراب عليها، وتنظر عين
الكمال اليها، حتى ذبلت شجرة المملكة، ووهن ركن الملة، وطرف ناظر
الدولة، وانثلم جانب الدعوة ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه، فرد
الى الامير حقه، وقرت الدولة في قرارها، وعادت النعمة الى نصابها، وطلعت
الشمس من مطلعها، ووضعت الرئاسة في موضعها، فانا الآن بين شكاية
الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه ابكي وانا ضاحك واضحك وانا باكي العين
الا ان الضحك علي اغلب والفرح الي من الغم اقرب لان المصيبة ماضية، و
النعمة باقية، رحم الله تعالى الماضي رحمة تهون علينا مصرعه، وتبرد
له مضجعه، وتضاعف حسناته، وتمحو سيئاته، واعان الامير على رعاية ما
استرعاه، والهمه شكر ما اعطاه، وتولاه فيما ولاه، ووالاه جزيل ما اولاه، و
ايد بالهيبة سلطانه، وثبت بالبقاء اركانه، وحرس من الغير زمانه

وكتب الى ابي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه ابي سعيد

كتابي الى الامير وقد ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في اسار
دمعي وبكائي، والقلب دهش، والبنان مرتعش، وانا من البقاء في الدنيا
مستوحش، والجفن غرق، والقلب محترق، وما اجتمع قبله غرق وحرق
للمصيبة التي ثلت عرش السلطان، وطمست نور الزمان، وجعلت الصبر
سيئة، والجزع حسنة، والاسى سنة، والاسا بدعة، وحق لمن اصيب بمثل
فلان ان يصاب بصبره، وان يدفن معه الفرح في قبره، وان يجعل يومه
تاريخ جدع انف الكرم، وركود ريح الهمم، وانكسار تاج العجم وانا تفكرت في
عظم هذا النازل، وارباءه على سائر المصائب والنوازل انشدت

ولكنه بنيان قوم تهدما	فما كان قيس هلكه هلك واحد

واذا تذكرت بقاء الامير وهو البقاء الذي لا وقع معه لخطب

وان كان مؤلما ، ولا حظة بعده لمصاب وان كان مستعظما ، انشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه	تخمط منا ناب آخر مقرم

وان بيت الامير الماضي سلفه ، والامير الباقي ايده الله تعالى خلفه ، لبيت عظيم المصائب عظيم المواهب محنتهم اجل المحن ، ومنة الله تعالى عليهم اكبر المنن ، ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته ، ولا يخرب بيت هو بقيته ، اللهم ارحم الماضي فانك رحيم بالكرام ، منعم على اهل الانعام ، واحفظ الباقي من عين الكمال ، فانها اكبر آفات الرجال ، وانفذ سهام الايام والليال ، واطل بقاءه فانه بقاء المجد ، وادم عزه فانه عز الشكر والحمد ، واجعل فداءه من لا يرضى بان يكون فداءه ، ولا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه ،

وكتب الى ابي القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان

لم يزل يبلغني ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التي تفتح لها ابواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء ، في اولئك الاعداء الذين متنعوا بشدة كلبهم ، وقلة سلبهم ، ومتاركة المسلمين قديما لهم ، ورضاهم راسا براس منهم حتى لقد حقنت الدماء ، وسكنت الدهماء ، وامنت السبل ، واجتمع الشمل ورجع النافر ، وعمر الغامر ، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة واغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها ، ووضعت الحرب اوزارها ، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق ، ولا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق ، اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله ، وعادى الشرك واهله ، لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه ، والنفاق من جرحاه ، والفساد في الارض من اسراه ، حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر ، وتشغل كل كاتب وشاعر ،

وكتب الى فقيه في تعهد مسجد

احق الاماكن بان يصان ولا يهان ، واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال

ويرفع ان تبنا وله يد لا يبتذل مكان بني ليجمع شمل التعبد، ويضم نشر
التهجد، وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة
السؤال وهو الكبير المتعال، فان صيانة هذا المكان صيانة الدين بل صيانة
الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين، وما ظنك بموضع هو بيت من
بيوت الله، ومظنة لقراءة وحي الله، تصف فيه الاقدام بين يدي الله،
وتميز فيه اولياء الله من اعداء الله، وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار، ومجلس من مجالس الاخيار، وحصن
من حصون المسلمين على الكفار، وجسر بين الجنة والنار، دخوله عبادة
والمقام به سعادة، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة، لا يخترقه كافر ولا
يقربه الا طاهر، من عمره عمر طريق الآخرة، ومن بناه بنى له بيت في الجنة، وبلغني
ما انت فيه من بناء مسجد محلتك، ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك
واكرم مآبك، ورضي عنك وتقبل منك، فتوسع رحمك الله نعم في
نفقتك، فانما تعامل وتسلف كريما سخيا، ولا تحاسب نفسك على دخلك
وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب، وانما يوفى المحسن اجره بغير
حساب وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وكتب الى ابي شجاع بن محمد كاتب بن قراتكين

كتابي وقد وجدت فلانا لا يضر ولا ينفع، ولا يضع ولا يرفع، وانما
هو مشط يقلبه خصي صلع، وان محال الشكاية فيه لرحب وان
طريق الملامة عليه لسهل ولكني لا اقطع يدي بيدي ولا اضرب بعضي ببعضي
ولا ارمي يسراي عن يمناي ولا اتباعد عمن قرب بي الاصل منه ولا اضربه
بالسيف الذي طالما ضربت به عنه ورأسي رأسي وان كان اصلع وانفي مني
وان كان اجدع، واما فلان فان المشرق عاطل هو حليته، وعريان هو
كسوته، وجماد هو روحه، واعزل هو سلاحه، واخرس هو لسانه، لا فجع
الله به عيني ولا قلبي فان عيني بعده لا تقر، كما ان قلبي بعده لا يسر،

وكتب الى رئيس نيسابور

ارجوان الشيخ لا يلقى امرى بيد الاغفال، ولا يسلك بحاجتى طريق المال، ولا يكلنى الى غيره فى حاجة كتبتها عليه ووضعت عنانها بيديه فمن المحال ان استمد النهر، وانا جار البحر، وان احتاج الى النجم وانا اسرى فى وضوء البدر، وقد كان الشيخ فى تلك الحالة الاولى امهل حتى كأنه اهمل، وتغافل حتى كأنه غفل، ولست اشكو يومه، لانى ارجو غده

وكتب الى على بن كامه

كتابى الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها، لا توصل الى خدمته بها والحمد لله تعالى ونعمة الامير على النعمة الجملة المفصلة، الغراء المحجلة، التى ان سكت عن شكرها شكرها عنى اثرها على، وان كتمتها افشاها دونى من رآها لدى، وانما انا غرس نعمته، وبنات راحته، نادمته وانا مقبل الشباب حدث الاتراب، وها انا قد الجمنى الكبر بلجامه، ولثمنى البياض بلثامه، واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا، وكانت رضاعا ثانيا، لا بل رضاع الخمر اقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر، لان رضاع اللبن معروف الامد منقطع المدد، ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر، واستوعب المدة والعمر، ولان رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح، وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطى من حيث يمنع، ويصل من حيث يقطع، ويبعد سببا، من حيث يقرب نسبا، ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه، ويعقد حرمة من جميع مذاهبه، ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم، ولا يعرفون ما عليهم مما لهم، ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقر السلام على الامير وقل له ... ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى ... رفعت عنانى فوق كل عنان

واقل ما فى هذه الحال ان اشكرها فعلا ، من حيث اشكرها قولا ، وهو
ان ازور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد واعتكف فيها كما يعتكف
فى المساجد فانها وان لم تكن مشهد حرم وصلوات ، فانها معتكف عطايا
وصلات ، وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته فى الآجل
فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته فى العاجل ولكنى رجل قد طال ذيلى
وازدحم شغلى وقيدت السن رجلى فلا اقل الآن من ان اوجه رسولى
وهما قلبى ولسانى ، على ظهر مركبى وهما قلمى وبنانى ، وان انظم فى شكر
نعمة الامير قلائد لا السارق يسرقها ، ولا النار تحرقها ، ولا الماء يغرقها
كل ناطق عندها ابكم ، وكل شاعر بازائها مفحم ، وسأبلغ من ذلك
ما يقيم لى عذرا ، ويصير لى ولعقبى عدة وذخرا ، ان شاء الله تعالى

وكتب اليه لما ولى قومس

كتبت والولاية التى شرفت بالامير ولم يشرف بها ، وتسببت له ولم يتسبب لها ، وصغرت
قياسا الى شانه ، من حيث كبرت قياسا الى مقادير اهل زمانه ، قد بلغنى خبرها
فجررت ذيلى فرحا ، ورحت لا تحملنى اعواد سرجى مرحا ، ووددت وشربت
طربا عليه البحر المحيط قدحا ، واين بالامير عن افتراع المنابر وقيادة العساكر
وهو من اهل بيت يحكم بالملك صغيرهم ، ويشيب عليه كبيرهم تقربا سمائهم
المنابر النافرة ، وتسكن باعلامهم البلاد الشاخرة ، لم يرضعوا الا ثدى
ولاية ، ولم يربوا الا تحت راية ، ولم يغتذوا الا فى حجر سياسة ورئاسة ، فلا
زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة ، ولا زال اسمه يفترع خطبة بكرا بعد خطبة
ولا زال الملك سليله ونتيجه ، والعز صنيعته وخريجه حتى يملك الاقاليم ويفترش
السرير العظيم فيعطى القوس باريها ، ويملك الزعامة من يليق بها ، ويحسن فيها

وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم املك من قلبى الا ما شغلته بها ، ولا من عينى الا

[illegible]

الحاجب ان يتواضع بنا، ويخفض جناحه لنا، فعل ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي محمد العلوي

كتابي عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها، بل لا ارضى له ضعفها
ووصل كتاب السيد المشحون لطفا وبرا، المفيد فخرا وذخرا، الموجب الحمد
لله شكرا، الذي كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف
وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام، ويحفظها الافهام، ذكر السيد في كتابه
ان اهل اصفهان تزاحموا عليه، واستعاروا كتابي اليه، وذكروا اني اكتب
من اخذ قلما، ونثر كلما، وهذا باب ما قرعته، وشأن ما اتبعته، و
صناعة ما درت حولها، فان كان الاقبال ساق الي هذه الغريبة، والاتفاق
اعطاني هذه الرغيبة، فما ارد نعمة الله تعالى اذا صارت الي، ولا ادفع
في بحر السعادة اذا طلعت علي، ولا شك ان هذه ثمرة محبتي للعترة الطاهرة
صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب في رد العدوي الى حكم
الخبر في العدوي والهامة والصفر، والآن اتهمت من رواه وكذبت من حكاه
وتأولت ان السيد عداني بكتابته، واعطاني بعض براعته، يجمع اسمي مع اسمه
ويجعل فهمي جنيبة لفهمه، الحاجة التي استبطأت فيها السيد انما خرج
كلامي مخرج الادلال وليس بعجب تسحب الشيعي على الرافضي وتحكم الملحف
على السخي سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه، ويفرح
الاصم بصممه، ولمثله رزق الصمت المحبة واعطى الانصاف الفضيلة ولكن
ماذا اقول في معايب قوم هم جيراني في الدار، واخواني في النجار، وبيضتي التي
تفلقت عني، وغيضتي التي التفت حولي، وبلد هم عشي الذي درجت فيه
وبيتي الذي خرجت منه، فمحاسنهم الي منسوبة، ومساويهم علي محسوبة

وهل انا الا من غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد

ويودي لو وجدت لهؤلاء القوم في درج الفضل ادنى مرقاة ورايت لهم
في مساعي السبق اقل مسعاة، فجعلت الخطوة ميلا، وادعيت القليل جليلا،

ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة، كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة
والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال، وتعرض لسهام الآجال،

ولو ان قومي انطقتني رماحهم ... نطقت ولكن الرماح اجرت

على اني احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام في الاصول كالاساء وفي الفروع
ناصبيا، ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة، او برز كلامه في معرض
من القبول والحلاوة، لصار شبكة من شباك الشبهة، وبابا من ابواب الضلال
والفتنة، وحبالة من حبائل الشيطان، ورقية من رقى البهتان، ولفتح علينا بابا يفسد
المذهب ويورث التعب والله تعالى الطف بالاسلام، وارحم للانام، من ان
يعطي عدوه سلاحا يغلب به اولياءه، وينصر به اعداءه، ذكر السيد شهادة
الوزير لي واعتداده بي وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها، وتسربلت سربالها
وجررت اذيالها، لازال الفضل يبقاء ذلك السيد ثابت المناكب، مقبل
الجوانب، عامر الطرق بالجائي والذاهب، ولا سلب الله تعالى الزمان
جماله بذكره، ولا العباد دنياهم بطول عمره، ولا زال جاهه مبذولا، و
بابه مأهولا، وفضله مأمولا، وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا، وعدوه
بحده مقتولا، ولا زال الشرق يفاخر به الغرب والعجم تفاخر به العرب
بل لا زالت اصفهان تفاخر به البلاد، واهلها يباهون به العباد،

وهذا دعاء لو سكت كفيته ... فاني سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الآن ان يرزق عمرا يسع نعمته، ودهرا يساوي قيمته، فان
هذا الزمان يضيق عن نفسه، وان كان يتسع لشخصه، وكان الله
تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيي ميت الكرم، وكيف يرد ذاهب الهمم
وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من
قدر على ان يحيي ميت الخلق، قدر على ان يحيي ميت الخلق، وليكذب عبيد بن
الابرص في قوله، وغائب الموت لا يؤوب، ولبيد بن ربيعة في قوله

ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فقد راينا من يعيش في كنفه الاعداء، فكيف الاولياء، ويرد

قد ولي قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته، ولا جعل هذا الامر اقصى غايته
وجعل ولايته منفعة، وعزله فراغا ودعة، ولا جعل شغله سخرة، ولا فراغه
عطلة آجر الله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير
العين، شديد الركن، يؤنسني ان جمعت بيني وبين بقعة، ويسرني ان تضم
اسمي الى اسمه صنيعة، وكنت اعده لي جناحا وسلاحا، وفي ظلمات
الخطوب مصباحا وصباحا، فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب
وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب، ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا
والتحكم على المنايا، لقلت أيموت فلان الفلاني ويعيش فلان الفلاني، خطب
منكر، وبدل اعور، وسبحان من له في كل قضية الطاف نعرفها، فنثبتها
في فضله ونعمته، ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته، فانما كان نجما من نجوم الادب
هوى، او غصنا من غصون العلم ذوى، فانا لله وانا اليه راجعون، ثم انا لله ورحم الله
المتوفى رحمة تغسل اوضاره، وتحط اوزاره، والحقه بالطيبين الطاهرين من آل
بشر، وفرق بينه وبين النواصب الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، ولا زال القاضي يعزى عن احبابه، ولا يعزى عنه
ولا به، ولا كان عليه طريق للنوائب، ولا على جنبته معبر للمصائب

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

اذا ما الدهر جر على اناس — كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا — سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه، ولم
ينصر اصدقاءه من خذل حوباءه، وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن
محبته لروحه التي له خيرها، وعليه ضيرها، وكانت محنة القاضي محنة
شملت الانام، وخصت الكرام، ووجب على كل من اشتم روائح العقل، وميز بين
النقصان والفضل، ان ينفطر لها الماء وان يبكي عندها دما، وخلص الي
من ذلك ما اضحك مني الاعداء، وابكى لي الاصدقاء، حتى رحمني من كان

يحسدني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني وحتى غضضت طرفا طالما رفعته، وقبضت بنانا طالما بسطته، وحتى عزيت كما يعزى الثكلان، وسليت كما يسلى اللهفان، وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة، واستقل سح عيني وهي سخينة دمعة، وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضي فاصابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفي ويتغابى عن العذر الجلي وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة، واخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقة، وليس بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب ولو تعرضت لسخطه بعد ما عرفته من شططه لتحملت دونه الوزر في ظلمي ولكنت مقدمته الى ذمي ومن قعد تحت الريبة ركبته، ومن تعرض للظنة نالته،

ومن دعا الناس الى ذمه	رموه بالحق وبالباطل

واقلما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها، ويبتذلني لها، فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين، وتكررت عليه كرتين، يرى بولي من اوليائه، داء لا يقدر على دوائه، ويرى وقودا لا يصل الى اطفائه، ويتبين في حاله متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها، ومحنة لا يستوي له ردها، فلما مثلت بين تخلفي آمنا، و حضوري خائفا، عدلت بين طرفي الرؤية، ووزنت بين مقداري المحنة، فرأيت ان اميل مع السلامة، واقنع من العمل بالنية، واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة فغبت وكلي غير جسمي شاهد، وتميزت وما انا الا مشاهد، وبعدت و قلبي قريب وباينت وقلبي سهيم واغضيت على عين كلها قذى، وانطويت على صدر كله شجا، وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه	ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حللا لا يبليها الماء، ولا يجففها الهواء، ولا تغطي عليها الظلماء، والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض

أوفى وأملا؛ وبإيفائك حقك أحق وأولى؛ وأردت أن أكل شكرك إليه؛ ولا
أتطفل فيه عليه؛ فكرهت أن تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها اسم؛ و
أن تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم؛ فذكرته لك وأنت له أذكر،
وشكرتك عنه وهو لك مني أشكر؛ على أني أرغب بذلك الحر عن التلطخ بأوضار
الأعمال؛ فإنها مزالق أقدام الرجال؛ وضنا به عن تخاليط الأيام؛ وصيانة
للمحل عن مدانسة الأوهام؛ ونعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه؛ بل أكثرها
لي دونه؛ فإنها لك بعارفة واحدة تكسبك شكرين؛ وتستعبد لك حرين؛ وجدير
بمن هطلت عليه سحائب عنايتك؛ ورفرفت حوله أجنحة رعايتك؛ أن ينبو عنه
سيف الزمان مفلولا؛ ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل
أسأل أن لا يعريك نعمة بها ليت بها عنق ودود؛ ومنه تفقأ عنك عين حسود؛
أخبرت أنك أيدك الله تحدث نفسك بزيارتي وإنه ليسرني أن أخطر ببالك؛ و
يسوءني أن أصير زيادة في أشغالك؛ ولا تجشم نفسك فإن خيالك؛ في كل
ليلة نائب عنك؛ عنك وإن لم يكن فيه ولا في الدنيا كلها عوض لي منك

وكتب إلى أبي محمد العلوي

كتابي عن حضرة الوزير وأنا راتع في فضله؛ مستذر من الأيام بظله؛ متعرف
نعمة الله تعالى علي به وقد كنت أشكو إلى السيد ما منيت به من ضعف احتمالي
لأعباء من الوزير علي؛ وسوء مجاورتي لإحسانه إلي؛ وكنت أخشى أن أكون
سببا لحرمانه غيري من نزاع الآمال إليه؛ ووفود الشكر عليه؛ فيقدر أن
كلا منهم بكفر النعمة كفري؛ ويستر وجه الصنيعة ستري والكفر مخبثة
لنفس المنعم؛ فقصدته بهذه الكرة لأقيم عذري؛ وأقوم ببعض شكري؛ وأحط
عن رقبتي تلك الأعباء التي قمت تحتها طليحا؛ لا بل قعدت نحوها طريحا؛ فما
هو إلا أن وردت حضرته حتى انثال علي من عطاياه الغر؛ ومن نعمه الغرائب
والأبكار؛ ما صير أمسي بغيض يومي إلي؛ ويومي أكرمهما علي؛ حتى لم تبق
زاوية من زوايا الأفضال الأجال تجنها قدحا وأحرى بأسمى عليها سهما

ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه ، ويتحمل البر قبل
ان يسدى اليه ، ويجعل ذلك استجلاب رزق وايجاب حق ، واقامة سوق
لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا ، ولا اضعافه عشرا ، ولكنت لا
ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق ، ولا ارمي هذا الغرض
البعيد بمثل هذا الرشق ، بل كنت لا انصرف وفي الجفير نبل ، ولا انقطع وفي
القريحة فضل ، ولا ارضى من نفسي الا بان اصبح محسورا وامسي مبهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة	فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل ، ولا لفعاله نعت الا الجميل
اول القائه بشر ، وآخره بر ، ومقدمة فعاله الى زواره بشرى ، وساقتها نعمى
اكثر ما يكون نوالا ، اشد ما يكون السائل سؤالا ، واكثر ما كان الطافا ، اكثر
ما كان الزائر الحافا ، واسهل ما كان حجابا ، واطلق ما كان وجها ازحم ما كان
شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا ، اجدب ما كان
واعدل ما كان في القضية ، واحكم ما كان بالسوية ، اخصر ما كان المحكوم عليه
وسيلة ، وانفذ ما كان حيلة ، واوسع ما كان نطاقا ، اضيق ما كان الخطب خناقا
واسمح ما كان حلما ، اعظم ما كان الجاني جرما ، واجرا ما كان مقداما ، اهول
ما كانت الحروب فخما ، والعساكر عظاما ، واضحك ما كان سنا ، اشد
ما كان قلبه حزنا ، واسمح ما كان بماله ، لمن استفاد بجاله ، لا يصارف
في عطائه ، ولا يحاسب على آلائه ، قد تكافأت اقسام فضله ، وتناظرت
محاسن قوله وفعله ، فلم يشغله السخاء عن الشجاعة ، ولا صرفه الحلم عن
السياسة ، ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر ، عن علم الكلام والنظر ، ولا
قدح في هيبته ، ما اشربته القلوب من محبته ، ولا بخس الرئاسة حقها ، من حيث
وفى العشرة حظها ، فهو القوي من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، والشجاع
الا انه سخي والحافظ الا انه ذكي واللغوي الا انه نحوي ، والسلطان
الا انه تقي والسائر الا انه رجي يسكت حلما لا حصرا ، وينطق
علما لا هذرا ، ويحلم كرما لا غفلة ، ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

ويتوقف نحوها لا اجتنا كل حسنة من حسناته وافقة على حد ما دونه تفريط ولا
وراءه افراط يخرج مكارمه في قصد الافعال ويزن افعاله في كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب الا انني	امسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه في زمان لا يسعه، وفي عالم لا يستحقه، وبين قوم يفعل ولا
يقولون، ويحسن ولا يستحسنون، ويبصر ولا يستبصرون، ويروي
ولا يروون، ومنع واجب الاستحسان، قطع لمواد الاحسان، وتضييع
حقوق النعمة، داعية من دواعي النقمة، واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت
المفحم شاعرا وجعلت العفيف سائلا كالمنهل يقصد رشاؤه، ويعذب ماؤه
فيشرب منه العطشان نهلا، والريان عللا، وكالطعام يحسن في العين ويطيب
في البطن ويخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله
الذي اراني بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء، والملوك يحترفون حرفة
الشعراء، وما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا، ولا خارجا راضيا و
لا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما
الاصل والنسب وجمع بينهما القصد والطلب فوردا وهما اعرى من الحية
وصدرا وهما اكسى من الكعبة، ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما
اغنى من الشمس حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء، وملقى
الرحال وموسم الشعراء وقبلة ينصب اليها العلم والادب وقبلة يهوي اليها العجم
والعرب وما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر، وقلوبا تحفظ وتذكر
هذا وفي شواهد احواله، ما يغني عن استماع اقواله، وشاهد العيان، اقوى
من شاهد البيان ودليل البصر اوضح من دليل الخبر، وناوس كسرى امدح من شعر
زهير بن ابي سلمى لو جحد واكذبهم العواقب ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب جمع
طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن واما بحضرته قاطن، فالظاعن
يحسد القاطن، والقاطن يستبطئ الظاعن فقد نفضت اليه البلاد رجالها
وبرزت له جمالها والقت له الارض افلاذ كبدها، وحسبك بالعلاء جالبا
وبالاحسان جاذبا ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا، ومن وجد الاحسان

قيد تقييداً ، ولقد اصلحني هذا السيد بل افسدني وقربني الى الناس بل بعدني
لاني بعده لا استام الا العظيم ولا ارعى الا الجميم ولا استكرم الكريم ولا الوم اللئيم
لان الناس كلهم في عيني بعده لئام ، فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام ، ومن احمد
مراده ، وصادف من الماء والكلا مراده ، لم يشرب الا من عفوه ، ولم ينل الا من صفوه
ولم يلق دلوه الا في جمه ، ولم يرتع الا بين غدير وروضه ، فها انا اصبح وامسي
بين السرور والجذل واتقلب بين العل والنهل واردد الطرف بين الخيل و
الخول قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي وخصمت على مطالبي
منها بماضي ديوني واصبح اعدائي وهم بالحاجة الى ولياتي كما اصبح
اصدقائي وهم بالحسد لي اعدائي فلا طريق الى الفقر ولا منفذ في لسهام
الدهر والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي وخاطري البكي وقد اسات
مجاورة هذه النعمة بكفرها وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها وسوء
الشكر اول منازل الكفر وقلة النهي للنشر والاذاعة اول طبقات الجحد
والاضاعة وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كنت شاهدتهم على باب سيف
الدولة ومنهل الصبا عذب وعود الشباب طب وذكرت بهم مآرب هنالك و
ايام اسلبتها سلبا ، ونزعت من يدي غصبا ، ودهرا كأني كنت اقطعه وثباً فلما
رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة . وجعلوها من بين الدنيا هجرة ، علمت ان الكرم
تتوارث بين الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام ، وان العلم والادب بينهما
نسب ليس عليهما غيره وصح وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولي وان
المغرب لسيف الدولة رحمه الله . والمشرق لحضرة الوزير ايده الله

ارض مصرية وارض تنجم	منها التي رزقت واخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها	تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

ثم اما آل ابي طالب فانهم ينزلون منه على سيف للتشيع وسنانه ، وعلى
يد الحق ولسانه ، وما ضمه هم معرحياته ان لا يعيشهم الا تشتي ، وماضهم
مع عطائه الا ترد عليهم فدك وخيبر ، غيرة منه على الشرف ان
لا يصان عن الابتذال رحله ، وان لا يحفظ فيه ولد اهله ذهابا بنفسه

عن ابناء الانام، وتقليد الايام، في اهانة الكرام، واكرام اللئام

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها — وابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها، وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها، لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم، وتتعب في اداء شكرها اليد والفم.

وما بلغت ايامنا منه رتبة — نراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها ريحه ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابي عبيد للكيسانية، ويزيد بن الوليد للغيلانية، وابراهيم بن عبيد الله للزيدية والمأمون لسائر الشيعة والمعتصم والواثق للمعتزلة والمتوكل للنواصب والحشوية وما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول زاد في عدد تلك النحل، ولقد قتل المختار اهل الكوفة وبعث كتبه ورسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جمجمة واحدة في جماجم الشيعة ولقد رفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد واوعد فنبا عنه الدهر بحاجته، وقامت العوائق عليه في وجه بغيته، وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله ويجرد لسانه والسيف مغمد، ويغمد لسانه والسيف مجرد، حتى اذا علم الله صدق نيته، ومضاء عزيمته، ورآه لا يريد الا رضاه، ولا يسلك الا طريق هداه، جمع عليه القلوب المتعادية، والف له الاهواء المتباينة فدخل الجميع دين الله افواجا، وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وازواجا فلم يبق في نواحي سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ، او متوجه في العلم قد بلغ، وان احدهم ليدخل في الحق تحسنا، فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا، والناس بالزمان والزمان بالسلطان، واذا اراد الله امرا كان، وما اقرب البعيد اذا صادف اسبابا، ووافق دعاء مستجابا، وما اسهل

الصعب اذا حضره التسديد واكتنفته العصمة والتأييد وان رجلاً يحيل طباع الزمان وينقض بنية البلدان ويفطم الناس عن عادة المنشأ والف الاخوان والآباء ويصير حداً بين النار والجنة وبرزخاً بين البدعة والسنة لعظيم حجم الهمة واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول والقوة سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا وبين من يصطاد قلوب الورى وما ابعد ما بين من يبني لبنيان ومن يبني المقالات والاديان واين من يعمر الرساتيق والامصار من يعمر الجنة ويخرب النار لا بل اين من يفترع عذارى الجواري من يفترع عذارى المعالي ولكن كل قوم على مقادير هم يدركون وكل حزب بما لديهم فرحون هذه ايدك الله السيد شهادة ما اقمتها حتى اعددت لتعديلي فيها مزكيين وهما السودد والكرم ونصبت لقبولها مني قاضيين وهما النعم والنقم وكتبت بها سجلاً حرره بيد الصدق وطبعته بخاتم الحق وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضي بقولي فانما مدح نفسه وزكى حسه واشرف من الحق من قبله واحسن من الحسن من فعله ومن غضب فلا ارضاه الله فانما سخط من الحق ما يرضاه الله وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله وليس على المكارم حجاب ولا يغلق دونها باب

	فكنه تكن مثل ما يعجبك اذا جئته زائراً يعجبك	اذا اعجبتك خصال امرئ فليس على المجد من حاجب	

وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله لينسخها فتمادى

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه والقرطاس جبينه والثمن دنياه ودينه فاخرهم اعزك الله تعالى فالى ان تتفرغ لها قد فرغ غيرك منها وحصل اليوم شكر المعير وغداً فائدة المستعير فاذا انت قد افدت واستفدت وابدأت في الربح

واعدني، واجعل تعجيل ردها الينا، كفارة لما جنيته من حبسها علينا

وكتب الى خوارزمشاه

بعد ما كان الامير وسمني من تقريبه لي، وتحفيه بي، سمة طار في الناس ذكرها
وفاح بين العالم نشرها، وتوجهت الي المطالب، وقصدني الراغب والراهب، و
صرت مثابة من مثابات الوسائل، وصار بابي سوقا من اسواق الحاجات
والمسائل، نزغ بيننا الشيطان، ودب الينا الحدثان، وكسدت عند الامير
تلك السوق التي لم اشكره في نفاقها، ولم اعاتبه على كسادها، والامير بكرمه
يقيم لي في الظاهر رسم الانعام، و يعظم قدر توفره على نصيبي من الاعظام
والناس يحسبون ان حظي من قلبه، حظي من ظاهر قربه، وان محلي
من ضميره في المحبة، كفاء محلي من ظاهره في الرتبة، فلست اعدم كل يوم
مستشفعا بي اليه، ولا يعلم هواني عليه، ومستعينا بجاهي عنده، ولا يشعر
الى قوي اسباب الخيبة له، فان رددتهم ظنوا بي الظنون، ولاموني وهم
لا يعلمون، وان اجبتهم، ظلمت الامير وظلمتهم، اما ظلمي للامير فتعريضه
لرد الوسائل، واقامته مقام المانع الباخل، واما ظلمي لهم فبيعي المغشوش
منهم، وتشرفي بما ليس عندي عليهم، واني لابغض الظلم من نوع فكيف
من نوعين، واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين، وحاجتي
الى الامير ان ينزلني من لقائه وبشره، منزلتي من مكنون صدره، وان
يمنعني مع ابعادي عنه، كما يمنعني بتقريبي منه، وان يجعل هذه الاخرى
سبيلا لسلامتي، كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتي، فاني شاكره على هذا
الجفاء، كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء، فان كل اللسان او تعذر على خاطري
الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعثت منه بزه و
اهديت اليه ملكه، واصبحت عيالا عليه في مقالتي كما طالما كنت عيالا عليه في مالي:

وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

فهمت كتابك الذي هو اشرف كتاب الي، قد رصع باظرف عتاب علي وما كان
احوجك الى ان تجعل كلامك بمانه، وتحلي طرفك الناصع بهانه، فلا تشوبه
بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد ادبتنا بصمتك، وعاقبتنا بعفوك
فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا
تبلغه الاساءة، ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة، على اني ما اجهل
منفعة العتاب ولا انكر موافقته بين الاحباب ولا اشك في انه يطري خلق الود
ويجلو غبرة العهد، ويداوي دواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب
وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء، والجسر بين المدح والهجاء، و
المصلح للعشرة الفاسدة والمقرب بين الديار المتباعدة، ولهذا اشتقت لفظة
العتبى وهي الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية ومنبعه
عن جناية، ووقع عن فترة في الود عرضت، او ثلمة في الانصاف حدثت
جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة، وازال ما
وقع من الفترة، واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا لباب
العربدة، ومكدرا لصفو المودة، وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو
دواء اذا لم يصادف داء استحال داء، واذا صادفه كان شفاء، وقد كانت هذه
الواحدة منك فلتة، وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فلنلمه باسم القطيعة وهو اشد
الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف ولولا اني لا استخير
مقابلتك ولا ادعي معارضتك لزعمت انك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك
لما عرفت جرمك، وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذي
هو ابلغ العقاب ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك
الالسنة الواقعة فيك واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك اخذت اخاك
قبل ان يأخذك وشكوته قبل ان يشكوك وبرزت هاربا في زي طالب وخرجت جانيا
في معرض عاتب وتكلمت بجرأة المنصف وتحتها جور الظالم، وادليت بحجة البرئ
وانت عين المجارم، حتى لقد كدت ان تشككني في نفسي وتغلبني على علمي
وتجعل لوهمي سلطانا على فهمي لولا يقيني بباطلك ومعرفتي بالاساءة في شقك

والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا اذاقنا مرارة صده وسامنا بشاعة فقده وصغرت بيننا وبينه وطاب اللقاء واقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء ودبت لنا وله عقارب القطيعة وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة وذا صالحنا نسب الينا المظالم وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه وبعده اثقل علينا من قربه

بكلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك مترجح مني بين وصل واعراض ومرتبك من عشرتي بين انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا اقول كذبت في الاخرى سقى الله ايامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر وجلت عن ان تنالها انياب السعاة ونبت عن ان تمضي فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة وقلنا من الوصل مرائر البين والغيبة حتى اذا امنت عليك الدهر الذي لا يؤمن وائتمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن خالقتني الى الود فهدمت منه ما بنيته وسبقتني الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته وابرزت مصون الوفاء للعذر ووضعت ربقة الاخوة في يد الدهر وسلطت عليها زعته يد الوفاء حاصل من الجفاء و ذكرت بعد هذا كله اني استأذك في الهجران والصد وتلميذك في الوفاء وحسن العهد وانك عرفتني ثم انكرتني واستلنت مسي ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت اولها وانكرت آخرها وانا فيما عرفته لك ولست فيما انكرته عليك فان العمر اقصر مدة والزمان اصغر ... من ان اختم بهما معك بالعتب والعتاب واستهلك نفسي منهما ... من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء ولا يمشي امرها الا بالعتب والاشتكاء كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا ويؤخذ سلبا وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه وكالمستنزل كرها عن حبه وانا بعد هذا ابرأ اليك من جهالة

خاطري العليل، ولساني الكليل، وكيف ينبعثان لي في عتابك وهما مقصران في
مدحك، وكيف يسرعان في حربك وهما بطيئان في صلحك، هذا وطريق مدحك
نهج قصد، وطريق عتابك وعث وعر، وجانب صلحك مورق مشرق، و
جانب حربك مهول غلق، واني لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى علي، و
يسقط من يدي، وكيف تساعدني بناني، على ما يخالفني فيه جناني، وكيف
يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي، ولو كنت احمد بن يوسف في البلاغة،
وعبد الحميد بن يحيى في اتساع الكتابة، وجعفر بن يحيى في الاختصار
وابا الربيع في التوسع والاكثار، وابا العيناء في العارضة وابا العتاهية في
البديهة وابن المعتز في التشبيهات، وابا نواس في الخمريات والطرديات
والعتابي في المعاتبات، والنابغة في الاعتذارات، وصريع الغواني في الاستعارات
والفرزدق في الفخريات، وجريرا في المهاجاة، وغلبت في المخاطبة صعصعة
بن صوحان، وقعت في الفصاحة خالد بن صفوان، ونطقت بيتيمة
ابن المقفع مرتجلا واتيت بعجوز آل رقية مبتدعا وبعذراء آل خارجة
مقتضيا وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل وبوهيت في العي
عندي لا باقل، وحفظت حفظ الشعبي، وحاضرت محاضرة ابن القرية
النمري وابدعت ابداع ابي تمام الطائي، ووعظت عظة الحسن البصري
وجادلت جدال النظام في الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل
واربيت على اياس بن معاوية في الذهن والعقل، وبهرجت الاصمعي
رواية، وزيفت ابا عبيدة حفظا ودراية، وعلمت امير المؤمنين عليه
السلام الحلال والحرام، ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذي
زاده الله بسطة في العلم والجسم، ووفقت توفيق سليمان في الحكم، واخذ
عني بطليموس علم الهيئة وارسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم
والحيلة وقرأ علي سيبويه نحو البصريين، والفراء نحو الكوفيين واختلفت
الي الهند في تعليم الحساب ودرس علي ابو عثمان المازني علم التصريف و
الاعراب واقتبس مني الخليل عروض الشعر، وكان هاروت وماروت

تلميذى فى السحر. وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارث الكتابة
اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة وامليت على ابن الكلبى شجرة النسب وعلى ابى
عمرو بن العلاء ايام العرب واوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذى
عنده علم من الكتاب وعددت فى الراسخين فى العلم عدا. وقال لى موسى
هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا. ثم جملت بعد هذا كله على ان
يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى او يجرى فيه بنانى لقصر عن ذلك عنانى
ولا رتبك فيه عقلى وبيانى ولعييت والحوجمى وانقطعت والحجة لى وما اعتذر
الى احد من عيبين بليت بهما. وخلقين ركبت منهما. جبنى عن الاصدقاء
وجرأتى على الاعداء. ورأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجلببته من
الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك. اسلكت فيه طريقتك. وانت
بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك
وان تتواضع وانت ترتفع. من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع. وان يخصك فى
المراتب الكبرى من خص غيرك الكبر. ولست اقول انك صادق فادعى
لنفسى فضلا. ولا انك كاذب فانا قضيتك قولا. ولكنى اضرب بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء وان نقعد
تحت قولهم من ضيق الصدر رضيعة الجزاء. لوصفتك ببعض ما فيك
من المحاسن التى انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وانت لها
نسيب قريب وغيرك عنها اجنبى بعيد. وبعد فانا والله معتد للايام
بنصيبى منك. متحمل لها شكر العارف فيك. منافس فى نعم الله تعالى
على بك لا افتح عينى على احب منك الى ولا اضم جناحى على اعز منك
على واقرا الك كنا بالا يهون على ما قبله. ويزهدنى فيما بعده

وكتب الى رئيس دامغان

انا اغار لما بينى وبينك ايدك الله تعالى من ذل التملق ومن عشق

التشوق، واقشر لك عصا العتاب واسرع اليك بخشونة الجواب اذ كانت الحال
بيننا مبنية على اساس الصدق، ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق، و
ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة، وانما
هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى، وعن يساره النوى والشكوى،
فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء، ولا تمح من الحفاظ جانبا تخمس
قضية الود والاخاء، ولا تحتج في الباطل بحجج هي اضعف من قلب
العاشق، واوهى من دين المنافق، وارق من امانة الفاسق، واعلم
ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا، ولسانه لا يكون الا
ملجلجا، واقصر ما يكون بنانه، اذا طال لسانه، وانزر ما تجده
عقلا، اغزر ما تجده قولا، فان الباطل يصغر من حيث يكبر، ويقل
من حيث يكثر، وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا ذي المشاح
وحجة على القائل، وسلاحا لكل جاهل، وجناية على كل عاقل،
وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير، وكل كثير وقع دون الكفاية
فهو قليل يسير، وشبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل
محق، وكيد الباطل اضعف من ان ينفذ في حق، وحسب
الكاذب بفعله شتما، وبقلبه خصما، وبالسكوت عنه ذما، وقد
خرقت فيك حجاب المجاملة ولبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك فذاك
مؤدب الحر العاقل اخوانه، ومرآته زمانه، وسوط الفرس الجواد عنانه
وان ابيت فما انا باخع نفسي على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

وكتب الى خوارزم شاه

كتبت الى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار مالي بها، وتمرد
شركائي فيها، وما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم، او ينفذ له
فيها حكم، تعلو بها للباطل راية او يكون بها للظلم على العدل ولاية،
ومن العجائب ان اكتسب الدرهم في بقاع لم انبت فيها، ولم اخرج منها،

ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت، وبيتي الذي منه خرجت
وان احمله فاقطع به لجج البحار، وفيافي القفار، ويسقط مني على باب
الدار، هذا وقد علم الامير ان والدك رحمه الله تعالى خلف على الوخلفه
على اهل بلد لكفاهم، ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم، فما زالت
صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهرا، وتخاتلني سرا، حتى خرجت منها
اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الجحو بعد ما كنت
اغنى من الكعبة واعطل من الحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة، قد كسرت
كسر الجوز، وقشرت قشر اللوز، وجرى علي في مسقط رأسي ومجمع
اسرتي ومقطع سرتي من العزم الثقيل ما كان من الثقل اثقل ومن
الذل الطويل ما كان من الطول اطول ومر على راسي ما لو مر على راس
الشاب لشاب ولو نزل بالحديد لذاب على اني حيثما كنت تاج على خوارزم
معقود، وشرف لها معدود، ومشهد فيها مشهود، ومقام من مقاماتها
محمود، وكل من رآني مدح بلدا كنت من اهله، وفدى والدا انا من نسله
وعهدك بمثلي يغنم، فصرت اليوم اغنم فسبحان من جعل القصر المشيد
بئرا معطلة وجعل الغانم غنيمة وسير السالب سلبا وحول الراكب مركوبا و
ادار الفلك فيما يدل على اضطرابه، ويترجم عن خرقه وانقلابه، ومثلي ايدك الله
تعالى اذا ابتذل ستوحش، واذا استوحش راوحش، ومن وطئ العقرب
اوجعته وان اوجعها، ولسعته وان لذعها، ومن فل السيف براسه انكسر
منه اكثر ما كسر، وخسر اكثر ما خسر، وان من باعني لقليل
البصيرة بالبيع والشراء ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء مستريح مما
تعبت له نفوس الكرماء، نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

وكتب الى ابي سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور

مرحبا بالقمر الطا	لع في جنح الظلام	مرحبا بالاسد الور	دو بالجيش اللهام
مرحبا بابن شبيب	وايادي الجسام	مرحبا بالرجل الاو	حد من بين الانام

مرحباً بالكاتب المجزل وبالحبر الهمام	قد بخونا منك يا بيـن فودع بسلام

سبقني ايد الله صاحب الجيش فلم املك عنانه، وجمح بي خاطري فلم
اضبط زمامه، فكتبت هذه الابيات وجملتي بيد الطرب وتماسكي في
قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشة، وهي شبكة الغم و
الدهشة، حتى لاحت لي رايات اللقاء، وفاحت روائح الالتقاء،
وعلمت اني قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة وورد
البشارة التي جعلتها تاريخ احسان الدهر، وغرة وجه العمر، ودرياق القلب
والصدر، وعلمت ان الله تعالى لم ييسر هذه القدمة، ولم ينلني هذه العزمة
الا وقد اراد بي خيرا، واعتمد لي احسانا وبرا، وقد ان يثلج صدري ويشد
بها ازري ويقوي ظهري وينتصف لي من دهري ويهزم عساكر الزمان عني
ويفرق شمل الحدثان دوني ويرزقني النظر الى وجه من صنعني و
خرجني واصطنعني فتعلمت الترسل من نثره، واصبحت شاعرا برواية
شعره، ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا واضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا
هذا من قاق آثاره لدي، ومنسي صنائعه الي وانما ذكرت قلا من كثر واشرت
بلمحة الى بدر، فالآن حين اجر ذيل الفرح واتسربل الجذل والمرح، واري
اهل نيسابور خاصة، واهل المشرق عامة، ان خوارزم بيت الرجال و
معدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وان في الزوايا خبايا، وفي
الرجال بقايا، وان البقاع متساهمة في الفضل ومتفاوتة بمقادير الاهل
وودت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار، ويمتطي الفلك الدوار و
يطوي المنازل طي الرداء، ويصل الغداة بالعشاء، بل وددت ان الريح
تحمله او ان البراق ينقله، وان الخضر يصحبه خليلا، وسليمان بن داود
عليهما السلام يرافقه زميلا، ليصغر حجم الانتظار، وتقل مدة البعاد لدار

ولا اعتد في الدنيا بيوم	يمر ولا اراك ولا تراني

وها انا ايد الله تعالى صاحب الجيش سيف طريره، ولسان شهيره و
لسان على الاعداء مسلول، وسلاح على حساد النعمة مصقول، اذا

ورواية الله تعالى لزمت بابه، وصحبت ركابه، وكنت بوابه، وقد علمت
من سالني عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك
فلتة وولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة، فهو في الرجال علم وفي الكمال
عالم وفي الزمان واهله غريبة، وبين الدنيا وبنيها يتيمة، قد كنت سالت صاحب
الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه، او يجري بقضائها لسانه
ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر الباذل والهبة تصغر
وتكبر في وزان الطالب لا في وزان الواهب والصغير اذا احتيج اليه
كبير كما ان الكبير اذا استغني عنه صغير، ولو تبارى اهل الشكر في رهان وجروا الى
الغاية في ميدان، لبرزت في الحلبة الاولى وكنت فيما بينهم الاغر المحجل

ولو ان للشكر شخصا يبين	اذا ما تامله الناظر
لصورته لك حتى تراه	فتعلم اني امرؤ شاكر

وسلت الجارية فقبلتها بالطاعة، ورددتها بالدلالة عليه في الساعة، لان فلانا
صديقي قد ملكها وانا اكره ان اعاشر رجلا له في داري علاقة وان تكون
عندي مضربة لها غيري لحاف فاقبح بالحر ان ينادم من شركه في حرمته
وسبقه الى باكورته، فيجلس نحلان على لبد ويجتمع سيفان في غمد

وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتاب بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة

هذا كتابي اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الا من الاهتمام
لعلته، ومن التندم لترك عيادته ومن العتب على الايام الجارية الراكضة
الفاترة الظالمة الجائرة، فيما دهمت به الكرم واهله والفضل وشمله، و
الحمد لله تعالى الاعلى ان حمد مستزيد فيما نابه، مستمد بالشكر لما اصابه
ولكن اقامة لرسم العبودية، وسلوكا في نهج البشرية، وصلى الله تعالى
على سيدنا محمد وآله خير البرية وورد علي كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد
قدوم هزني وتطلع طويل لوروده اقلقني واستفزني وبعد ان حاسبت

لتأخره عني نفسي على ذنوبي، واستدركت عليها عيوبي، وجلت في زوايا
جناياتي عليه، ومساآتي اليه انظر بايتها استحققت ان اطوي في ادراج
الجفوة، واجلس على قافية التغير والنبوة، اذ كنت اعلم ان صاحب الجيش
اعرق في الكلام نفسا، واصدق في الفضل حسا من ان يعاتب وفي الصبر
فضلة، او يؤاخذ وللاحتمال جهة فلما كاد الكرب ان يستحوذ على
خاطري، ويستوعب مساب صدري وصبري طلعت على النعمى في
اثناء البشرى، وانفرجت لي ضبابة التخمين، عن نور اليقين
ووصلت الى السعادة، تكتنفها الزيادة، ووضعت الكتاب الكريم
عن كل ما اجذل النفس وسرها، وبرد العين واقرها، حتى وصلت منه
الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنة واظلمت علي السماء وهي مسفرة
وضاقت علي الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه علي ذوي
الكرم البر وعلى الفضل واهله حرب والمؤم والاثام حرب والادب ومصطه
عدو ومعاند، وللجهل وذويه ولي معاضد ثم رجعت الى رب الله تعالى
ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع ومطية الدعاء اجمل فقلت اللهم ارفع عن
مهجة المكارم اذاها، وادفع الجلد عن تلك النفس النفيسة والروح الاريحية ما يبيح
حماها، وتصدق علينا وعامة بهذا الواحد الذي بقائه جسر بين ... ولية
الفضل وكرة الجهل وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل، ثم انشدت

ما حال من كان له واحد	يمرض عن ذلك لواحد

وانا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تاخرت جنيبه في العلة وان
ورد عمرت المساجد صلاة وملأت للفقراء والمساكين اكادو وصمت حتى عالني
بطني سغبا، وقت حتى شاصمني رجلاي تعبا، وصليت صلاة ... و
عبدت عبادة حلويه، ولم افعل ما فعله ابن نوعل حيث قال ... سنة ...

فغزوان حر وام الوليد	ان الله عافى ...
جزاء لمعروفه عندنا	وما اعتق عبد لنا ...

فساله جارله عن غزوان وام الوليد فقال سنور ان في الدار فاعتقه بعتق رقبتيه ... يعتق

سنو رين ولكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بنى عامر حيث يقول

انا جملنا فخلناك اعتللت ولا ... والله ما اعتل الا الظرف والادب

واذا اتصل بى خبر العافية التى هو عندى عافية الدين والادب والفضل والحسب قلت

وما اخصك فى برء بتهنئة ... اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل الخيل والبغال حتى اصل السير بالسرى واجمع بين العصر والاولى فاشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به فى افراقه من علته واكتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسى من ان انظر الى ولى نعمتى وبه آثار الصفرة والى جسمه وبه بقايا الفترة هذا بعد ان جمعت منتشر اسبابى ووضعت رجلى فى ركابى ورفعت عصا السفر وسلمت نفسى الى القضاء والقدر وانشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكى كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابى الطيب المتنبى

حتى الكواكب ان تعودك من عل ... وتعودك الآساد فى غاباتها

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما واتت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا ارانى الله بعدها فى صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى ويطلق وجه الغنى ولا فجع بسلامته الدين والدنيا

وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك داء ويعمل فيك اولان جهلك جهل يعالج بالعذل او يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل ولكنى انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة وان تنقطع عنك العلاقة والعلة وان كانت تردمنك على عين عمياء واذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا فى ماله ولا يحس بالالم الا فى جسمه

ولا يجد النقص مساوا للعيب وتعا ولقد حققت هذا الكلام بك وضيعته
فيك، ووجهته منك الى من نزه عند العتب لغباوته، والشتم لحقارته،
ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه، وتوصل الى تضييع من ضيعه،
لعاقبني بان يطيل هجراني، ويكون هذا آخر عهده بلساني وبناني، فها
انا المظلوم الظالم، والمخاصم المخاصم، ظلمتني بلؤمك فظلمت الكلام بلومك
وخاصمتك في جهلك، فخاصمني العقل في عذلك فيا من جمع على مصيبتين
ووضعني على طريق الظلم من جانبين، ويا من بث العجائب فيه ان تردني
الامن طرق شتى، وان تقع الا مثنى مثنى، وليس محنتي فيك باعظم من
محنة الحق الذي لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت في دمها،
او تمثل دارا لجهدت في هدمها كانك لم تخلق الا لتطمس عين النورة و
تقلب اعيان الامور، فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى
كأن سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عيانا، ويعرف يقانا، فانت
وارث في الباطل وناصر جهله على كل عاقل وحتى كأن الله انزل عليك قرآن
ضلالة، وبعث اليك رسول جهالة، وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة
وعاد الصواب وانت في الجنة، واوحش الاحرار وانت اصل الحريه، و
باين الناس ومنك منبع الانسانية، وانصر اللؤم وانت الكريم، وناقض
الحكماء وانت الحكيم، لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه، ولو دفن
المحال في تخوم الارض السابعة لغصت عليه، الجهل عدولك تحاربه
والصد ضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه، فانت العكس
الا انه يمشي على رجلين والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين والجهل
الا انه مخاطب والعي الا انه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا
لذكرت انه زنى ولو ذكرت في القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت
عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم، ولو نوظرت في عيسى نفيته عن مريم
ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام، ولو ذكر ابو جهل
حكمت له بالاسلام، ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر

فاتة النوادر، ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعيت
بيانه، ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه، ولو رأيت بناء
ارم ذات العماد استصغرت شانه، ولو اجرى حديث الحسين بن علي
عليهما السلام صوبت رأي قاتله، وعذرت فعل خاذله، ولو حكى قول
فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولو سمي ابن عباس
نفيت عنه علم التأويل، ونحلته الجهل بمتن التنزيل، ولو خوطبت في
التراويح اخذت بابتداعها الشيعة، ولو عد الاجبار والتشبيه الزمت
دينهما المعتزلة ولو انشدت، ويأتيك بالاخبار من لم تزود، مارضيت
نظمها، ولو سمعت، لا يذهب العرف بين الله والناس، ما استحليت طعمها
ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله، واستعظمت جهله ولو استفتيت
في فريضة ادعيت فيها اجماع الامة، واتفاق الائمة، ولو اعيد حديث
ذي القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه، ولو تعجب الناس
من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه ووهنه، ولو استبدعوا صنعة
الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا، ولا افترع بكرا، ولو
استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها عشرة، وان حكمها
رثة، ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيبت الثنوية رأيت من
عيوبهم ما لي ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليها بانها
من بابة التوبة والعبادة، ومن شريطة النسك والزهادة، ولو حمدت
العافية اسهبت في ذمها، كما لو فضلت السعادة اكثرت في شتمها، ولو
شاهدت الهند عبتهم في ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم
في رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة
وقلة المعارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه زدت فيها سن المتعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية
عددت في فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن
عارضته بنوادر ابي العبر وبكلام يحيب لغاط ولو لحظت السماء قلت

ما اسوأ ما دحيت ولو درست ايام الفرس هجوتهم بفلتر السياسة وضعف التهك للعمارة ولو خوفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير، وان الخطب فيه يسير حقير، ولو فوتحت في حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت في بيتك، ودرجت في وكرك، وانك طالما سقيتها واطعمتها، وطالما سرجتها والجمتها، ولو عظم امر التنين وحكي الخلاف في ثباته بين المصدقين والمكذبين، اقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك، ورميت به في السحاب بقوتك، ولو عددت انساب العرب شهدت ان الشرف في سلول وجرهم، وفي عك ويتم، وان هاشما في قريش اذناب كما ان دارما في تميم اوشاب غايتك ان تزعم ان هشام بن الحكم ناصبي وان ابا الهذيل العلاف نابتي وان ابا بكر الاصم شيعي وان واصل بن عطاء حشوي وان سليمان الاعمش خارجي وان عبد الحميد بن يحيى امي وان رؤبة بن العجاج اعجمي وان ابا بن معاوية عامي وان معاوية اول من احيا السنة وامات البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار كما ان ابا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار وكما ان ابا بكر الصنوبري عالم بالانوار ولا الازهار، وان طفيلا الغنوي ما ركب كما ان اعشى قيس ما شرب وان العفاف هندي كما ان السخاء رومي وان الوفاء تركي كما ان العقل صقلي وان التشيع شامي كما ان النصب كوفي وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصغر الناس هما وانه ليس شيء اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين ولا كلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين وان ابليس اصاب في تفضيل النار على الطين فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين وان هاروت وماروت قد احسنا في عصيان الرب ومواقعة الذنب ولذلك صارا في السحر امامين، وللخلق معلمين وان الدين لعبة لاعب كما ان التوحيد كذبة كاذب وان الوحي اساطير الاولين وان السنة ارجاف المكلفين، وان العالم يركب متن عمياء، وان الموحد يخبط خبط عشواء، وانك من بينهم الذي

ويأخذون من الكذب ما يحاكي الصدق، ذا الباطل الذي تبصره العين العمياء، وتسمعه الأذن الصماء، ويستوي في ابراز شخصه النور والظلماء، فانه ينهى عن نفسه، وينذر الابصار والبصائر بعينه، وينادي بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا العدل الى ماذا انسبك بعدهما، والى اين اذهب بك عنهما، رحمك الله تعالى

وهذا دعاء لو سكت كفيته	فاني سألت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءا لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك، ولا خذلك كما خذلك، واني لاعلم ان دعائي هذا اول خائب وان سهمي فيه غير صائب ولكني اصانعك به، واسخر منك فيه، فاقول رحمك الله تعالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسي الانسانية وصححت عليها البهيمية اعلى منك في النقص حكمة، واعظم منك في الجهل طبقة، فشر من الجهل نصرة الجهال، واسوء من الضلالة الاحتجاج للضلال، لا ترضى ان تصير في صناعتك ذنبا وقد كنت فيها اصلا، ولا بان تكون تلميذا وقد كنت قديما فيها استاذا، تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف، وشبكة من شباك الشرف، وتصدق علينا بنشرك فان الله يجزي المتصدقين، واحسن فان الله يحب المحسنين، ولا ين اخوانك في فعالك وقوالك، فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، ولولا اني رحمك الله تعالى لا اقول بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم يحول في هيكلك، وانحصرت محاسنهم في شخصك، ولظننت انك يونس بن فروة الذي قيل فيه،

الى ابن فروة يونس وكأنه	في كبره ابن الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها	فالناس عندك ان ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الخسيسة التي لا تستحق العجب، واحببت منها ما لا يساوي الحب حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك، وكأن قارون وكيل نفقتك، وكأن بلقيس فرات العرش العظيم دايتك، وكأن مريم البتول امتك وحتى كأن ريح عاد هبت من غضبك، وحتى كأن العود

وجميع الملاهي وضعت لطربك، وحتى كأن المريخ يستقي من صولتك في مضائك
وعطارد يستمد من لطفك وذكائك، وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر
الا بمقلتك، وكان لقمان لم ينطق بغير حكمتك وكأنك بنيت منارة الاسكندرية
من آجر دارك ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك
وكأنك علمت زيادا السياسة، وافدت عبد الحميد الكتابة، ولقنت يحيى
بن خالد الفصاحة، والقيت على الحسن البصري المحبة وعلى الحجاج بن
يوسف الثقفي الهيبة وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق وشققت انهار
البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى كأن
سد يأجوج ومأجوج بيديك، والامر في خروجهم ماكول لياتك، وليس بين
الامة وبين ان ينسفوا زرعهم وضرعهم، ويجوسوا بر هم وبحرهم الا
لفظة من الفاظك، ولحظة من الحاظك، وحتى كأن فضائل امير
المؤمنين علي عليه السلام من فضائلك مسترقة، وعجائب بني اسرائيل
من عجائب صنعك ملتقطة، وغرائبهم من غرائب فعلاتك مستنبطة وحتى
كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك، وحتى كأن الحان
داود عليه السلام بعض ما يسمع في محرابك، وحتى كانك جعلت من مائدة
عيسى بن مريم غداءك، ومن كبش اسحق عشاءك، وحتى كأنك امرت
شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وحتى
كأن خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة
دعوتك، وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج
الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك
حتى نظر اليه، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه، وحتى
كانك اورثت بني اسد العيافة، وبني مدلج القيافة، وعلمت شقا و
سطيحا الكهانة، وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء، والسموال
بن عاديا الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء، واياس بن معاوية
الفطنة والذكاء، واخذ عنك سيف بن ذي يزن اخذ الثار والادراك

بالاوتار، وحتى كأنك دعوت لبني اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء و
ملوكا وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة في خنصرك
وحساب الدنيا دخلها وخرجها في بنصرك، وحتى كأن الشمس تطلع من
جبينك والغمام يندى من يمينك، وكأن البحر يمده امرك، ويجزر اذا زجرته
وحتى كأن كسرى نوشروان صاحب نفقة اصطبلك، ونمرود بن كنعان
قهرمانك على ولدك واهلك، وحتى كأن تكريت محل دارك، والدرة
اليتيمة اخس سوارك، وحتى كأن رستم بن دستان يعجز عن مد قوسك
واسفنديار بن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك، وحتى
كأنك في ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام
ويقصر معهما قصر غمدان، ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان، و
يتضع عنهما جبرية فرعون وهامان، وحتى كأنك لا احد اعلم منك
فاضرب به مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية وامدا ومن شبهك به فقد رد
الوصف اليك، ووفره عليك، والفرد لا يشبه بغيره، والبحر لا يوصف بمن
تقاصر عن رجحان قدره، واذا اردت ان تعلم اني في ذمك جاد وفي
مدحك لاعب واني في الشهادة عليك صادق وفي الشهادة لك كاذب
فانظر الى تهافت قولي في نبلك وجاملتك، والى اصابتي الغرض و
حزي المفصل اذ كاشفتك وصدقتك، وذلك ان الصادق معان
ومأخوذ بيده، والكاذب مخذول مغضوب عليه، وما كان الله تعالى
ليوفقني لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا، و
افاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا، والفصول التي
قصرتها على مدائحك، ولينت فيها مس القول لك، فانما هي عوذة
عوذت بها هذه الرسالة، وطلسم حصنت بفتحه هذه المقالة
فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء، وسترت بنقصان المدح كمال
الهجاء، على اني قد غالطت اسماع الناس وابصارهم، وسحرت بهذا

البيان خواطرهم وانكارهم، فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد
ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو
شيمنك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان فم كان
كلامى قلائد وخيرى المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

بيت يقال اذا انشدته صدقا	وان احسن بيت انت قائله

يا غداة الفراق، وكتاب الطلاق يا موت الحبيب وطلعة الرقيب، يا يوم
الاربعاء فى آخر صفر، ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر، يا خراجا بلا غلة، و
دواء بلا علة، يا اثقل من المكتب على الصبيان، ومن كراء الدار على السكان
يا ابغض من لم ولم، ومن لا بعد نعم، يا بغلة ابى دلامة وحمار طياب، و
طيلسان ابن حرب وضرطة وهب يا قدح اللبلاب فى كف المريض يا نظرة
الذليل الى البغيض يا كنيف السجن فى الصيف يا شرب الخمر على الخشف، يا وجه
المستخرج يوم السبت، يا افطار الصائم على الخبز البحت، يا جشاء من
اكل فجلية، وفساء من اكل قنبيطية، يا وكف البيت الشتوى فى كانون،
وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون، يا ليل الغربة، ووقت العشق و
الافلاس والغربة، يا خجل الضرطة، وجواب الغلطة، يا كمد المقمور، يا
اقذر من ذباب على جعر رطب ويا اذل من قراد فى است كلب يا اشأم
من دم بين يا انتن من بول خصى يا شرب الترنجبين على الريق فى تموز
يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين
الكافر، وقد ختم عمره بالكبائر، يا دخول الطفيلى بيت المروزى يا نظر العنين
الى البكر وقد عجز عنها، واستشعر مخايل الغضب منها، يا قرع الغريم الباب
ومعه جريدة الحساب يا حوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين
يا مغيض ماء الحمام، يا كوز حانوت الحجام، يا وجه الصانع وقفا المحروم
يا شخص الظالم فى عين المظلوم، يا الأم من اللؤم، واشأم من الشؤم
واقل من المعدوم، واوخم من غم المبرسم المحموم، يا غم الدين، ووجع
العين، ويوم البين، يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها، واقبح من

ودهشة المصبور

ارتجاع الصنيعة بعد شكرها، يا فم من اكل السمك في الشمس ولم يغسل يده
وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه، يا ابرد من كانونة في الثلج مدفونة في يوم
شمالي قرة، وفي وقت بكرة، في جبل من جبال ارمينية، يا اثقل من جبل
رومي تحت ثلج حولي فوقه عساكر في وسطه قوافل لا بل يا اثقل من منادمة
طفيلي على الندماء، مقترح في الغداء والعشاء، محشر الساقي قاطع على المغني
يواثب ويزني لا بل يا اثقل من الحق عليك، وابغض من الانصاف اليك، يا
جواب الحجاب وعبوس البواب يا مهاجرة الصديق يا نظرا الى زوج الام
على الريق، يا سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، يا شماتة الاعداء
وحسد الاقرباء، وطوارق الارض والسماء، وملازمة الغرماء، وعربدة الجلساء
وخيانة الشركاء، وغش الاصدقاء، وملاحظة الثقلاء، ومسئلة البخلاء
ومحادثة البغضاء، ومشاتمة السفهاء، ونصرة الضعفاء، وعداوة الامراء،
ومزاحمة السعداء، يا كرب الدواء، يا من لو كان اللؤم يلد كان اباه،
ولو كان يولد كان اخاه، ولو شارك شريكا ما عداه، يا بيع المتاع الكاسد
وجوار الجار الحاسد وسماع المغني البارد، يا مطبوخ الافيثمون وحب
الاسطيفون، يا ليلة المسافر في كانون الآخر على اكناف بائس، تحت
مطر وبرد قارس، يا من لو نظرت اليه السماء وهي تمطر اقلعت، ولو
طلعت الشمس بوجهه ما طلعت، يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا
وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا، يا من هو دليل على ان الله تعالى
جواد حيث اطعم مثله ورزقه، يا من هو حجة الملحد على الموحد في قوله الذي
احسن كل شيء خلقه يا من احتماله اصعب من عد الرمل ومن عدد النمل
ومن رأى شعرة سوداء بالميل والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء
على سلم من زبد، وحبال من شهد، والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح
الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والاولياء جعلت فداءك
من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك، ورفق بك، وذلك لاني
شبهتك باشياء تنقص في باب الذم عنك، وتأنف والله منك، ولقد

ظلمنا

ظلمتها بك، اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك، ومن لي بشيء
يوازيك، وشبيه يضاهيك، ومن اين اجد اللؤم منتظما، والقبح مجتمعا
والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا في هيكل واحد وفي شخص
ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع وما يرى، ويحيل المشبه على ما كان ويكون
في الورى، قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح والمشكاة والزجاجة و
ان كانت الثلاثة قاصرة عنه في الصفة رحمك الله تعالى دع لليونانية
من الحكمة ما تنفق به سوقهم، واترك لبني العباس من التملك ما تمشي به
امورهم، وابق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به ويلوحان
فيه، وهب للريح العاصف، والرعد القاصف، من الصولة قدر ما يسمع
به صوتهما، ويصيح باسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك وارحم
الجبار من شدة سلطانك، وانظر الى النساء من وراء حجاب ومخلف
برقع والاخرجن عن عشقك من ستر الله، وقطعن ايديهن وقلن حاش
لله، فلا تعرض ماء الله لسخط الله، ولا تفرق بينهن وبين عباد الله
ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق، ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق
ولا تزد في شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين، ولا تشمت
ابليس بنا، ولا تعظم مراده فينا، ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا لي رحمك الله حوائج فان قضيتها كنت قد
تسلفت شكري ورضاي، وان رددتني عنها فقد رأيت انموذج سخطي
وشكواي قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فامله
علينا، واجمعوا على ذهاب قراءة ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود،
فاخرجهما الينا، وتخالف الناس في المهدي وشكوا في السفياني وفي الاصفر
القحطاني فعرفنا متى يخرجون فاني اعلم انهم اليك يختلفون، وفي امرك
ونهيك مترددون، وبمشورتك يغيبون ويحضرون، والكيمياء
فقد علمت انه انفقت فيه الاموال وتعب له الرجال ثم لم يحصل لهم
منه الا اماني مسوفة، ومواعيد مزخرفة، فما عليك لو علمتناه واغنيت

الفقراء، وزدت الاغنياء، وارحت الناس من الضرب في البلاد، ومن الكد
والاجتهاد، ومن ان يخدم الفقير غنيا، و يتخذ بعضهم بعضا سخريا، و
الزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا، ومن
محاسنهم دوننا، فاعمل في اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين في ابداعه
ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي بها اهل المغرب اهل المشرق فابن لنا مثله ولا تثبت
علينا فضله فانما هي ساعة من هندستك، وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك
وقد زدت عليه، وبنيت ضعفيه، وآل ابي طالب قد علمت انهم مسلوبون
حقهم، ومغصوبون ارثهم، فتقدم الى غلامك الدهر بان يرفع رايتهم
ويرد اليهم ولايتهم، والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه، واعد
عليه من الشيبة شبابه، وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا
منفعة الاهليلج، ومضرة اللوزينج، وتجعل في اللوزينج منفعة الاهليلج
فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا، واضفت الى العاجل آجلا، وليس
يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجري صديق ابليس
فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك، ولطائف فكرتك ما يكسد
به سحرهم، ويهدم به فخرهم، فان ابليس تلميذ لك تعلم منك، واخذ
عنك، وشتان بين من يدعي ان ابليس من اخوانه، وبين من يعتقد
انه من غلمانه، وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك
زمانك، ويرى برهانك، وهل حسد آدم الا عليك، وهل عاداه الا فيك
ولعلك تنكر قولي خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا وانت رضي ولا كانت
الملائكة روحانية وانت بشري ولا كانت السماء تظلك والارض تقلك و
انت اكبر منها قدرا، واكرم منها نجرا ولا كانت الدنيا تنعم عليك
وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى ولا كنا
نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامي والكنى اني وفقدك فلا
شيء اعز علي منه، ولا احسن منه، ما سمعت قول علي بن جبلة في ابي دلف

انما الدنيا ابو دلف		بين باديه ومحتضره

فاذا

فاذا ولى ابودلف ... ولت الدنيا على اثره

الا غضبت عنك عليه اعتقت انه سرق صنعتك مع اعارا بادلف مدحتك ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد ... واياديه الجسام
فاذا ولى حميد ... فعلى الدنيا السلام

الا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته او عرفت بيته فهدمته . ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية ... واشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا ، فنعلم اين دعواها من دعوانا ،
ولا انشدت قول ابن ابى السعلاء فى الرشيد

اغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا ... ام الشمس ام البدر ام الدنيا ام الدنيا

الا رحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك ، ومدح غيرك
بمحاسن اخلاقك ، واما قول الطائى

تسود اقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلاشك ان الشيطان تكلم به على لسانه حتى ابرز وصفك فى غير
اوانه ، ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حى واما قول زهير

لو كنت من شيئ سوى بشر ... كنت المنور ليلة القدر

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها ، ولم
ترجمه الملائكة باحجارها ، واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

مسحت معد وجه معن سابقا ... لما جرى وجرى ذووا الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى عداد هاء وكيف يكون غيرك سابق
جيادها ، انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين
مرحوم ، وفيما بينهم مظلوم ، سلبوك علاك وهى حلاك ، ونحلوها
قوما سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير اساس هدم ، والكلام
يرجع الى مظنته ، والمدح ينصب الى قرارته ، كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا ... فى مجلس اخذ الكلام اللذ عنى

وكفاك بفضلك ما دحا لك ، وحسبك بانفرادك مقارعا دونك ، هذه
رحمك الله هدية اهديتها اليك ، بل هدية من العرائس جلوتها عليك ، وما مهرها

الا فقدك، ولا ثمنها الا بعدك، فاذا وهبتها فقد وفيت المهر وارضيت العروس والصهر، فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي وانت ختن لي وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك، وصغر قدرك، وعهدي بهم يحتملون المهور في اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس الممزق وعجب ما فيها انك اذا طلقتها لم تطلقك، واذا اطلقتها من حبالك لم تطلقك، فخذها مباركا لك فيها، فبئست العروس وزوجها شر منها

وكتب في نكبة نيشابور وواليها حماها الله ولته الى بكر بن عبدوس بعض عدول نيشابور

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبة، كما ان كل كاتب دون كاتبها في الرتبة، ووافقت مني قلبا معمورا بل خربا بالهم، وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم، فشفت القلب حتى نسي همه، والجسم حتى طلق سقمه، واذا صدرت الموعظة من قلب سليم ولسان حكيم، وردت على اذن واعية، وعين كالئة، واذا عرف الطبيب الداء، ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا، لقد ابقت لي منك عوضا كبيرا، ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى ودرهم يسلى لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل ولا يصدأ اذا اهمل ولا يفنى اذا بذل ولا يخلق اذا ابتذل على اني قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني والفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما ابكي لنكبة، وفرحت حتى ما اضحك لفرحة، ولقد

رماني الدهر بالارزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام	تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع، والفؤاد المرقع، والغرض الذي رمي حتى دمي وضرب حتى نقب واصابته السهام حتى لا يتوجع لها، ولا يحس بها، وطالما ارادت الايام ان تحركني فوجدت بحمد الله صنجة راجحة ونفسا متماسكة

وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء، ولا يغيره الدواء ولا الداء، ولقد قبلت الايام على
ما استقبلتها فرحا ومرحا، وادبرت عني فما شيعتها جزعا ولا هلعا، ولبست لكل
حال لبوسا، اما نعيما واما بوسا، ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم
تثلم قدري، وان كانت ثلمت وفري، ولا حلت عقد صبري وعزائي، وان
كانت حلت عقد ملكي وثرائي، وان اصبحت يوم اجتماع جيشها علي
وزحوف عساكرها الي والوجه طلق، واللسان ذرب ذلق، واللون مضيء
مشرق، والقلب متماسك متمالك، ومدد الصبر متقاطر متدارك، لم
الاحظ الفائت بعين تدمع، ولم اقابل النازل بنفس تهلع، ولا عثر لساني
ولا قلبي في ميدان كلام، ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام، ذكرت
ايدك الله سلفي رحمهم الله تعالى وانك بقيتي منهم، ومذكري بهم، و
مسلي قلبي عنهم، وصديق الوالد والد وان لم يلد، وترب الولد ولد وان
لم يولد، ومن صادق اخا ولم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب مجهول
الاصل والنسب، ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه من كلا
طرفيه، وعرف صدقه من جانبيه، رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا   وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف، وورثتهم خير خلف، اطال الله تعالى بقاءك
على حالة ارضاها لك وارضاك فيها، ولا استزيدك عليها، وهذا الدعاء
محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين، وملكت
الخافقين واستعبدت الثقلين، وتناولت الشمس والقمر بيدين، و
وطئت الفلك برجلين، ما بلغت ما اريد، وكنت استزيد واستعيد

وكتب الى ابي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان قد خرج منها

فان الك قد ودعت نجدا واهله   فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنويل وانوال ومن اقبال علي واشبال
ومن قول جميل وفعال، فانما فعل بي، واتفق لي لاحسان الوزير كان

الىّ، وتوفره كان علىّ وبذله لى الرغائب التى لا تسمح بها الا نفس مثله ولا تزل الا عن مثل يده فهو الذى قومنى قيمة صارت لى بين الملوك قيمة عدل وقضى لى بشهادة اصبحت فى العباد والبلاد قضاء فصل ونظر الى اهل هذه الحضرة بعينه ووزنونى بمثل وزنته ووضعونى فى الكفة التى وضعنى فيها، واهلونى للمرتبة التى هلنى لها، وعلموا انه الحاكم الذى لا ينقض حكومته والشاهد الذى لا تجرح شهادته والرجل الذى لا خيار مع قوله ولا نظر مع امره ولا خلاف عليه ولا رجوع الا اليه وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا فضربوا على سبيكه وسلكوا فى طريقته ونسجوا على منواله، وحذوا على مثاله، فوصل الى نواله وان كان لم يصل الى ماله، وحصل لى بره، وان لم يخرج به امره، وشيعتنى بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلنى وتكتنفنى قريبا منها فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان تبوأت غير دنياى دارا		واتانى نيل فانت المنيل	

وانما الملوك شعراء يتنا قضون فعلا لا قولا، وفرسانا بجسا بقون انصالا خيلا، فالحمد لله الذى جعلنى فارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها ولا ينحسر عنى نصيبى من ظلها، واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على حالة ارضاها له فوالله ما ارضى له الارض خطة، ولا السماء ظلة، ولا الدنيا خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد سوى السيف فلما وان يحرس على الدين جماله ويبلغه فى الدارين آماله

وكتب الى بعض اصدقائه

كتابى وقد كنت احب ان ينظر سيدى الىّ وقد لبست جمال هذه الدولة وتشربت حالى ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته، وبسطت باعا طالما قبضته فيعلم سيدى ان غراسه قد اثمر، ومراده قد تيسر، وان علاج حالى قد هزم الداء وجلب الشفاء، بعد ما اعيا الاطباء وغلب الدواء، فان فرح الطبيب بعافية

المريض اشد من فرح كل اخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن
الملوك وابوابهم فقد كان لي عذر في ورود النهر قبل ورود البحر، وفي
الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهور، وعهد سيدي بي وانا ارتاد
غير ارضي وارتع في غير روضي، واطلب الرزق خارجا من بابي فالآن
قد نزعنا تلك الثياب واغلقنا ذلك الباب، ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة	لمروان وارتد الهوى لابن بجدل

هذا وقد انثال علي من الخير بهذه الحضرة ما ترك بياني حسيرا ولساني قصيرا
والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنة، والسرور اذا افرط مقطعة
ومسكتة، والناطق اذا تحير ابكم، والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه
مفحم، فلا زال السيد يبتدع برا، ويقصد بقوله وفعله خيرا، ويكفيه شرا
ونصره الله تعالى على دهره، فانه لئيم ظفره، قبيح في الاحرار اثره

وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه وقد نكب

كتابي وانا بين محنة قد ادبرت، ونعمة قد اقبلت، وولي قد ملك وعدو قد
هلك، والحمد لله الذي ابتلى ثم ابلى فانعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله الاكرمين ورد كتابك ولست اقول غمني واهمني بل اقول اعماني واصمني
تذكر انك امتحنت وانت بريء، ونكبت وانت محسن لا مسيء، واي ذنب
اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص، واي جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما
بين طبقات اهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمة
ترضى بالصدفة اللئيمة، وانما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى
الوكر الكبير، وهلا اذ كملت آلتك انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك،
وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة
الناقصة اهلا، المنبتة جهلا، فابشر ولا تتهم الله تعالى في مصالح خلقه
ولا تقنط من رزقه، فانه انما يرتاب المبطلون، ولا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون واياك ان تفل هذه الحادثة غربك، او تكسر حدك

وتضرع خدك، او تثلم ركنك، او تسيء بالله تعالى ظنك فانما كانت
صاعقة احرقت ثوبك، ومست بعضك، وسلم الله ولله الحمد منها روحك، و
صان فيها لسانك وقلبك، وورائك الدهر الطويل، وخلقك صنع الله
الجميل، ووعده بجميل صنعه كفيل، وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسر
فهو عزيمك الآن في اليسر، واذا رأى جلادتك على وقع سهامه، و
صلابتك على تصريف ايامه، جاءك معتذرا، وهرب اليك مستترا واسا
باليمنى ما جرح باليسرى، ووزن عليك بالسنجة الكبرى، ما تزن منك
بالسنجة الصغرى، فانتظر الفرج فانه منتظر، واصبر فان الدهر لا يصابر

وكتب الى ابي محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

كتبت الى الشيخ من داره التي طالما تصرفت بها على امره ونهيه، وتقلبت فيها
بين افضاله وفضله، وحالي ببركته تعلقني بذيل الدولة السامية، وانتمائي
الى الحضرة العالية عن يمنى السلامة وعن يسار العافية، ولا تزال كتبي
ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن في ادنى طبقات الجودة، كانت في اولى طبقات
الرداءة، وانما يروي الناس احد الكلامين ويتمسكون في الرواية باحد
الطرفين فاما حسن جيد معجب واما رديء مغث ولقد اولاني الشيخ من الصنع العميم
ومن الاحسان الحادث والقديم، ما تركني اهذي بمدحه، واحتلم بوجهه
واتصبح باسمه واتفاءل بذكره، واحتلب ضرع الشعر بذكر بره، ولن استعين
على شكر تلك النعمة، ولا امسك بيدي طرف تلك الخدمة، بمثل الاعتراف
بالتقصير عن الواجب، والقصور عن اداء المواجب وانما النعم مطية شرود
ولن ترتبط بمثل الشكر، ولن تنفر بمثل الكفر، وانما الشيخ اب بر واهل
الادب بناؤه، وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه فمن احسن
الى احدهم فانما احسن اليه، وافضل عليه، واستحق المكافات من لسانه ويديه
وليشكر عنا اهل الصنعة ذا احسن بنا، وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا
وقد احسن الى فلان في كذا والشيخ هو الذي مهد لي عنده موضعي

وسهل لي مسلكه، ووطأ لي في تلك الحضرة لساناً، وأقام لي بها ميزاناً.
لا زال الشيخ راكباً كاهل الدهر، محكماً في الخير والشر، تخدمه الأنام
بل الأيام، وترجوه الكرام كما تخافه اللئام، وتعشقه السلامة والسلام

وكتب إلى أبي منصور كثير بن أحمد

كتبت إلى الشيخ من دار التي لا ينغصها علي إلا بعده عنها، وخلوها منه وقد كثرت
كتبي إليه كثرة نعمه علي، وتواترت تواتر أياديه إلي وعهدي بتفضل الشيخ يسلك طريق
الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد وقد سمع
الشيخ أخباري بالحضرة وأني كلت بالصاع الأوفى واتزنت بالسنجة الكبرى
ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت أعطيت باليسرى
وفلان قد وصلت إلى بركات اتصالي به وأنا في غير حضرته وأخذت ماله وإن لم يخرج
من خزانته واستغفر الله من حظي الدنيا كلها حضرته والناس بأجمعهم رعيته، و
الملوك بأسرهم شيعته والأحرار عياله وحاشيته فأما أعداؤه فمرجومون من ألم
الحسد ومقتولون بسيف الغم والكمد سكوته أفصح من كلامهم، ومنعه أندى
من نوالهم، وحجابه أحلى من لقائهم، وعبوسه أحسن من ابتسامهم وغضبه
أنفع من رضاهم، ويسراه أسد من يمناهم، وبخله أفضل من عطاياهم

وكتب إلى أبي القاسم المزني وقد صالح أخاه

كتابي وإنما الشيخ باز عتيق كان طار عن أهله، وفرع عميم كان انقطع من
أصله، فردته أيام السعادة إلى بيته، وضمت اتفاقات الإقبال بعضه إلى بعضه
ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وأنا أعرف الشيخ معرفة يقين
وغيري يعرفه معرفة ظن، وأنظر إليه بعينين وسواي ينظر إليه بعين والرجال كثير
ولكنهم قليل، والدهر بأشخاصهم جواد، وبحقائقهم بخيل، وقد كنت أحسب أني
إذا هربت من نعمته علي وانهزمت من عساكر إحسانه إلي خففت رقبتي من طوق
صنائعه، وخلت يدي من بعض ودائعه وتنفست إلى الفراغ مدة واسترحت

من تواتر الاعباء، وتناسق النعماء، ولو ساعة واحدة، فاذا نعمته لي بمرصد حيث كنت، وعلى مد رجتي اينما قطنت او ظعنت، اهرب منها وتتبعني وارحل عنها وتشيعني فمنها الطلب ومني الهرب فلا عدمتها طالبا، ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقل باحسانه كل نازل ويشيع به كل راحل واطال الله بقاءه على حالة ترضيني له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى ولا انزل فيه الا وراء الغاية القصوى ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيي ميت مالي بل ميت آمالي وتطري خلق حالي وترد الماء فيما نضب من جمالي ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح، وللشيخ صنائع في الناس رجوان لا اكون اعياهم لسانا ولا اقصرهم بالشكر بيانا، ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره، ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره، وانما السيد بطاعة عشيرته، والامير بصلاح رعيته، والممدوح بالسنة شيعته

وكتب رحمه الله تعالى

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد، الذي ليس له امد وكأن عطبه يوم القيامة الذي ليس له غد واني اكره للسيد ان يكون زحلي خطوة العفو جامدي حركة الصفح لا ينحل عقده، ولا يتجافى عن فريسته يده، فان ذلك يقوي عزم عدوه على مقارعته، وينثلم رجاء وليه لمراجعته ولعمري ان الاسير لكبير واكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه واشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه

وكتب ايضا

تركي مكاتبة الشيخ وهي معترضة لي غم وحسرة واقدامي عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفني المحالان سلكت طريقة بينهما، متوسطة لهما، فاقتصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان اكن قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل وان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل موصل الرقعة فلان وهو تام في الترة، ناقص في حالته، جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال، حال من الادب عاطل من النشب وسبيله ان يوزن في كفة كماله، لا في كفة حالة

وكتب ايضاً

تأخر كتابك يا سيدي فطرق لسوء الظن طريقاً الي وفاتك، وفتح للتهمة باباً الى اخائك، واني لاكره الود يمره الطلاق ويخربه التنائي، وابغض الصديق يضع مقاليد البغض والحب في يد البعد والقرب وانا الذي اصاب عهدك بعينه، وافسدك بحسن ظنه، ويا عجباً للدهر كيف فطن لمحلك من قلبي وكيف اطلع على غيبي وما زال الدهر يقرطس سهمه في كل شيء احببته ويعارضني في طريق كل مراد طلبته، حتى لو احببت الموت لابقاني، ولو اردت الحرمان لاعطاني ولو اثرت الفقر لاغناني ولو عاديت الباطل لوالاه وعاداني ولقد

عجبت للدهر في تصرفه وكل افعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذي ادب كأنما نال امه الادب

وكتب الى ابي القاسم الحسن بن علي

انقطع كتابي عن الشيخ لتصاريف الاحوال لديه، وتكون الاسفار والاطوار عليه، لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء، وبمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء، والسيف اصدق انباء من الكتب فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعي الغر وعن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر فافترع مملكة طالما خطبت فانكحت وطلبت فما وجدت بكراً فافترعها كف حادثة، ولا ترقت اليها همة النوب وبرزة الوجه قد اعيت ياضها كسرى وصدت صدود اعرابي كرب وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار وفي دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجواري وبين من افتض عذارى النواحي لا بل شتان بين من صار مملوكاً تحت اللحاف وبين من صار عن مملكة تحت الرماح والاسياف لا بل شتان بين من افعاله ثيبة وطريقه مسلوكة قد سبق اليها، وشورك فيها، وبين من

ترفع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ دام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق في الحلبتين، والتحلي بالحليتين، فهو فارس القلم واللسان ثم رب السيف والسنان

قد كان يوم نداك بجودك باهرا حتى اضفت اليه يوم ضراب

وبديهتنا ابتدأت طريقها … لولاك لم نكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذى الحق زماننا بالازمان وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان وعلى مقادير الايام تكون محاسن الانام وان ذكر اهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين وعلى بن سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين وصاعد بن مخلد ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسن ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لان اولئك انما ضربوا باسيافهم والدنيا شابة والخلافة مقبلة والايام مساعدة والسعود قائمة والنحوس نائمة ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة وفترة الدعوة وكسدت السلعة وبطلت الصنعة وضاقت المملكة وكل القلم وقل الدينار والدرهم، وانشدنا

اتى الزمان بنوه فى شبيبته … فسرهم واتيناه على الهرم

وانما الناس بالاحسان، والاحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر الكيان،

وانت عبيد الله اكبر همة … واكرم من فضل ويحيى وخالد
اولئك جادوا والزمان مساعد … وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هناه الله تعالى بما اولاه، وبارك له فيما اعطاه، واراه فى اولاه واخراه، وفيمن والاه وعاداه، ما يريد ويهواه، وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه ويتمناه، وارانى فيه ما يرضاه وارضاه حتى يرى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يسلك طريق خطاه والموت وهو سلاحه ويداه يفنى من افناه ويبقى من ابقاه، ويرى فى الآمال والآجال ما يراه، واطال بقاءه وجعلنى فداءه والسلام

الحمد لله رب العالمين وقد تنا هى طبع هذه الرسائل التى لم يبلغ شاؤها فى الفصاحة سحبان وائل بل هو عندها ادنى من باقل باهتمام المكرم المحترم الميرزا احمد الملقب بملك الكتاب الذى هو فى تدبيره محى الفنون والعلوم وكاشف بين السفساف والصواب بخط اقل الخليقة بل لا شئ فى الحقيقة الميرزا محمد حسن ابن على الكازرونى عفى الله عنه وعن والديه وعن والد والديه وكان ذلك فى غرة الشهر شعبان سنة ١٣١١

هذا فهرست رسائل ابی بکر الخوارزمی

وله

١١٧	وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الري
١١٨	وكتب الى رئيس قم
١١٩	وكتب الى مير خوزستان
١٢٠	وكتب الى ابى سعيد رجاء
...	بن الوليد الاصفهانى
١٢١	وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما
...	قصدهم محمد بن ابراهيم واليها
١٣٠	وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته
١٣٢	وكتب الى رئيس سمرقند
١٣٣	وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا
...	عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه
...	بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة
١٣٤	وكتب الى خوارزم شاه
١٣٥	وكتب الى العامل على البريد بالاهواز
١٣٥	وكتب الى ابى حامد بن
...	روزبه اديب نومس
١٣٦	وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه
١٣٦	وكتب الى ابى حامد ايضا
١٣٧	وكتب اليه ايضا
١٣٧	وكتب تعزية الى ابى بكر
١٣٨	وكتب الى ابى سعيد رجاء
...	بن الوليد الاصفهانى
١٣٩	وكتب الى ابن العميد الحاكم
١٤٠	وكتب الى ابى القاسم الاجل ببغداد
١٤٠	وكتب الى ابى سهل بقم

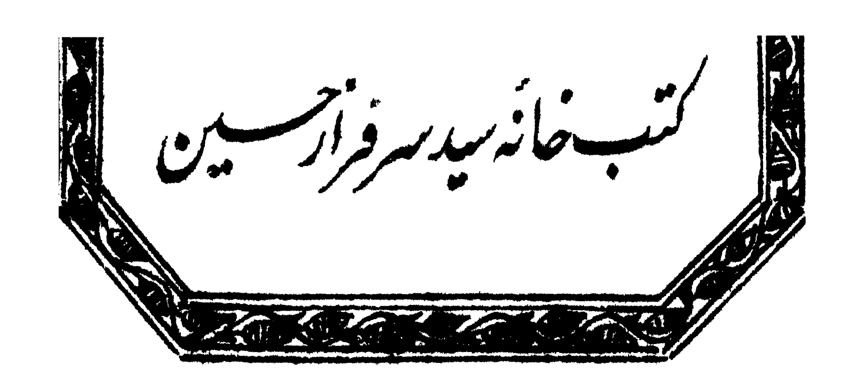
١٤١	وكتب الى ابى بكر النحوى
...	اديب الجبل واصبهان
١٤٢	وكتب الى ابى بكر بن شمير
١٤٣	وكتب الى الوزير بالحضرة
١٤٥	وكتب الى تلميذ له
١٤٥	وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان
١٤٥	وكتب الى محمد بن حمزه رئيس خوارزم
١٤٦	وكتب الى ابى سعيد رجاء
...	بن الوليد الاصفهانى
١٤٧	وكتب الى الوزير ابى القاسم
...	اسماعيل بن عباد رحمه الله
١٤٧	وكتب الى ابى الحسن الحكمى
١٤٨	وكتب الى تلميذ له وظهر عليه الجدرى
١٤٩	وكتب الى فقيه من تلامذته
١٤٩	وكتب الى الملك لما اصيب
...	بابنه من خوارزم شاه
١٥٠	وكتب الى ابى منصور ملك
...	الصغانيان يعزيه فى عمه ابن سعيد
١٥١	وكتب الى ابى القاسم بن على
...	صاحب جيش الصغانيان
١٥١	وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد
١٥٢	وكتب الى ابى شجاع بن محمد
...	كاتب بن فراتكين
١٥٣	وكتب الى رئيس نيسابور
١٥٣	وكتب الى على بن كامه

بعون الله تعالى

هذا كتاب

رسائل ابي بكر الخوارزمي

في سنة ١٣٠١ هجري


کتب خانہ سید سرفراز حسین

[illegible]